صبري يوسف
رحلة طيّبة
في تجلّيات أسماء غريب
قراءة وانطباع وتحليل

اسم المؤلِّف: صبري يوسف.
عنوان الكتاب: رحلة طيّبة في تجلِّيات أسماء غريب.
قراءة وانطباع وتحليل.
الطَّبعة الأولى: ستوكهولم (2020).
الإخراج، التَّنضيد الإلكتروني، والتَّخطيطات الدَّاخليّة: (المؤلِّف).
تصميم الغلاف الفنّان التّشكيلي الصَّديق جان استيفو.
صورة الغلاف للأديبة د. أسماء غريب
© **حقوق الطَّبع والنَّشر محفوظة للمؤلِّف.**

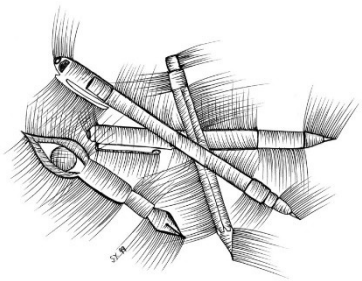

دار نشر صبري يوسف

Sabri Yousef Bokfärlag

sabriyousef56@hotmail.com

الإهداء :

إلى الأديبة والمترجمة والنّاقدة المبدعة د. أسماء غريب

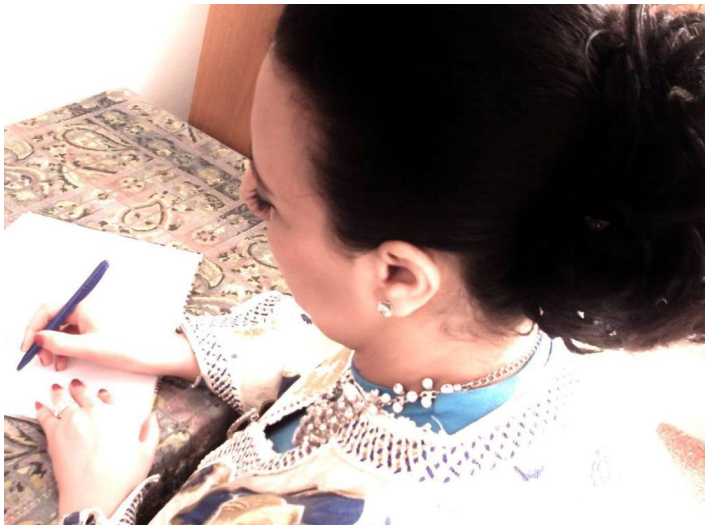

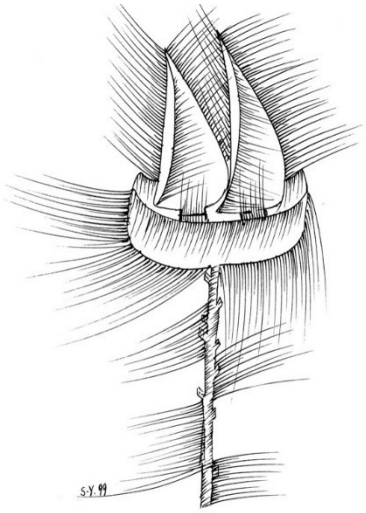

استهلال

في حضرة ديمقريطس

لماذا يكتبُ هذا الرّجلُ عن المُبدعين؟ لماذا يهتمُّ لشأنهم ويُولي عنايةً من نوع خاصّ لعطاءاتهم ونتاجاتهم الفكريّة والرّوحيّة في كافّة مجالاتِ الإبداع؟ ولماذا عناقه الأزليّ لقضيّة السّلام في الكون؟ بل لماذا يسعى لمحاورة أهل الكلمة والرّأي والقرار الثقافيّ والسياسيّ؟ لا جرم أنّ الأسئلة من هذا القبيل كثيرة جدّاً، وأسمعُ قرّاءَ هذا الأديب ومتابعيه على صفحته الرسميّة في الفيسبوك يطرحونها كلّ يوم، بل هناك من يذهب به الخيالُ بعيداً، فتجدُه مُغرقاً في التأويل تارة، والتفسير والتعليل تارات أخرى، يضربُ أخماساً في أسداس ولسان حاله يقول: "لا بدّ أن هذا الرّجل الأديب قد جُنّ بالحرف، وأصابهُ هوسُ الكتابة الشلّالية التي لا أوّل لها ولا آخر". واليوم وأنا أقرأ كتابَهُ الثّاني هذا عن تجربتي الإبداعيّة في الحوار والتّرجمة والنّقد والرواية والشّعر، أجدنُي قد توصّلتُ إلى الجواب الحقّ الذي يُمكنهُ أن يُطفئَ الحريق المشتعل في صدور القرّاء: صبري يوسف هو ديمقريطس الجديد! إنّهُ يرى أنّ ما يكون، هو كائنٌ ماضياً وحاضراً وسوف يكون دائماً. وكلّ ماهو موجود يحتاجُ قبل الوجود أن يكون عدماً كاملاً، وهذا ما يؤكّد وحدةَ العالم الأبديّة لديْه، بحيث لا يُمكنُ أن يُضاف إليه أيُّ شيء، ولا شيءَ يُمكنه أن يخرجَ أو يندثرَ منهُ، لأنهُ في هذا يتماهى مع الذرّة التي تدخل في تكوينه الأصليّ، والتي ماهي سوى وحدةٍ متجانسة ومتناهية في الصغر، وغير متناهية في العدد أبداً، وهي جزء لا يتجزأ من المادة، تتحرّكُ بشكل دائم. وصبري يوسف، يرى كلّ المبدعين الأحقّاء من أهل الحرف المتنوّر، ذرّات تتشابهُ وفق طبيعتها المادّية ولا تقبل القسمة ولا يحدّها زمان ولا مكان، إلا أنها قد تختلف من حيث الترتيب والشكل والوضع، وتتحرّكُ منذ الأزل في فراغ مهول، وهي في حركتها إمّا تتشابكُ بشكل ما أو تتصادم بحيث يدفع بعضها بعضاً ثمّ تتلاشى لتعود للظهور من جديد. وهو كديمقريطس يرى أنّ الكون لا يفسد ولا يزول إلّا إذا انفصلتِ الذرات عن بعضها بعضاً، ولأجل هذا تراه يسعى إلى معالجة ما يحدثُ في الكون من رتق وشرخ عبر التوحيد والجمع بين الذرّات الإنسانيّة الرّوحيّة المتفرّقة، وهو يعتقدُ أنّ هذه العملية لا يمكنُها أن تتمّ إلّا عبر اللجوء إلى أوّل ذرّة في الخلق والتكوين، وأعني بها النّقطة، التي لا يمكنها أن تتحقّق وتؤثّر في الكون إلّا من خلال الحرف، وذلك لأنّ هذا الأخير جسدٌ والنّقطةُ روحُه: ومن لم يعرفِ النّقطةَ لا يمكنه أن يعرفَ الحرفَ، وإني لأرى حرفَ هذا الأديب الفاضل صبري يوسف من أهلِ هذه المعرفة الذرّيّة الحقّة،

وقد دخلَها بسرّ مُرابَطتِهِ في محراب الأبجديّة منذ يفاعتهِ الأولى. لأجل هذا يشدُّهُ الحرفُ المقمّطُ بفيوضات النّقطة لأنّهُ يراه يخاطبُ ذاتَهُ الكونيّة بشكل مباشر، ويفتحُ أمامهُ دهاليز جديدة جديرة بالاكتشاف والغوص فيها بإزميل المُحبّين من أهل الإيمان والسّلام الكاملِيْن. ومَن يصلُ إلى هذا المقام الرّفيع يغرقُ في بحر المحبّة، وتصبح لغتُه ترى الإنسانَ هو الحرف والذرّةُ عينُها، والأبجديّة ذاتُها، فيُصاب ببركة الجمع والنّسج، ورتق الحروف بعضها ببعض لحياكة سجّادةِ الكون وقد رُصّتْ بين خيوطها قلوب كلّ النّاسِ الواحد تلو الآخر من أجل الوصول بها إلى بوّابة الملكوت وعوالمه البهيّة. الحرفُ سفينة، وكلّ من ركبَها نجا، الحرفُ حوت، وكلّ يونس فيه ملقومٌ، لا يخرجُ من بطنه ما لمْ يكتمل تسبيحُه ويرقى إيمانُه ويصفى قلبُه ليرى الفردوسَ حديقةً أزهارُها قلوبُ العاشقين من كلّ الكائنات الحيّة المنشغلة بدورانها السّريع في الكون معلنةً صلاتَها الأزليّة التي هي علّة الوجود بها ينتشرُ الكونُ بأرضه وسمائه وأجرامه قاطبة، لتحقيق السلام الحقّ، وإعلان نهاية الحروب في كلّ الأزمان والعوالم.

د. أسماء غريب

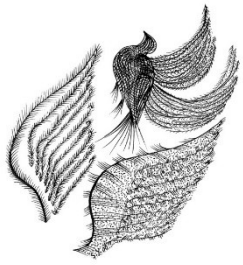

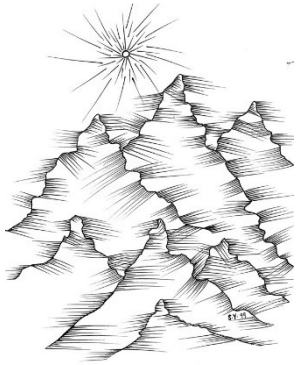

انبعاث القصيدة من وحي شموخِ الحرف

قادني بهاءُ الحرفِ، وهجُ الشّعرِ، حفاوةُ السّردِ، تجلّياتُ النّقدِ، ألقُ التّرجمة، فضاءاتُ الحوارِ، رهافةُ التّشكيلِ، وكل ما يصبُّ في جموحاتِ الإبداعِ الخلّاقِ عبر هذا الأثير المفتوح على فضاءِ الكونِ، إلى عوالم وفضاءات أسماء غريب، فمَن هي هذه الإنسانة المدهشة في شموخِ حرفها الرَّصين، والّتي عبَرَتْ عوالمي برهافةٍ نادرة عبر شهقةِ الإبداع المضمّخة بتجلّياتٍ شاهقة نحو زرقةِ السّماء؟!

وُلِدت الأديبة المغربيّة المبدعة أسماء غريب في مدينة أسيف المكتنزة بأريج الإلهام ووهجِ الحرف، هذه المدينة المباركة الّتي تعني بالأمازيغيّة الوادي أو النّهر المفعم بالعطاءِ والخير الوفير، فتشرّبَتْ من مياه أسيف العطاءات الإبداعيّة الفيّاضة المباركة، كأنّها ينبوع عطاءٍ مسربلٍ بألقِ الحرفِ وجموحِ الخيال إلى أقصى مراميه. انبعثَ حرفها من ربوع خيراتِ أسيف إلى أصقاع الدُّنيا، معرَّشاً ومحبوكاً بالجمال والمحبّة والصّفاءِ وتجلّياتِ الرّوحِ، فها هو حرفها يشمخُ عالياً يوماً بعدَ يومٍ كزخّاتِ المطر، مستوحيةً من البيتِ الأوَّل، من الزّقاق المقمّط باخضرارِ القلب، من واحاتِ الطّفولة، ومن ظلالِ الحاراتِ العتيقة الّتي ترعرعتْ فيها أشهى أبجديات الحرف، وكحَّلتْ حرفها بكلِّ الأجناسِ الأدبيّة، وكأنّها شجرة مثمرة بكلِّ أنواع الثّمار الشّهيّة، ويشهدُ حرفها على تجلّياتها الخلّاقة من خلالِ عطاءاتها المتجَدِّدة عاماً بعد عام، فهي تبحرُ في فضاءاتِ الكلمة المثمرة مثل نحلةٍ معبّقة برحيقِ الأزاهير، فيأتي حرفها محتبكاً بنكهةِ العسلِ وكأنَّها منبعثة من خميلةِ البهاءِ وهي تسرجُ خيوطَ القصائد، وتفهرس نصوصها بحبورِ نسائم الصّباح كي تقدِّمَ حرفاً من أريجِ التّين وبهاءِ الوردِ الجوري، كائنة مقمّطة بجمالِ الكلمة الممراحة، مترهبنة لمحبّة الحياة وعذوبةِ الحرف، كأنّها نبتة الحياة المسربلة بأسرارِ اللّغة المنبلجة من ثغورِ الرّوحانيّين منذُ فجرِ التّكوين، وكل مَن ينوي أن يدرسَ روايةً ما أو ديواناً شعريّاً أو كتاباً نقديّاً أو ترجمةً أو حواراً أُجريَ معها، أو نصوصاً أدبيّة وقصصيّة للأديبة أسماء غريب، عليه قبل كل شيء أن يقرأ كل كتبها ومجلّداتها وترجماتها والحوارات الّتي أُجريَتْ معها حرفاً حرفاً، وإلّا فلا يستطيع الإلمام بدراستها دراسة عميقة تستوفي حقّها، لما تطرحُهُ من رؤى إبداعيّة فكريّة عميقة وخلّاقة، لأنّ كتاباتها متكاملة ومترابطة مع بعضها بعضاً، فهي كتاب واحد عميق الأغوار، وجاء هذا الكتاب موزّعاً ومتهاطلاً على مساحاتِ الأجناس الأدبيّة الّتي تغوصُ في كنهِها

بغزارةٍ طافحة بالتّجلّي، فهي بحق ينبوعُ إبداعٍ نادر في خصوبةِ انبعاثِ حرفها الّذي يجمحُ نحوَ صفاءِ الماءِ الزّلال وكأنّه يتهاطلُ عليها من وجنةِ السّماء، فمنذُ أن تعرّفتُ على حرفِها ونصّبها وعالمها وفضائها الإبداعي، أجدني مولعاً ومنجذباً برغبةٍ لا تقاوم في سبرِ أغوارِ حرفها من جميعِ جهاتِ ابتهالاته، ومندفعاً إلى قراءةِ المزيد من تجلّياتها الّتي تناجي القلب والرّوح معاً، فهي لا تكتبُ نصّاً أو كتاباً كي تضيفَ إلى منجزها كتاباً جديداً، بل تكتبُ فكراً خلّاقاً يصبُّ في برنامجها وفضائها الرّوحي العرفاني الصُّوفي الخلّاق، ولهذا وضعتُ في الاعتبار قراءة كل ما يقع تحت يدي من إبداعاتها قراءة عميقة، فبدأت أقرأ دواوينها الشِّعريّة بشغفٍ عميق، واحداً تلو الآخر، وشعرتُ في قرارةِ نفسي، أنّها استطاعت أن تشفي غليلي وعطشي إلى وهجِ الحرف، لأنّني شرهٌ ومتعطِّشٌ إلى أقصى درجات الشَّراهة والتَّعطُّشِ لقراءة هكذا نماذج أدبيّة شاهقة في بنائها الفنّي والفكري والرّوحي، وبعد أن أنتهي من قراءة ديوانٍ ما لها، أعودُ وأقرأ ما قرأته مرّة ومرَّتين وثلاث مرات وأحياناً أكثر من ثلاثِ مرّات، لما فيه من رؤية جديدة وبديعة في عالمِ الحرف، وأشعرُ في كلِّ مرّة أقرأ ديواناً أو كتاباً لها، كمَنْ يعثرُ على كنزٍ ثمين لما في فضائها الإبداعي من تجلّيات غير مسبوقة في عالمِ الكتابة الأدبيّة في سياق الإيقاع الفكري والرّوحاني الَّذي تصيغه، وهذا ما ينتابني عندما أقرأ قصصها القصيرة أيضاً لما فيها من احتباكٍ سرديٍّ سلس ومنساب في تدفُّقاته، وتحفّزني نصوصها الأدبيّة ومقالاتها على قراءَتِها أكثر من مرّة، لأنَّها تمنحني فرحاً ومتعةً وأنا أجول في طراوةِ حرفها وقدرتها على مطاوعةِ حرفها للأفكار الّتي تنسجها بطريقةٍ تناجي النُّفوس العطشى للصفاء وبهاء الحرفِ، وكم شعرْتُ أنّني أمام ناقدة حصيفة وبارعة كلّما قرأتُ دراساتها النّقديّة والتَّحليليّة، حيث اطلعتُ عليها عبر كتبها ومجلّداتها الالكترونيّة الّتي كانت ترسلها إليّ تباعاً، فغصتُ في عوالم تحاليلها كأنّني في رحلات ابتهاليّة مبهجة للقلب، تروي شغفي وعطشي لمذاق حرفها المبلسم بحبور الرُّوح، وكنتُ أشعرُ أثناء قراءاتي لحرفها أنّني أتلقَّى طاقة إيجابيّة مدهشة ومفرحة وخلَّاقة، حرفها ينبعُ من القلب ويصبُّ في أعماق حنايا القلب، لهذا أراني متفاعلاً معَ فضائها الإبداعي تفاعلاً رهيفاً ومبهجاً، وأغوصُ عميقاً في لجينِ كنوزِ الحرفِ، ومنحني حرفها مراراً شحناتٍ إبداعيّة غامرة بالتّجلّيات، وحرّضني انبعاث حرفها على المزيد من الكتابة الإبداعيّة الّتي تخصُّ إبداعي الشَّخصي، ودفعني إلى الغوصِ العميق في رحابِ حرفها أيضاً، وفي استلهام وكتابة نصوص إبداعيّة عنها، فما قرأتُ لها نصَّاً شعريّاً أو سرديّاً أو قصصيّاً أو حواريّاً أو نقديّاً، إلّا وجدتُ نفسي أمام قامة خلّاقة من الطِّراز النّادر والفريد، لأنّ أسماء غريب عرفَتْ كيف تحمل القلم وكيف تستقبلُ الحرف وكيف تعانقُ النّقطة منذُ أن كانت في سنواتها الأولى تتعلّم الحرف الأوَّل، وعرفت بمهارةٍ عالية كيف تتموضع النّقطة على الحرف أو تحت الحرف أو تكون نقطة انبعاث وهج الفكر الخلّاق فوق نصاعةِ الورقِ وتقدّمه لنا، للحياة، كي يبقى ساطعاً وممهوراً في هذا الكون الوسيع! وكنتُ أشعر كلّما انتهيتُ من قراءةِ كتابٍ من كتبها، أنّ هناك طاقة فيّاضة في أعماقي تنسابُ بتدفُّقٍ نحوَ مرامي الخيال وأنسجها بمتعةٍ غامرة فوق نضارةِ الورقِ، فتوغَّلتُ عميقاً في فضاءاتِ عوالمها، مشبَّعاً بوهجِ الحرفِ المندَّى بحبقِ الحياة، وإذ بي أجدني استوحي رويداً رويداً من فضاءاتها نصّاً شعرياً

منساباً بأريج الفرح ودفء الحياة، ولم أتمكَّن من مقاومة تدفُّقاته، فانبعثَ شعري برهافةٍ مبهجة وأنا في أوجِ ابتهالاتِ بوح الحرفِ، فولدَ مبلَّلاً بأهازيجِ الفرحِ وحملَ حنينَ الرُّوح إلى فضاءات مبدعة مخضوضرة بالسَّنابل تحتَ عنوان:

"تجلّيات من وهج الانبهارِ"، أنشودة الحياة، الجزء 14، وجاء متوّجاً بالإهداء التّالي:

إلى الشَّاعرة والأديبة والمترجمة المبدعة د. أسماء غريب، المشبَّعة بإشراقةِ وهجِ الرّوح!

وخلال أسابيع كتبتُ بانسيابيّة متدفّقة هذا الدّيوان كأحد أجزاء أنشودة الحياة، ما كنتُ أشعر بالزَّمن أثناء كتابة هذا الدّيوان، سربلتني حالة تدفُّقاتيّة فرحيّة غامرة، وتهاطلت علي الجموحات الشّبعريّة وكأنّني في رحلة ابتهاليّة مفتوحة في عناقِ الحرف، ولم أتمكَّن من مقاومة الحالة البهيجة الّتي انتابتني، وبدأتُ أكتبُ وأكتبُ بفرحٍ وشغفٍ عميقين، وكأنّني في رحلةٍ حلميّة شهيّة مع وهجِ الحرف، فجاءت فضاءات هذا النّص منسجمة مع بقيّة أجزاء أنشودة الحياة الخمسة عشرة، انبعثت من أعماقي متدفّقة ومنسابة بهذا الإيقاع، لأنَّ فضاء الأنشودة هو منساب ومتدفّق، ولا يتناسب مع كتابة قصيدة تتضمّن صفحة صفحتين ثلاثة أو أكثر بقليل، لأنّني عندما أكتب فضاءات الأنشودة، أشعر وكأنّني مختَطف نحوَ الأعالي، وخارج الزّمن، وأشعرُ بحاجة عميقة للزمن، للوقت، للهدوء، وأكتبُ بشراهةٍ وغزارةٍ وشوقٍ منقطع النّظير، وأحياناً لا أشعر نهائيّاً بالوقت، فتنسابُ الكلمة من خيالي بطريقة ابتهاليّة تجلّياتيّة عشقيّة غريبة، حتّى أنّني عندما أعود وأقرأ ما كتبته وأصيغه وأدقّقه وأضيفُ إليه ما فاتني أثناء التَّدفُّقات، أشعرُ وكأنّ إنساناً غيري كتبه، وتدهشني حالة التَّدفُّق الّتي غمرتني خلال الكتابة، لهذا أجدني أحتاج لوقتٍ مفتوح على مصراعيه كي أتمكّن من الغوص عميقاً فيما يراودني من هكذا تدفُّقات شعريّة مبهجة للروحِ والقلب، أقدّمُ فيما يلي:

مقاطع من ديوان: تجلّيات من وهج الانبهار

"تنسابُ حروفُكِ كانسيابِ غيماتِ الحنين
كهدهداتِ السّنابل
كزخّاتِ مطرٍ عندَ بسمةِ الفجرِ
مجنّحةً نحوَ قداسةِ القدّيسينِ
نحو صفاءِ الرّوحِ
كأنّكِ مجبولةٌ من نورِ المحبّة
من بهاءِ الأعالي

تسابيحُ روحُكِ تهفو إلى أبراجِ التَّأمُّل
إلى سموِّ الحرفِ

تحلّقينَ عبرَ أحلامِكِ المعشوشبة
في ظلالِ القلبِ
نحوَ عبيرِ الأرجوانِ
نحوَ أشهى ثمارِ الحياةِ
مجسّدةً فوقَ خميلةِ الشِّعرِ
هودجاً من أبهى الأقاحي!
تعانقينَ فضاءَ الشِّعرِ
خدودَ الحياةِ
اخضرارَ الكونِ
كأنّكِ نُسيماتُ ألقٍ
مبرعمةٌ من طلّ الغاباتِ

عيناكِ ينبوعا محبّة
ينضحانِ عذوبةً عبرَ خمائلِ الحرفِ
يحنّانِ إلى زقزقةِ العصافيرِ
في مخيالكِ نداوةُ غيمةٍ متدلّيةٍ
من اخضرارِ أعشابِ الرّوحِ
تزهرُ وميضُ القصائد في ظلالِ قلبِكِ
كأنّها خيوطُ الشَّمسِ
تضيءُ مساحاتِ بوحِ الحنينِ
تبلسِمُ قبابَ الأماني
روحُكِ متجلّية كهفهفاتِ نسيمِ الصَّباحِ
تزدادُ شموخاً كأسرابِ اليمامِ

تنسجينَ حبركِ فوقَ فيافٍ عطشى
لقطعانِ غزلانٍ هاربةٍ
من شراهاتِ الاشتعالِ
غير آبهةٍ بصليلِ السُّيوفِ
ولا من ضجرِ هذا الزّمان!

الشِّعرُ كهفٌ آمنٌ لعرفانيّتكِ
الموغلة في بهاءِ الضّياءِ
الشِّعرُ ينبوعُ أحلامِكِ المجنّحة
نحوَ صفاءِ انبلاجِ القصيدة
مسكونةٌ أنتِ بضياءِ شموعِ الكونِ
حبرُكِ صافٍ كرهافةِ الياسمين
كأنَّهُ مستقطرٌ من رحيقِ الأرضِ
من عذوبةِ الأشجارِ
من حليبِ الحنطة!

تنشدينَ فوقَ بيادرِ المحبّة
قصائدَ معجونة بشهقاتِ الحنينِ
مكلَّلة بأصفى ينابيعِ الوئامِ!

يزغردُ حرفُكِ أناشيدَ حبٍّ
شوقاً إلى طيورٍ جذلى بينَ نسيماتِ الرَّبيعِ
متوغِّلةً بين أحضانِ القصيدة
تنثرينَ حليبَ الكلماتِ فوقَ غمامِ اللَّيلِ
ينبعُ الشِّعرُ من جفونِ الرّوحِ
من كنوزِ التَّجلّي

أيّتها الشَّاعرة الملفّحة بلظى الكتابة
كم من الاشتعالِ في جمرِ الحرفِ
حتَّى تنامَتْ بين مقلتيكِ قداسةُ الحرفِ
أثناءَ انبلاجٍ وشوشاتِ القصائد؟!

بهاءُ الفراشاتِ لا يفارقُ دنانَ الطُّفولة
رحيقُ حرفِكِ مستنبتٌ من بخورِ الشِّعرِ
رؤاكِ محبوكةٌ بأعشابِ الدُّنيا
باخضرارِ ينابيعِ الرّوحِ

شعرُكِ مصفًّى من شوائبِ الحياةِ
منذَّى بأزاهيرِ القرنفل!

أيّتها المبرعمة في "أسيف"
مدينةٌ مجبولةٌ من وادي المحبّة
مدينةٌ منسابةٌ كنهرٍ يموجُ فوقَ جنائنِ الحلمِ
هناكَ رأتْ أسماء غريب نورَ الحياةِ
هناك اخضوضرتْ كأشجارِ الجنّة
ترسمُ خدودَ السّماءِ فوقَ بياضِ الرُّوحِ

تزهو قصائدُكِ فوقَ خميلةِ حلمٍ
منذَّى بالزّنبقِ البرّي
تضيءُ مساحاتٍ قاحلة من جفوةِ العمرِ
تهفو دائماً إلى تسابيحِ الرّوحِ
شوقاً إلى عناقِ نورِ الأعالي!

تنضحُ بوحاً معبَّقاً بخفقةِ قلبٍ
يزدادُ ابتهالاً محبوكاً بحبقِ السَّوسنِ
تنضحُ بطينِ المحبّة وألقِ الصَّفاءِ
بأريجِ الغدِ الآتي!

قلبُكِ مكتنزٌ بنقاوةِ الحرفِ
يهفو بكلِّ انتعاشٍ
إلى شموعٍ تضيءُ دروبَ العمرِ
يتناثرُ شِعرُكِ فوقَ مُهجةِ الرُّوحِ
فوقَ اخضرارِ القلبِ
مُبلسِماً نسيمَ اللَّيلِ
بمذاقِ تجلّياتِ الحلمِ
طافحاً بأشهى حنينِ الأمّهاتِ
إلى صفاءِ الحياةِ

يهفو حرفُكِ إلى مآقي السّماءِ
إلى وميضِ النّجومِ
تزدادينَ ألقاً بهيَّاً كأعشابِ الخلاصِ
توشوشينَ بوحاً شهيّاً
كلّما أشعلتِ شمعةً لبهاءِ الأعالي
كأنّكِ في حالةِ ابتهالٍ
مع بشائرِ النُّورِ
معَ هفهفاتِ أنغامِ الصَّباحِ
في قلبِكِ تبرعمَتْ أزاهيرُ الجنّة
وفي روحِكِ تنمو تسابيحُ القصائد!

أيّتها الملكة الأطلسيّة
المقمّطة بإشراقةِ الصَّباحِ
باخضرارِ خيوطِ أملٍ محبوكٍ
معَ ضفائرِ مسرّاتِ مرامي اللَّيلِ

تكتبينَ حرفَكِ من وميضِ النّارِ
من صفوةِ التِّبرِ
من انفراشِ أجنحةِ المحبّةِ
من غلالِ وَرَعِ الإيمانِ

لا تجدينَ متعةً تضاهي جموحَ الحرفِ
وهو يتصاعدُ نحوَ غمرةِ الأعالي
شاعرة مسكونة بروحٍ عرفانيّة
غارقةٌ في ألقِ الابتهالِ
روحُكِ مرفرفةٌ كأجنحةِ اليمامِ
تحلّقين عالياً كأسرابِ الهداهدِ
نحو بسْماتِ النُّجومِ
بحثاً عن أزاهيرِ الرُّوحِ

المضمّخة في عرينِ السّماءِ!" ....

....

وهكذا نسجتُ ديواناً كاملاً على هذا الإيقاع المشبّع بعوالم الأديبة المبدعة أسماء غريب، وكم سرَّها فضاءات ما جاء في ديواني المستوحى من فضاءاتها الإبداعيّة، وعالمها الخلّاق، وردّت علي بعد أن قرأت الدِّيوان بما يلي:

"أنت يا أستاذي الفاضل منارة وشعلة من الأمل، ومن الإبداع والعطاء الرّاقي الذي لا حدود له، ولي عظيم الشَّرف، أن يكون اسمي وحرفي ضمن باقة الأسماء السَّامقة الّتي تشرفتْ وزهتْ بكتاباتك وأشعارك البهيّة عنها." .. "لك جزيل الشّكر على ما تفضّلتَ به من هديّة شعريّة ذات قيمة أدبيّة عالية وجدانيّة لا تقدَّر بثمن، لأنها كُتبت بماء الفضيلة والنُّبل والرُّقي .."". .....

د. أسماء غريب

***

وفيما كنتُ على تواصلٍ معها عبر الشَّبكة العنبكوتيّة، أشرتُ إليها على أنّني في سياق كتابة مقال أدبي عن فضائها الأدبي الرّاقي، فأجابتني قائلةً: انّني منذ أيام استكملت ديواني الشّعري: "**99 قصيدة لك**"، وأرى لو كتبتَ مقدِّمةً عن هذا الدِّيوان بدلاً من كتابة مقال عن أدبي، فقلت لها بديع، ارسلي إليَّ الدِّيوان، وأرسلته إليَّ ككتابٍ الكتروني على برنامج الوورد، كي أتمكّنَ من اقتطاف مقاطع من قصائدها أثناء كتابتي المقدِّمة، وقمتُ بإعداد مقالي كمدخل إلى المقدِّمة وبدأت أشتغل على استلهام مقدِّمة من فضاءات ديوانها، قرأتُ الدِّيوان بشغفٍ كبير، مرة ومرّتين وثلاث، أسلوب بديع في عرض ما ينتابها من رؤية وأفكار، يتميَّزُ أسلوبها بالبساطة والوضوح في بناءِ فضائها الفنّي، وبدأتُ أكتبُ أفكاراً وأنتقي مقاطع شعريّة من ديوانها كي أنسج مقدِّمتي بطريقة مناسبة كمقدِّمة وأشبه ما تكون دراسة عن الدّيوان، ووضعتُ في الاعتبار أن تكون بمثابة دراسة عن ديوانها كي أنشرها في جريدة الزَّمان الدَّوليّة، فولدت المقدّمة التّالية وكأنّها نص أدبي ودراسة مكثّفة عن فضاءِ ديوانها الشّعري "**99 قصيدة لكَ**"، وأهدت الدِّيوان عبر ثلاث كلمات "إلى زوجي باسم":

مقدّمة

الشَّاعرة أسماء غريب مشبَّعة بإشراقةِ وهجِ الرّوح

"من خلالِ قراءتي لتجربة الشّاعرة أسماء غريب، تلمَّستُ وكأنَّ حرفها مندلقٌ من خاصرةِ نيزكٍ، مشبَّعٌ بإشراقةِ وهجِ الرُّوح. حرفٌ يستنهضُ أحلاماً غافية بين وهادِ النِّسيان، منتشِلاً إيَّاها نحو ظلالِ القصيدة

البكر. تكتبُ نصَّها من وحي تراكمات مشارب ثقافيّة فكريّة أدبيّة حياتيّة غزيرة، كأنَّها في رحلةِ استكشافٍ حلميّة لاستشرافِ أنقى ما في تجاعيد الذَّاكرة، وتجسيدها في رحابِ خيالٍ فسيح متعانق مع تهاطلاتِ إشراقة الحرف على مرامي أسرارِ اللَّيل. حرفُها من طينِ المحبَّة، من مذاقِ قبلةِ الشَّمسِ لنسيمِ الصَّباح، من وهجِ عشقٍ معرَّشٍ في أدغالِ البساتين، من هدوءِ اللَّيلِ الهائم في عناقِ بهجة اندهاشِ القصائد!

تتدفَّقُ بانسيابيّة شفيفة بأفكارٍ ورؤى مجنّحة بأجنحةٍ مماثلة لطيورِ الجنَّة، تتناثرُ رؤاها على مسارِ بهاءِ الشِّعرِ، كأنّ عوالمها محبوكة بنغماتِ موسيقى متماهية مع تراقصاتِ خيالٍ متدفِّقٍ على إيقاعِ شلالٍ منسابٍ مع شهقةِ الفرح. تداعبُ عرشَ الحروفِ، وتغوصُ في أعماقِ دهشةِ الاشتعالِ، ثمّ ترسمُ بانتعاشٍ عارم رغبات مكتنزة في ظلالِ الرُّوحِ منذُ أمدٍ بعيد، حرفُها ينبعثُ من أشجارِ الحنين، ينسابُ خيالها بين شغافِ الحروفِ كرذاذاتِ مطرٍ ناعم، فتولدُ انبعاثات وميض البوح من أعماقِ أحلامٍ متوارية في متاهاتِ الزّمن، فتنسجُ ألقاً شعريَّاً متجدِّداً فوقَ سموِّ الابتهال.

كيفَ تلملمُ هذه الدَّهشة فوقَ هلالاتِ الحروفِ؟ هل تشكَّلت مزاميرها من حليب السَّنابل أم تبرعمت من مساحاتِ الخيال عبر انبلاجِ خيوطِ الشَّوقِ إلى هالاتِ قداسةِ الكلمة منذ أن انبثقت من قبَّةِ السّماء فوقَ سديم البحار، وانسابت مسترخيةً فوقَ ينابيع منارةِ الرّوح؟! كيف تموسقُ منارة البوح مع تيجان القصيدة، في أتون انشراخات هذا الزَّمان؟! زمنٌ تائهٌ في مهبِّ الانحدار، تنجو القصيدة من شفير الانزلاقِ في شراهاتِ العبورِ في فخاخِ الشُّرورِ، وحدَها القصيدة تناغي أبهى ما في ثمارِ الرّوح!

أسمعُ هدهداتِ اليمامِ في حنايا حرفها، تبتهلُ لحنينِ السّماءِ وتغدقُ أطيبَ الثِّمارِ فوقَ طراوةِ الأرضِ، تمتازُ بذاكرة مشبوبة بالصَّفاء كأنّها مصطفية من عذوبة البحر، فأرى شاعرة مشرئبّة برحيقِ حرفٍ مزدانٍ بأنوارِ شموعٍ حالمة بالضِّياء، شاعرة مفعمة بشذى بخورِ القناديل، تنثرُ بهاءَ القصيدِ على مساحاتِ حلمٍ مجدولٍ من ينابيعِ الرُّوحِ المبلَّلة بحبقِ الحياة. هل تستمدُّ بوحَها من إشراقةِ الشّمسِ، على إيقاعِ رفرفاتِ أجنحةِ العصافير في صباحٍ مندَّى بهبوبِ النَّسيمِ، أم من تراقصاتِ موجاتِ البحرِ، أو من بسمةِ الأطفالِ وهم يغفونَ فوقَ أبهى مآقي الزُّهورِ؟!

نصُّها يشبه طفلة مسكونة بعصافير النَّعيم، كأنّه متجذِّرٌ بأشجارٍ باسقة مخضَّلة بشهوةِ الاخضرار، وشامخة شموخَ جبالٍ مسروجة بحنينِ البحار، يبدو نصُّها في بعضِ تجلّياته كأنّه طنين نحلة تحومُ حول بهاء فراشاتٍ مسترخية فوقَ بتلاتِ زهرةٍ مكسوَّة بزغبِ القصيدِ، تلتقطُ صوراً هاربة من واحاتِ الخيال، مندهشة من قدرةِ الحرفِ على عبورِ أهازيج الرُّؤى المتناثرة فوق تيجانِ العمر. تموجُ حروفُها في ثنايا البوحِ فرحاً متماهياً معَ بهجةِ الطّبيعةِ، وتهمسُ لروحِها بكلّ انتعاشٍ، نِعمةُ النِّعَمِ أن نعانقَ روعةَ الغاباتِ، ونتمتّعَ بجمالِ الكونِ ونستوحي عبيرَ الحرفِ من خميرةِ الحياةِ.

عندما أقرؤها، أشعرُ وكأنَّ طاقة فرحٍ تغمر صباحي، تنعشُ ليلي الغافي على وشوشات البحر، شِعرها مصحوبٌ بتغريدِ الأملِ، مزدانٌ بتلاوين سموِّ الرّوحِ، حرفُها رسالةٌ ممهورةٌ بحفاوةِ العشقِ، هل تستلهمُ حرفَها من بخورِ الوفاء، من نورِ القداساتِ، من ابتهالاتِ شموخِ القلبِ؟! هل تكتبُ القصيدة من وحي تجلّياتِ الرّوحِ وهي تحلّقُ بين هلالاتِ زرقةِ السّماءِ، أم أنَّها تستلهمُ حرفَها من تلألؤاتِ النُّجوم الغافية بين منعرجاتِ أحلامِ الطُّفولة؟! .. طموحُها جانحٌ نحوَ الأعالي، مسربلٌ بهلالاتِ غيمة تهطلُ بهاءً فوقَ قبابِ سديمِ الرّوحِ، بحثاً عن نورانيّة قداسةِ الحرفِ، كأنَّها شاعرة مجبولة بأسرارِ الطّينِ الأوَّل، جانحة نحوَ خصوبةِ الرّوحِ المخضّلة بيراعِ الاخضرارِ، تنقشُ هواجس الحنين فوقَ نضارةِ مويجات البحر، مستلهمةً من شهوةِ الغابات، مسارات العبور إلى مذاقِ الحروفِ ودهشةِ الانبهار، تسرجُ حفاوةَ الحرفِ من نكهةِ التّينِ المتدلّى فوقَ عناقيدِ العنبِ، بحثاً عن مساحاتِ بوحٍ شعري متآلف مع آفاقِ الخيال، ورغبةً في العبورِ في مرامي أحلامِها المجدولة بأريجِ أبهى الأزاهير.

تستنهضُ مخيّلتها طاقاتٍ دفينة، تستعيدُها من الأغوارِ السَّحيقة وتفرشها فوقَ أوجاعِ الأمّهاتِ الهاربات من ضجرِ اللَّيلِ الطَّويل، تبلسمُ حروفُها الجراحَ النّازفة من شراهةِ نيرانِ الحروبِ المندلقة من رؤى بليدة، غارقة في الانشراخ. تمتلكُ وئاماً بهيَّاً معَ قلقِ الرُّوحِ، وتزرعُ حرفها فوقَ قلوبٍ عطشى للمطر، يتهادى حرفها مثل نوارسِ البحرِ فوقَ رشقةِ الأمواجِ، راسماً فوقَ أجنحةِ النَّوارسِ صفاءَ البحرِ وشوقَ القصيدة إلى أشجارِ البيتِ العتيق، تطفحُ عيناها ألقاً إلى كتابة نصٍّ من خصوباتِ دهشةِ الانبهار! ..

حرفُها مكتنزٌ بثمارٍ شهيّة، تتهاطلُ رفرفاتُه من أجنحةِ قلبٍ معرَّشٍ بنسغِ المحبّة، فتنقشعُ خلال انبعاثات شهوة الحرفِ، كلُّ الأحزانِ والمراراتِ العالقة في سراديبِ الرُّوحِ، وتصفو الرُّوحُ من الشَّوائبِ العالقة في هلالاتها على مدى هبوب الغبارِ على وجه الدُّنيا، تسمو روحُها الشَّفيفة عاليةً، متطهّرة من أدرانِ الحياةِ، شوقاً إلى معانقة سموِّ السَّماءِ في ليلةٍ مكلَّلةٍ بأغصانِ الزَّيتونِ على خفقةِ رفرفاتِ حمائم السَّلام، محلّقةً فوقَ مآقي المدائن، قاصدةً ملاذ الرّوح في عرشِ الأزل كي تنعمَ في مروجِ النَّعيمِ على مدى بهجاتِ الانبعاث. تهفو إلى عناقِ حرفٍ مصفّى كالماءِ الزُّلال! .. بهجةٌ غامرة تسربلني كلّما توغَّلتُ في تجاويفِ الخيال المنساب من حبورِ بوحِها المنبلج من لجينِ الأفكارِ المنسوجة من شراعِ الأفراحِ المرفرفة فوقَ مآقي الحنين إلى شموخِ تيجانِ المدائن. تبدو أحياناً مكفهرّة الحرفِ من تصادمات بعض البشر وابتعادهم المخيف عن جوهر الحياة. حبرُها يناجي الحيارى، حاملاً بين ثغرِه مهاميز السُّؤال.

ألامسُ زغبَ الحرفِ، يبدو في الكثير من وهادِهِ، كأنّه مجبول من رعشة طيرٍ يلهو معَ نسائم الصَّباح، يمنحنُي حرفُها أجنحةً وارفة بألقِ السُّموِّ، فأشعرُ أنّي أحلّقُ عالياً وأداعبُ ضياءَ القمر، تضيءُ القصيدةُ معالمَ الطَّريقِ، وتخفّفُ من سماكاتِ السَّديمِ فوقَ أحداقِ العيون.

لا تكتبُ القصيدةَ كلمةً كلمةً، تغمرها الرُّؤى كشلَّالِ فرحٍ منبعثٍ من إشراقةِ الشّمسِ، وتسربلُها حتَّى الامتلاء خلال توهُّجات شهقة العبور في حنايا تجلّياتِ خصوبةِ الإبداعِ؟!

***

أسماء غريب قامة أدبيّة باسقة، شاعرة مخضّلة بتوهّجاتِ حرفٍ مكوَّرٍ بألقِ الانبهار، مشبّعة بينابيع شعريّة صافية كنسيم اللَّيل العليل، تسعى منذ أن غاصت في أسرارِ الحرفِ، أن تغدقَ ألقَ الانبعاث نحو أقصى مسارات وهجِ الاشتعال، كي تطهّرَ الرّوحَ من شوائبِ الحياةِ، عبر ابتهالاتِ بوحِ القصيدة.

كلَّما عبرتُ معالم حرفها، رأيتُهُ مبلَّلاً بأعشابِ الطُّفولة، لما فيه من أصالة مترعرعة في أنساغِ حنينها إلى البيوت العتيقة، العالقة في أخاديدِ الذَّاكرة، متوجّهةً نحو التِّلالِ البعيدة، بحثاً عن أسراب الحمام كي تنسجَ قصيدتها على أنغامِ هديلها الطَّافح بالوئامِ بين شهيقِ الكائنات.

شاعرة منشرحة القلب، تسمو عالياً على إيقاعِ خيالٍ مجنَّحٍ نحو قِبابِ الوئام، تهفو أن تزرعَ هدهدات بهجة الرّوح في لجينِ السَّديمِ المتناثرِ فوقَ مآقي الغمام. تنسج أحلامها الوارفة فوق جبينِ الصَّباح، مسترسلة في حفاوة عناقٍ متدفّقٍ مع حبّاتِ المطر، راسمة بسمة الحرف بطراوةٍ منعشة فوقَ مسارِ تجلّياتِ الخيال، مستلهمةً من وهجِ الشَّمسِ جموحَ شهوةِ الانبعاث!

الشّاعرة أسماء غريب، حالة شعريّة نقديّة ثقافيّة فريدة في تمايزها في بناءِ رحابةِ شعرها، وانفراجِ مسارات نقدها، ودقّة غوصها في معالم النُّصوص الَّتي تعكف على ترجماتها، حيث تتوغَّل في فضاءاتِ الشَّاعر وتقرأ بشغفٍ عميق مسارات شاهقة من تجربته، وكأنّها إزاء بحثٍ تحليلي عميق عن أسرارِ بهاء الحرفِ، إلى أن تبني صورة عميقة عن إبداع الشّاعر الَّذي تنوي ترجمة نصوصه، ثمَّ تبدأ بترجمة قصائد الشّاعر، فيسهل عليها العبور عميقاً في الظِّلال الخفيّة للشاعر، ولهذا عندما أقرأُ نصوصها الَّتي ترجمتْها، تبدو لي وكأنّني أقرأ نصَّاً أصيلاً وليس مترجَماً، فهي تمتلكُ مهارات وتقنيات نقل الوهج الشِّعري، والألق الأدبي، عبر الصُّورة المماثلة للغة المنقولة إليها بهاءات النُّصوص المترجَمة، وكلّ هذه الرُّؤى السَّديدة، ساهمت في تعميق تجلّيات آفاقها الشِّعريّة عندما تسبغ فوق حرفها خيوطَ الانبعاث!

***

توقَّفتُ مليّاً عند ديوان الشّاعرة أسماء غريب، "**99 قصيدة عنكَ**"، بعد أن تمعَّنتُ في لوحة الغلاف كمفتتح للولوج إلى فضاءات الدِّيوان، لوحة معبِّرة عن فحوى القصائد، يتسبَّحُ إسم الله في قرص الشَّمس الوهّاج وفي ضياءِ القمر وتلألؤات النّجوم في قبّةِ السّماء القمراء. يتوسَّط اللَّوحة شموخ كائن له جناحان سامقان، اخضرار الزُّهور في قبّة السّماء. يبدو واضحاً أنّها كتبت 99 قصيدة لتمجيد وتسبيح الله في الأعالي، هذه القصائد هي ترميزات قداسة الله كما جسّدتها الشَّاعرة في متون قصائدها الَّتي استلهمتها من جلالة مجد الله، فتراه ممجَّداً وساطعاً هذا الإله القدُّوس في الأرض والسَّماء، وفي كلِّ مكان، لأنّه نور الحياة، فترسم

الفنّانة الشّاعرة لوحة غلافها من وحي فضاءات ديوانها المستلهم من تجلّيات سموّ الله في فضاءات الأرض والسَّماء الرَّحبة. أسماء غريب شاعرة رهيفة عبر اللَّون، وفنّانة جامحة عبر الكلمة الممراحة. تنسج الشَّاعرة "قصيدة ذهبيّة" عبر تدفُّقات سامية في بحار قداسة الله وفضاءات الأنبياء والقدّيسين الّذين أرسلهم للعالم لتمجيد اسمه في الأرض والسَّماء!

إنّها فردوسٌ من الشّمُوس والأقمَار والكواكبِ
إنّهَا محيطٌ أخضر ونوارسٌ بيضٌ
بلْ قلبٌ صبٌّ متيّم
وأشجارٌ مِنَ المنّ والسّلوى
إنّها أنتَ يا إلهي
قالتِ الطّفلة بلسانٍ ألثغ
ثم غاصَتْ في محيطِي الأخضَر
أنا القصيدة الذَّهبيّة.

تجنحُ الشّاعرة نحو ذاتها الصَّافية صفاء الرّوح المنبعثة من سموّ إله أزلي في بهاء السَّماء، كما تهفو عبر نصَّها إلى إله يصفّي الرّوح من الجشاعةِ والشَّراهةِ، بحثاً عن حنوّ دَمعةٍ منسابةٍ من مآقي السَّماء.

حِينمَا فَتَحْتُهَا وَجَدْتُ فيهَا دَمْعَتَكَ العَظِيمَة يَا إلهِي
فشَرِبْتُهَا وَجَلسْنَا مَعاً؛ أنْتَ وَأنَا نَبْكِي وَنَبْكِي
إلى أنْ سَمِعَنَا العِيدُ فطرقَ بَابنَا وقال حِطّة
ثمّ جلس إلى مَائدَتِنا يبْكِي هُو الآخر
فوقفتُ وطَفِقْتُ أمسحُ بيدِي دَمْعَكَ ودَمْعَهُ يا إلهِي.

تنسجُ عبر نصّها ليالٍ مخضَّبة بنِعَمِ السّماء المتهاطلة على الأرض، من خلال اتّحاد اللَّاهوت بالنّاسوت لإنقاذ العالم من تبعات الخطيئة الأولى، وهجٌ شعري ينبعثُ من أعماقِ تجلّياتِ بوحِ الرُّوح!

ثمَّ بعدَ الصَّحوِ بقيتَ فصرْتَ الجمعَ وصرْتُ الكثرة
وظهرتَ لي وظهرتُ لكَ وحبلتُ في الختام بكَ مِنكَ
فصرتَ ابني وصرتُ ابنتكَ وقام فيكَ عيسايَ وقامتْ فيّ مريمُكَ
وعُدنا على بدء نبكِي بدل الدّمع دماً
لا أنت تعرف لبكائنا سبباً ولا أنا أدري لِمَ!

ترى الشّاعرة أنَّ الحبّ المقدّس طريقنا إلى أسمى حبورِ الفراديس، تستلهمُ مزار العشق من وحي رحاب الحبِّ الأزلي المنبعث من روح الإله.

أعرفُهُ جيّداً:
إنّهُ أبي الموشومُ بصُلبانِ المحبّة

تمتلكُ رؤية جانحة نحو أغصان المحبّة المبلَّلة بالسَّلام. وفي نصّ "حديث النّواعير العشر"، تزهو الشّاعرة بابتهالات النّواعير المزدانة بماء الحياة، عبر لغة متناغمة مع بهجةِ روحٍ مرفرفة فوقَ بهاء روعةِ الغسق!

عرُوسَتي صاحبةُ التّاجِ والهوْدَج الأزرق
.... أنا اليدُ الَّتي تمْسَحُ دموعكَ ساعة الحنينِ
وتغسلُ جراحَك عنْد الغسَق

تنسجُ حرفها بليونةٍ كأنّها تناجي السَّماء عن أسرارِ بوحِ القصائد، وتستوحي من أريجِ الحياة ألقَ القصيدة، فتزهرُ الأبديّة عبر حرفها من خلال مذاق الموت، فهو بوّابة العبور إلى معراج النّعيم في روضِ السّماء!

ألمْ أقُلْ لك يوماً يا صديقي دعك قريباً من باب الموت
فهو بابُ الحياةِ وبابُ شجرة العسل الأزرق

تترجم تساؤلات عديدة، مفتوحة على شساعة خيالٍ مجنّح نحوَ مرامي الإيمان.

سُؤالكَ ألسنةٌ من نارٍ
وسِيَاطٌ منْ لهبٍ أزرق
وجوابِي بحارٌ ومحيطاتٌ
لا تطفئُ عطشَ ظمآنٍ أبداً

تطرحُ الشّاعرة أزليّة الحي الدَّائم الَّذي لا يموت، وفناء الإنسان الجسد. وكأنّها تنادي بسموِّ ونقاء الرُّوح، للوصولِ إلى فراديسِ الأزلِ، المعدَّة للبشر الأنقياء من قبل الإله في نعيمِ السّماء.

أنتِ يا ذاتَ العَرْش البَالي المُبْتلى
والرَّأس الغَافلَةِ عن أبدِيّتي، أنا الحيُّ القيّومُ
الدّائمُ الَّذي لا يفْنى ولا يمُوتُ.

تسعى الشّاعرة عشقيَّاً عبر بنائها الشِّعري نحو مملكة العشق الأزلي، لأنّها ترى العشق الحقيقي في الملكوت السَّماوي وكل ما عداه عشقٌ مؤقّت وزائل لا محال!

أريدُ أن أقبّلكِ
أن أرقصَ معكِ
فوقَ حبْلِ الفرحِ والسّعادةِ
وأركضُ خلفكِ
إلى ما وراء سدرة المُنتهى

يجسُّ حرفها نبض مادّيات هذه الحياة، فتبدو النّار رغم أجيجها كتلة من رماد، وكل ما يدبُّ على الأرض، كائنات عابرة وآنيّة، فلا تصعد إلى أمجاد الأعالي إلّا الرّوح الصّافية! .. تكتب حرفها من وحي رحاب المبدعين، بحثاً عن تجديد روح القصيدة.

لا تنمْ يا شمسَ تبريز اللَّيلة
فبيكاسو مازال يبحثُ عن نقطة الجمال الحقيقيّ
عن تلكَ الأنثى الَّتي يتغنّى بِها الشُّعراءُ
ويقعُ في حبّها الرّسامون والنّحاتون
تلك العذراءُ الَّتي تُطهّر القلوبَ والأجسادَ
منْ عبثِ الزَّمَان وسطوةِ الأيّام

تغوصُ في نصوصٍ، جذورها معرّشة في زرقة السّماء، نصُّها أغصانُ عشقٍ مبرعمة في بحارِ العناقِ. تبدو في حالةِ بحثٍ دائم عن جرار الطّين المشويّة بألقِ القصيدة، وتجلّيات الذَّات إلى أقاصي المحبّة. تتوّج حالة الانصهار في الحبِّ والعشق إلى درجة التّماهي في هذه الحالات. وترسم الشَّاعرة شموخ سومر فوق قباب السَّلام، مجسِّدةً مرامي أولى الحضارات!

سومر يا هُو يا أنتَ يا أنا،
يا هديلَ الحمام فوقَ القبابِ

ترفعُ رايةَ المسرّة عبر حروفها الَّتي تدفَّقت نوراً فوقَ مرامي الكائنات، فوقَ أحلامِ البشر. نصٌّ محبوك على مهجةِ العبور إلى تيجانِ المحبّة. تكتب بغزارة وتجنح رؤاها أحياناً عبر تدفُّقاتها الشِّعريّة نحو عوالم سورياليّة حلميّة شفيفة، تتميّز برحابةِ آفاقِ الخيال المكتنز بصورٍ تصدحُ بالجمال.

حينمَا أكلتُ الشَّمسَ
أنا طائرَ الحُلم الزّبرجدي
تحوّل وَجهي إلى عَيْن من اللُّؤلؤ
وقلبِي إلى قزحيّة مِن الزّمُردِ

وجِذعي إلى بُؤبؤ من اليَاقوت الأزرَقِ

تغوص الشَّاعرة في أعماق النَّفس، لتزرع الثّقة النَّاصعة في النّفس، مستفيدةً من كلِّ لحظة في الحياة، بحثاً عن جوهر الحياة عبر رحلة حواريّة بديعة حول الحبِّ وما يعترضه في الحياة من صعوبات ومشقَّات ولكن الوصول إلى الهدف ممكن عبر المحبّة. بناءٌ شعريٌّ متين في بساطته وآفاقه وتهويماته البديعة.

آلو، هلْ مَازلتَ مَعِي عَلى الخَطّ؟
لا تنسَ أنْ تُعَانقَ أهلكَ
وأنْ تحْمِلَ مَعكَ رفيقَ الطّريقِ:
كتابَكَ الذَّهبيّ وزهْرتكَ الحَمْراء
وامشِ إلى أنْ تصِل إلى جَبَلِ النّار
ستجدُني فِي انتظارِكَ هُناكَ
كيْ نمْشي مَعاً فوقَ أخْدودِ الجمْرِ

هناك تجسيد عميق في قصائدها لمساحات الوئام وأجنحة الحمام في ضياء الكون!

قصيدتي الخفيّة طائرٌ صغيرٌ جدّاً
لهُ خمسةُ عيون وعشرة أجنحة.
عند كلّ فجر حينما يعودُ إلى جسدي
يبدأ في اللّعب بالطّينِ والماءِ
كيْ يصنعَ لي في كلّ يوم
اثنتي عشرة حمامة

تحلّق الشّاعرة في فضاءات الحكمة، مستلهمةً ألق القصائد من ألوانِ الحياة. تنسج نصَّها من كنهِ الميتافيزيق، كأنّها في حالة تحليق نحو نضارة الأعالي.

عجبي كيفَ أقيمُ بينَ جوانحكَ ولا ترانِي
وكيف أنّي بيْنَ بُطَيْنِ قلبكَ وأُذَيْنهِ ولا ترانِي
فمَتى تنزعُ عنكَ حِجابَ الزّرقة
كيْ يقع التّجلّي فترانِي؟!

تتواصل مع قوى البشر من خلال مناجاة الله وتجسيد رؤى حكيمة في غدنا الآتي. تترك الشَّاعرة تساؤلات مفتوحة على آفاق الخيال، عبر مهاميز بوح القصيدة.

إلهي، لِمَ جعلتِني حمامةً تطيرُ وتغنّي أعذبَ الألحان
تطيرُ وتُغنّي فوقَ الأنهار والأشجار
فوق الصّحاري وفوق البحَار
وفَوقَ قمَم أحرام الجامعات وساحاتِ المطارات؟

تتوقّف الشّاعرة عند حالات ارتباك المرء من تنافرات وتناقضات الكثير من مواقف الحياة، وتكتب عن الأمل والبحث عن معاني الأمل عبر تراميز القصائد. تشبّه الحبيب، الصّديق، بكلِّ ما هو متألّق وفتّان، ولديها انصهار عميق في الذّات الإلهيّة والجمال والسُّمو نحو الأعالي.

كلّ ما أريدُه، نظرةَ عشقٍ حارقةٍ مِنكَ
كلّما سجدتُ لكَ عند السّحَر ..

تتحدَّث عن عاشق من روعةِ بساتين الخميلة. وتطرح تساؤلات مفتوحة عن منائر العلوم، ومسار الحرف في منعرجات الحياة! تستخدم الشّاعرة ترميزات عبر نصّها حول علاقة الرُّوح بالجسد وعلاقة الأرض بالسَّماء بأسلوب يتماهى مع معراج العشق الإلهي. تتألّقُ في مناجاة البحار والرُّوح الصّافية، عشق في رحاب الزّمن. وترى أنَّ مرامي الحياة تنبع من لبِّ الحرف وجوهر رؤانا، إنّه طريقنا إلى أقاصي التَّجلّي. تبحث عن الحرّيّة، فلا تجد إلّا أصفاداً تحاصر ليلها الغارق في أوتادِ السُّؤال. وتنسج طموحات مزهوّة بألقِ النَّعيمِ من خلالِ مناجاةِ ينابيع صفوة الإيمان.

تجنح الشّاعرة نحو بناءِ نصٍّ شعريٍّ واضح، تهدف إيصال الصّورة الشّعريّة بليونةٍ فريدة، بعيداً عن أيّةِ ترميزات ضبابيّة، مركّزةً على ثقافتها العميقة وموروثها الثّقافي المنفتح على آفاق تطلُّعاتها الّتي تصبُّ في رحابِ الينابيع الصّافية. ونجدُ لدى الشّاعرة روحاً ثوريّة على كلِّ ما هو متحجّر، فترى الشّاعرة أنَّ للحرف، للنقطة، للشعر قوّة وتأثير على آفاق حياتنا على مدى تاريخ الحضارات، وصولاً إلى الوقت الرّاهن!

سأثور عليكَ كيْ أعِيدَ ترتيبَ حُرُوفِ الأبْجَدِيّة
وأعِيدَ إلى العُشّاق نُقْطَةَ رَبِيعِهِمُ المَفْقُود
ونُقْطَةَ شَمْسِهِم الدّامية وَسَط القُلوب
وأضَعَ نُقطَة نِظَامٍ جَديدَة وَسَط مُجَلّدِ التَّارِيخِ
المُطَرّز بالتّرهَاتِ وَالأكَاذِيبِ.

وترى أنَّ تطهير كلّ شوائب الحياة، يتمُّ عبر نار المحبّة والصّفاء والحكمة والنّزوع نحو سموِّ السَّماء! فتناجي المشاعر الدَّفينة، المعشَّشة في أعماق القلوب، ثمَّ تغوص عميقاً في مرامي العلوم عبر تساؤلات

لأسرار السّماء! تتماهى مع روعة الحياة كأنّها جزء من روحانيّة الشّاعرة ومبرعمة في عوالمها الخاصّة. تصف الشَّاعرة صبيّة متوغِّلة في صفاء اللَّيل، كأنّها زهرة مبرعمة في جفون القصيدة. هناك حالة انصهار مع الحبيب، كما تتواصل مع أبجديات الجذور، فترى رحاب الأجداد من منظورٍ شعريٍّ أخّاذ.

تفتح آفاق جديدة في لغتها الشِّعريّة، لما تقدّمه من التماعات شعريّة تفرشها على فرادة حضارات الشَّرق. حيث نتلمّس في قصيدة "رأيتُ صليبي"، كيف تجسّد الحق والعدالة المشعّة إلى نورٍ عبر شعاعَين!

رأيتُ بالأمسِ صليبي
كان أمامي لا فوقَ ظهري
كان شمساً انشطرت إلى شعاعَين

ثمَّ تكتب عن البئر والبحر، كأنّها معادلتان متكاملتان، لتصفية شوائب الحياة. وفي قصيدة "الآن تذكَّرتُ"، تضع الشَّاعرة يدها على دروب النِّفاق المتفاقمة عند بعضهم، يبحثون عن الضّلال، مع أنّها تريدهم أن يسيروا في طريق الصَّواب ويكونوا أباطرة زمانهم وفي قمّة القمم، لهذا نراها تسلّط قلمها على المغرورين والمتعالين والتَّائهين خلف مجدٍ من سراب، وتنظر الشَّاعرة نظرة فسيحة في تحليل مبدعي الآداب الرَّفيعة، أمثال باخ وكانت وبودلير حيث تقول:

سألتُ الأوّلَ عن العَلاقةِ بين المُوسِيقى والرّياضِيات
والثّاني عن العَلاقة بين الله والعقلِ المَحض والسّعادة
والثَّالثَ عن علاقة كُلّ هذا بالشّعر
فقَام "شارل" وسَقانِي مِن كأسِه حرْفاً
لا شيءَ فيه سِوى القلب
وقام "إيمانويل" وأعْطانِي صحْناً
لا شيءَ فيه سوى نسغ العقلِ
لكن حينما قَام "سيبستيان" عَزفَ لي مَقْطوعة
رقصَ لهَا قلْبي وعقْلي

وفي قصيدة "كافكَا تحتَ السّرير"، لا تتوانى الشَّاعرة من التّشكُّك ونقد الآخر حتّى ولو كان كافكا، وتغوص في لبِّ الفلسفة ومتاهاتها وأعماقها وبديلها كما في قصيدة "صديقي فرويد".

أسماء غريب شاعرة حروفيّة رصينة، ففي قصيدة "مكتبةُ النّقْطَةِ الذّهبيّة"، تناجي الله على نعمة السّماء المتهاطلة علينا. وفي قصيدة "مُحَاكَمَة النُّقْطَةِ"، نرى هجوماً على النّقطة، على الأشرار والطُّغاة والقساة. وفي قصيدة "السَّيف الذَهبي"، نجدُها تتواصلُ مع عرين المدائن المعتّقة بألق العطاء، حيث تقول:

إلهي،
مُنذ ذلك الحين ورَسُولتك الزّينبيّةُ النُّقطة والحرفِ
تزورني تارةً من دمشق
وتارةً من بغدادَ وتارات أخرى من البتراء
كي تذيبَ كالحدّاد بالنّار تراب المَوْتِ الجسديّ

ثمَّ تجنحُ في قصيدة "غُصنٌ من اليُشب الأحمر"، نحوَ صورٍ عشقيّة متماهية مع المحبوب برهافةٍ شاعريّة. وفي "رسولُ العشق"، تنسابُ تدفُّقات عشقيّة بإيقاع رومانسي شفيف، .. وفي "ساعي البريد"، تنسج الشَّاعرة تواصلاً رهيفاً بين الجماد والكائنات والأجرام السَّماويّة كالنّيازك وتلألؤاتِ النُّجوم.

ولا تتوانى الشَّاعرة أن تنتقد واقع الشَّرق المرير عبر نصوصها، وتضع يدها على الجراح المستولدة من شراهات الدّمار المتفاقم على شعوبٍ بريئة. وفي قصيدة "زَمْزَمْ"، نقرأ نصَّاً مستوحى من صفاء الرُّوح، وفي "صباحُ الخيرِ سَاكورا"، تبثُّ رسالة عتاب شعريّة، ونقرأ نصوصاً مفعمة بفضاءاتِ السُّؤال! ولا يفوتها الاحتفاء بشعراء لهم قاماتهم الإبداعيّة، واستلهام العديد من القصائد من عوالم الأنبياء وسموِّ عشقهم وصفائهم الرّوحي، فتناجي بابتهالٍ عميق سموَّ الله والأنبياء والرُّسل والقدِّيسين والقدِّيسات.

الشَّاعرة أسماء غريب تجسِّدُ عبر فضاءاتها الشِّعريّة وعبر هذا الدِّيوان، تجربةً شفيفة كنسمةِ الصَّباح، تحبُكُ شِعرها عبر تأمُّلات وتجلِّيات روحيّة مفعمة بالوئام ومتشرِّبة بكنوزِ المعرفة الإنسانيّة الخلَّاقة!" .

***

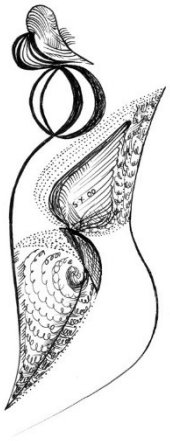

عطاءات إبداعيّة متبادلة

وضمن هذه الفترة من العطاءات الإبداعيّة المتبادلة، اطَّلعت الأديبة أسماء غريب على نصِّي الشِّعري: أنشودة الحياة، بأجزائها العشرة، وتوقّفت عند الجزء الخامس: "**السَّلام أعمق من البحار**"، وقرَّرت ترجمته إلى اللُّغة الإيطاليّة وبنفس الوقت وضعتْ في الاعتبار إعداد دراسة نقديّة عن مجمل أدبي وفنّي وخاصةً الّذي وجدت فيه جموحاً نحو فضاءات السَّلام والحب والفرح والوئام بين البشر، وبدأت تقرأ إصداراتي الشِّعريّة والقصصيّة والنُّصوص الأدبيّة والمقالات، ورواياتي وحواراتي بما فيها "حوار مع الذَّات"، كي تدرج دراستها مع الدّيوان المترجَم وتقدِّم الدِّيوان والدِّراسة للقارئ الإيطالي، ووضعت العنوان التّالي لدراستها:

[إنسانُ السَّلام: مَنْ هُوَ وكيفَ يَتكوّن؟، تجربة صبري يوسف الإبداعيّة أنموذجاً]، أهدت الدِّراسة إلى أمِّي: (إلى سيدة عيسى الرّديف)، وتضمّنت الدِّراسة العناوين التّالية:

(I) **فلسفة اللِّقاء والاكتشاف؟**

(II) **صبري يوسف روح متغلغلة في الطَّبيعة**

(III) **أمومة مثلَّثة: سيدة صامو شلو، ديريك، مريم**

(IV) **علوم الرِّياضيات وإنسان السَّلام عند صبري يوسف**

وقامت بترجمة هذه الدِّراسة إلى الإيطاليّة أيضاً وأدرجتها في نهاية ترجمتها لديوان "السَّلام أعمق من البحار"، وبعد أن أعدَّت د. أسماء غريب ترجمة ديواني "السَّلام أعمق من البحار"، إلى الإيطالية، ودقّقته وصاغته صياغة نهائيّة مع ترجمة الدِّراسة عن أدبي وفنّي وترجمتها إلى الإيطاليّة أيضاً ونشرت الدِّيوان مذيّلاً بالدِّراسة في آب (أغسطس) عام 2016 عن دار "إديزيونا أريانا" الإيطاليّة، "ediziona arianna"، بغلاف جميل صمّمه الفنّان التّشكيلي المبدع جان استيفو بحلّة قشيبة بالتّنسيق مع المترجمة ومعي، وهذا ما قادني إلى الغوص عميقاً من جديد في كتابات هذه الأديبة المبدعة، والتّفكير بإعداد حوار موسوعي معها حول تجربتها الإبداعيّة بمختلف الأجناس الأدبيّة الّتي تطرقها بحرفيّة وتقنيّات عالية، حيث كنتُ آنذاك غائصاً أيضاً في ترتيبات إعداد "حوار مع الذّات، ألف سؤال وسؤال"، وشعرت برغبة وشغفٍ عميقَين لإعداد حوار موسَّع مع هذه المبدعة الخلّاقة، جنباً إلى جنب مع الحوار مع ذاتي، لما فيها من طاقات أدبيّة مدهشة تستحقُّ الوقوف عندها مليَّاً، وإجراء حوار موسوعي معها، كي أنبشَ ما في أعماقها من تجلّيات خفيّة كي تظهر على أرض الواقع، وخلال ثلاثة أيام متتالية من الأسبوع الأخير من عام 2016، تفرّغتُ كلّياً لإعداد حوار معها تضمّن مئة سؤال حول مجمل تجربتها الأدبيّة والفنّية، وكنتُ قد اطلعتُ على تجربتها بشتّى الأجناس الأدبية، وادهشتني بغزارة ونوعيّة انتاجها الأدبي، وحرفيّتها العالية، فجاءت أسئلتي وكأنّها دراسة عميقة لفضائها الإبداعي منذ إصدارها الأوَّل حتى آخر إصدار لها من عام 2016 و 2017، و 2018، وتركت لها الخيار بالإجابة عن حواري على مدى عام، عامين لأنّني أعتبر هكذا حوار أشبه ما يكون عملاً أدبيَّاً إبداعيَّاً وليس حواراً تقليديّاً عابراً، ويتطلَّب تفرّغاً وجوَّاً مناسباً للغوص عميقاً في فضاءات تساؤلاتي الّتي كانت تتفرّع أحياناً إلى شقَّين وأكثر، حول تجربتها الممتدَّة على مدى سنين رحبة في الكتابة الأدبيّة والتَّرجمة والدِّراسات التّحليليّة والنّقديّة، وقد وجدتُ دقّة متناهية في عملها، وبدَت لي كأنّها مترهبنة للأدب والإبداع والحرف، ورفعت راية الكلمة عالياً، وبدأت تجيب عن تساؤلاتي بشغفٍ مفعمٍ بالعمقِ، وأنجزت على مدى عام 2017 القسم الأوَّل من الحوار وأجابت عن 50 سؤال من أصل مئة سؤال، وتمَّ نشر الحوار في العدد الخامس من مجلّة السَّلام الدَّوليّة الّتي صدرت في العشرين من كانون الأوَّل (ديسمبر)، ثمَّ أجابت عن بقيّة الأسئلة في عام 2018 وتمَّ نشر هذا القسم من الحوار في العدد السّادس من مجلّة السَّلام الدّوليّة، وأصدرت القسم الأوَّل والثَّاني معاً، ضمن كتاب في أدب الحوار عن دار الفرات للثقافة والإعلام في بغداد، تحت عنوان: رحلة المئة سؤال وجواب، ولاقى الكتاب صدى طيّباً في الأوساط الثَّقافيّة والمهتمّين بقراءة هكذا جنس أدبي حول فضاءات: أدب الحوار. فيما يلي تقديمي كاستهلال للحوار، والأسئلة وبعض إجابات الأديبة أسماء غريب عنها، وبعض تعقيباتي عن ردودها وحوارها!

استهلال

ما الدَّافع الَّذي دفعني لإجراء هذا الحوار مع الأديبة المبدعة أسماء غريب، في نفس الوقت الَّذي أجريتُ "حواراً مع الذّات (ذاتي)، ألف سؤال وسؤال" على مدى الشُّهور الثّمانية الأولى من هذا العام 2017؟! لأنّني لو لم أجرِ هذا الحوار معي في حينه ما كنتُ سأتمكّن من إجرائه أبداً بهذا الشُّمول!!!

ليس سهلاً أن تحاور شخصيّة أدبيّة سامقة مثل الأديبة والشّاعرة والنّاقدة المغربيّة د. أسماء غريب حول تجربتها الأدبيّة والنّقديّة والفكريّة والفنّيّة بكلِّ شمولها وتفاصيلها، وقد بدا لي هذا جليّاً من خلال اِطّلاعي على أدبها ودراساتها النّقديّة وشعرها ونثرها ونصوصها، وتوغّلي في بهاء تشكيل لونها وترميزاتها المتناغمة مع رؤاها في الحياة، فهي تكتبُ وفي ذهنها وفكرها وخيالها مشروع إبداعي فكري روحي، تترجمه عبر حرفها المضمّخ بالمحبّة والفرح والأمل والسَّلام وأرقى ما في إنسانيّة الإنسان، فهي مبدعة شامخة على أكثر من مسارٍ إبداعي، تعرّشتْ عميقاً بالحرف والكتابة منذ أن كانت يافعة، كأنّ طينتها محبوكة من الأعالي وانبعثت نحو خصوبة الأرض كي تُحبكَ لنا أشهى ما لديها من تجلّيات الإبداع المتهاطلة عليها من سموِّ السَّماء، ومن تدفُّقات مخيالها وشفافيّة روحها، وروعة آفاقها الجامحة نحو مرامي السَّلام، وهي أشبه ما تكون راهبة جامحة نحو مرافئ الكلمة الخلَّاقة، وكلّما توغَّلتُ في فضاءات كتاباتها، تلمَّستُ ينابيع رقراقة تتدفّقُ من انبعاثات إبداعها، لهذا رأيتني أغوصُ في عوالم كتاباتها على مدى أكثر من خمس سنوات، أقرأ كل ما وقع تحت عيني وبصيرتي من تجلّياتها الشّاهقة، فآسرني حرفها، وقدّمتْ لي فضاءً متميّزاً لم ألمسه عند الكثير من كتَّاب وكاتبات الضّاد من حيث جموحها الرُّوحاني الشّفاف، وطينتها الإنسانيّة الرّاقية، حتَّى يُخيلّ إليّ أنّها هديّة الأعالي، أرسلتْها لنا آلهة الحبّ والفرح والعطاء من فوق، من عرين السَّماء كي تقدِّم لنا كل هذا الجمال الأدبي والفكري والرُّوحي، وهي مبدعة من طراز الأزاهير الفوّاحة، لأنَّ جلّ تركيزها هو تقديم أبهى ما في الجمال والخير والمحبّة والفضيلة والسّلام للبشر كلّ البشر. وتبدو لي المبدعة أسماء غريب، هذه الكاتبة الإنسانة الرّهيفة، النّقيّة، الصّافية، المجنّحة نحو الينابيع العذبة، كأنّها بأشدِّ الشَّوق أن تسقي عطاشى هذا العالم من مائها العذب الّذي تنثره كحبَّات المطر على وجه الدُّنيا عبر حرفها المعبّق كنداوة نسيم الصَّباح، حيث أغلب كتاباتها تقطفها في الصَّباح الباكر، بعد أن تتأمَّلَ عميقاً فيما يراودها من رؤى وأفكار خلَّاقة، فتأتي نصوصها مبرعمة بألق الشَّفق الصَّباحي وهلالات بوح المطر، فهي غزيرة الأفكار والانبعاثات الرَّاقية، وهذا الفيض يتدفّقُ من عوالمها الباطنيّة المكتنزة بتلألؤات النّجوم وسطوع القمر، ووميض النّيازك، فيأتي حرفها معبَّقاً بأريجِ السَّوسنِ والنّرجس البرّي وشهوة انبعاث الأمل من مآقي السَّماء، فتنسجُ حرفها وهي معتكفة في محرابها وفي أوج ألقها وصفاء روحها كأنّها في رحلة ابتهاليّة بهيجة تطوف في مروجِ الكون، وترسم تطوافها بمتعةٍ غامرة، وتجسّد آفاق رؤاها كأنّها في سباق مع الزّمن كي لا يفلتَ منها وشائج وميض الإبداع، فهي كائنة مستنبتة من روح الزّمن، من وهجِ الحياة، من الحلم المنبعث من طيف الخيال، من ضياءِ الشَّمس، من صفوةِ الماء الزُّلال، من بسمة الأطفال، من أحلامٍ مرفرفة في أثداءِ السَّماء، حيث نراها

في حالة تأمُّل وتواصل مع بهاء اللّيل والنّهار، تكتب وتقرأ بهدوءٍ عميق وهي على موعدٍ دائم مع إشراقة الصَّباح، ومع تهاطلات زخّات المطر، قرأتْ كثيراً، وكتبَتْ كثيراً، وبعد رحلة فسيحة في محراب الحياة، وجدَتْ أنَّ جوهر الحياة منبعث ومرتكز على هذا الحرف الّذي تدلقه على خدود الحياة، كي يبقى خميرةَ فكرٍ لهذا الزّمان والأزمنة القادمة، وتجدُ سلوى في معانقة الحرف كأنّه شهيقها الأزلي المبرعم من كينونتها منذ الأزل، ويمنحها الهدوء والسّكينة والفرح والأمل المنشود على مساحات بوح الرُّوح إلى الأبد.

كم أشعر بالغبطة لأنّني مع الدّكتورة غريب أنجزنا هذا الحوار، ولا أخفى على أسماء غريب ولا على القرّاء أنَّني كنتُ بصدد إجراء حوار موسوعي معها على شاكلة "حوار مع الذّات: ألف سؤال وسؤال"، لكنّي شعرتُ في قرارة نفسي وكأنّني أقفُ عائقاً في تدفُّقات حرفها، لهذا اكتفيت أن أجري حواراً مكثّفاً من مئة سؤال، تاركاً لها حرّية الإبحار في هذا الحوار بكلِّ تشعُّباته ودقائقه، ويتفرّع منه عشرات الأسئلة الفرعيّة وكأنّه بمثابةِ اختزالٍ لألفٍ سؤال وسؤال، وممكن أن تتطرَّق مبدعتنا إلى ما يحلو لها من تساؤلات وإجابات، وأتساءل هل تمكّنتُ عبر حواري أن أقدِّمها بطريقة جديدة للقارئ والقارئة وكأنّها تُحبكُ بتكثيفٍ كبير سيرتها الإبداعيّة الفكريّة الرُّوحيّة وتجلّياتها الرّهيفة؟ وهكذا وُلِدَ هذا الحوار من رغبة عميقة في تقديمِ هذه المبدعة بطريقة غير مسبوقة، حيث أغلب الحوارات الّتي يجريها الصّحافيون والصّحافيات هي حوارات تقليديّة عابرة ولا تتطرّق إلى مساحات شاهقة من آفاق المبدعين، فلا يتمكَّن المتحاور معه/ معها أن يغوص/ تغوصَ عميقاً في عوالمه/ عوالمها كما تستهويه أو يستهويها، لهذا أحببتُ أن أغوص عميقاً في أغلب محاور تجلِّيات أسماء غريب الإبداعيّة، كي أنبشَ عبر إجاباتها ما لديها من دررٍ ثمينة، وأقدّمها للقارئ والقارئة على طبق من حنين وفرح وبهاء جامح نحو رحاب الإبداع، وكم سرّني عندما وافقت على إجراء هذا الحوار، وإذ بي أجدني خلال أواخر أيام 2016 وعلى مدى ثلاثة أيام متواصلة أنسج حواري، فجاءت محاوره من وحي قراءتي لأدب أسماء غريب ونقدها وترجماتها وشعرها ونثرها ونصوصها على مدى سنين طويلة، مركّزاً على شموليّة الحوار وكأنّها في رحلة رحبة في عرض سيرتها الإبداعيّة عبر هذا الحوار الشُّمولي، الّذي أجابت على الجزء الأوّل منه عام 2017، واستكملت الجزء الثّاني في العام 2018، بحسب مخطّطنا وبالاتفاق معها قرّرنا نشر هذا الجزء في العدد الخامس من مجلّة السَّلام الدَّوليّة الّتي أحرِّرها من ستوكهولم في نهاية كل عام كحصاد عام كامل من تواصل المبدعين والمبدعات مع إدارة المجلّة، أترككم أيُّها الأحبّة المتابعين والمتابعات مع فضاءات **(أسئلة الحوار)** والّذي أعتبره من الحوارات المهمّة الّتي أجريتها عبر سلسلة حواراتي مع الكثير من المبدعين والمبدعات:

1. ماذا تعني لكِ اللُّغة، الحرف، الكلمة، الكتابة؟!
2. كيف تنظرين إلى اختراغ اللُّغة والإبداع؟!
3. طفولتك كتابة خلّاقة من حيث تشبّعك في ألق الحرف ورعاية أسرة فيها من تجلِّيات الحرف الشَّيء الكثير، ما دور عوالم طفولتك في انبعاث حفاوة الحرف لديكِ إبداعيّاً؟

4. ماذا ترك لكِ الأبُ، الجدّ من أثر في جموحِ مخيالك الإبداعي؟
5. بماذا كنتِ تحلمينَ وأنتِ طفلة؟ والآن بماذا تحلمين، هل ثمة تقاطع وتناغم بين الحلمَين؟
6. ما هي أبرز منعطفات طفولتك الّتي أثّرت في تشكيل عالمكِ الإبداعي؟
7. من خلال قراءتي لكتاباتك، أرى وكأنّ هناك طفلة مجنّحة في روحانيّتك نحو فضاء البراءة والصَّفاء والسَّلام والحب والحياة، هل انطباعي دقيق في هذا السِّياق؟!
8. تمتلكين روحانيّة صافية صفاء العرفانيّين الصُّوفيّين، كأنّك في رحاب معبد للزهد والتَّرهبن، حفاظاً على نقاء الرُّوح والذّهن، هل هذا النُّزوع يحصّنُ روحَكِ ونفسَكِ وذهنَكِ من الشُّرورِ المتفشّية في الحياة؟!
9. كيف تنظرين إلى العمر، الزَّمن الَّذي يعيشه المرء على الأرض؟
10. ماذا تعني لك الحياة، وماذا تريدين أن تقدّمي في الحياة للحياة وللأجيال القادمة؟
11. كيف تنظرين إلى التّدريس الجامعيّ، وهل طمحتِ يوما ما أن تكوني أستاذة جامعية أكاديميّة ينتفع من علمها الطّلابُ والمتعطّشون للنّهل من تجربتكِ الأدبيّة العميقة؟
12. بعد مُناقشَتِكِ في جامعةِ الدّراساتِ والأبحاث بمدينة باليرمو لأطروحتَيْ الإجازة والماجستير اللّتَان كانتَا عن الحروف النّورانيّة في القرآن الكريم، وعن رحلة الإسراء والمعراج المحمّديّة، أتتْ مرحلةُ تخرّجكِ في جامعة المعرفة بمدينة روما والتّي حصلتِ منها على شهادة الدّكتوراه بميزة جيّد جدّاً مع مرتبة الشّرف عن أطروحتكِ الّتي تمّتْ مناقشتها سنة 2012 وكانتْ بعنوان [الحداثة في المغرب من التّاريخ إلى الأدب: محمَّد بنّيس أنموذجاً للدراسة والبحث]: هلْ يُمكنكِ أن تحدّثي قُرّاءَكِ عن هذه المرحلة وعن ما بقي عالقاً في ذاكرتِكِ منها؟
13. ماذا تعني لك الطَّبيعة، الأرض، اخضرار الرَّبيع وما تأثيرها على الكتابة وعلى الرَّسم؟
14. البحر، الماء، عناق السَّماء للأرض من خلال المطر، كيف تنظرين لهذا العناق المبرعم بالخير والعطاء السَّماوي الخلَّاق؟
15. الخيال، الواقع، اللُّغة، الكلمة، الحرف، الجملة، الصُّورة، كيف تموسقين صياغة هذه الأدوات الّتي تقودك إلى أبهى فضاءات الإبداع؟
16. ما معنى أن يكون المبدعُ اليوم متصوّفاً، وكيف تريْنَ نفسكِ كأديبة صوفيّة في زمنِ مواقع التّواصل الاجتماعي؟
17. كيف تنسجين الومضة الأولى شعريًّاً، هل تنبعث من خلال إشراقة ما، فكرة ما، حدث ما، أم من خلال حالة انبعاثيّة لا تستطيعي تحديدها ولا التَّحكُّم بها، أشبه ما تكون الرُّؤيا ـ الحلم/ ووهج الإلهام؟!
18. متى تكتبين وترسمين، كيف تكتبين وترسمين، هل ثمّة طقوس معيّنة ترافقك أثناء الكتابة والرَّسم؟
19. تكتبين الشّعر، القصّة، النَّص الأدبي، والمقال ولك باع كبير في أغلب الأجناس الأدبيّة، وترسمين هل لكلِّ جنس أدبي، والتَّشكيل اللَّوني خصوصيَّته وتفرّده في تدفُّقِ فضاءات الإبداع؟

20. تترجمين أثناء عبورك فضاء التَّرجمة، تفاصيل ورشاقة النَّص الأصلي، كأنّك تكتبين النَّص الّذي تترجمينه بروحانيّته، بلغة الأم الأولى، كيف وصلتِ لهذه الخصوصيّة في ترجمة الأعمال الّتي تختارينها؟

21. كيف تختارين الكتبَ الّتي تترجمينها، ما هي شروطك في ترجمة الكتب الّتي يقع عليها اختيارك؟

22. كيف تترجمين الشِّعر، النّص، المقال، القصّة والرِّواية وما هي الأدوات والمراحل الإبداعيّة الّتي تساهم في نجاح النَّص المترجَم؟

23. بعد أن تمكّنتِ من ناصية اللُّغة الإيطاليّة، أصدرتِ ديواناً شعريًّاً بعنوان: بدونكَ، باللُّغتين العربيّة والإيطاليّة 2009، ماذا أحببتِ أن تقولي عبر هذا الدِّيوان للقارئ العربي والإيطالي؟

24. ترجمت من العربيّة إلى الإيطاليّة ديوان: أربعون قصيدة عن الحرف، للشّاعر العراقي أديب كمال الدِّين، المعروف بشاعر الحروفيّة، كيف وجدْتِ حروفيّته الشَّاعريّة، قبل وبعد ترجمتها إلى الإيطاليّة؟

25. بعد أن ترجمتِ بدائع حروفيّات أديب كمال الدِّين، قمتِ بدراسة نقديّة تحليليّة عن "تجلّيات الجمال والعشق عند أديب كمال الدِّين"، تحدّثي عن رحلة الغوص في رهافة انبعاث هذا الشّاعر في بوح الحرف؟

26. كيف استلهمت معالمَ ديوان: "مقام الخمس عشرة سجدة" الصَّادر باللّغتين العربيّة والإيطاليّة؟

27. ما هي المحفّزات الّتي دفعتكِ إلى ترجمة المجموعة القصصيّة: "فجر العصافير الطَّليقة"، للقاص الفلسطيني نضال حمد من اللُّغة العربيّة إلى اللُّغة الإيطاليّة، وما رأيك بهذه التَّجربة القصصيّة؟

28. توقّفت مليّاً عند ديوان: "تانغو ولا غير"، ديوان مشترك بينك وبين الشّاعر العراقي سعد الشَّلاه، كيف ولدت فكرة الكتابة المشتركة وترعرعت إلى أن أصبحت ديواناً ثمَّ ترجمت الدِّيوان إلى الإيطاليّة؟

29. لديكِ شغف كبير في التَّرجمة، إلى أي مدى غصْتِ في ديوان: "من مذكَّرات طفل الحرب" للشاعرة العراقيّة د. وفاء عبدالرّزاق؟

30. ترجمتِ ديوان: السَّلام أعمق من البحار، وقدّمت دراسة موسّعة عن أدب صبري يوسف، ما رأيك في آفاقه الأدبية والفنّيّة نحو فضاءات السّلام، وما رأيك في مجلّة السَّلام الدَّولية الّتي يصدرها سنويًّاً؟

31. ما الَّذي جعلك في خضمِّ مشاريعك المتنوّعة، أن تترجمي رواية "عشق سرّي"، للروائية الإيطاليّة ريتانا أرميني؟

32. أصدرت عام 2006 مجموعة قصصيّة بعنوان: "خرج ولم يعد"، تحدّثي عن هذا الإصدار القصصي؟

33. ديوان: "99 قصيدةً عنْكَ"، ديوان متفرّد ويشمل جوانب متعدِّدة من الحياة، كيفَ تحافظين على وهج الشِّعر وأنتِ بهذه الآفاق الرَّحبة والغزارة الشِّعريّة المدهشة؟

34. ديوان: "ما لم تبُحْ به مريم لأحدٍ ويليه متون سيّدة: يتضمّن خصوصيّة وتجلّيات رهيفة، كيف تنامَت عندك فكرة كتابة هذا الدِّيوان بكلّ تفرُّعاته السَّامقة؟

35. كيف تشكَّل لديك هاجس وشغف التَّخصُّص في النّقد الأدبي؟

36. ما هي معاييرك عندما تختاري ديواناً شعريًّاً، مجموعة قصصيّة، عملاً روائيّاً لدراسته نقديّاً؟

37. ما هي أهم محاور مواضيع كتابك النّقدي: "ميثم السّعدي وثنائيّة العرض المسرحي"؟

38. أعددتِ دراسة نقديّة مفصّلة بعنوان: تمَثُّلاتُ السّيادةِ الملائكة الكروبيّين في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة من الأدب إلى الفنّ التَّشكيلي، ما الَّذي قادكِ إلى كل هذا الغوص في فضاءات صبري يوسف؟

39. انكبَبْتِ على تحليل ونقد ملحمة الكوميديا الإلهية للمبدع أليغييري دانتي، في وقتٍ كنت تترجمين وتقدّمين دراسات نقديّة أخرى، كيف توفّقين بين عدّة مشاريع إبداعيّة في توقيت واحد، وفي وقتٍ قصير؟

40. يقال إنّ مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة المبدعين والأدباء، ولها دور فعّال في انتشارهم إلي أيّ حدّ أنت مع هذا الرّأي ولماذا؟

41. نلتِ العديد من الجوائز، منها جائزة الشِّعر العالمي بجزيرة سردينيا الإيطاليّة عن قصيدتك "السَّلطعون النَّاسك" عام 2009، ما رأيك بالجوائز وشهادات التَّقدير الَّتي تكرّم المبدعين والمبدعات؟

42. أعددتِ رسالة الدكتوراه عن الحداثة في المغرب، من التَّاريخ إلى الأدب: محمَّد بنّيس أنموذجاً للدراسة والتَّحليل، ما هي أهم تجلّيات الإبداع الَّتي يتميّز بها الشَّاعر المغربي محمَّد بنّيس؟

43. في عام 2012 نقَلْتِ إلى اللّغة الإيطاليّة باقةً من النّصوص القصصيّة هي (العودة حقّ: من شباب فلسطين إلى شباب العالم)، هل يمكنكِ أن تُحدّثي قرّاءكِ الكرام عن هذه التّجربة الفريدة، لا سيّما وأنّ مُؤلّفي النّصوص هُم مجموعة من الأطفال الّذين بهروا الجمهور ببراعتهم السّرديّة وذكائهم الخلّاق بشكل منقطع النّظير؟!

44. صدرت عام 2016 عن دار الفرات للثقافة والإعلام مجموعتُكِ القصصيّة (أنا رع)، تحدّثي عن هذا الإصدار القصصيّ؟

45. الولادة ثمَّ الحياة، ما رأيك بحقيقة الموت، كيف تنظرين إلى الموت وما أثره في نصِّكِ الإبداعي؟

46. ماذا تعني لك الكتابة، هاجس الكتابة، لحظات الكتابة، ماذا يراودك بعد كتابة نص جديد؟

47. كثُر الحديثُ مؤخّراً عن الأُسْرةِ ودورها الفعّال في بناءِ مجتمعات سليمة ومتحضّرة، كيف ترى أسماء غريب هذه المؤسَّسة بشكل عامّ، وما هي النّصائح الَّتي يمكنكِ أن تقدّميها لمتتبّعيكِ الأعزّاء؟

48. كتب العديدُ من الأدباء والمفكّرين والفلاسفة عن الحبّ، واختلفت فيه آراؤهم وأفكارهم ومعتقداتُهم، كيف ترى الأديبة والدّكتورة أسماء غريب الحبَّ وكيفَ تعيشُه؟

49. كيف ترى أسماء غريب الصّداقة في زمن الفيسبوك؟

50. الموتُ والغُربة، أيّة علاقة هذه في بلاد البُعد، وكيف ترينها وتقَيّمينَها؟

51. بمناسبة حديثكِ عن صقلّيةَ في أجوبتكِ السّابقة، لاحظتُ أنّكِ ناديتِها بالأمّ الرّؤوم المعطاءة، وأطلقتِ عليها كذلك لقب جزيرة الشَّمسِ، هل لكِ أن تحدّثي قرّاءك ومتتبّعيكِ عن هذه العلاقة الرّوحيّة الَّتي تجمعكِ بها، وعن سرّ هذه المحبّة العارمة بينكما؟!

52. مع مطلع هذا العام الجديد (2018)، أصدرتِ الجزء الأوَّل من كتابكِ الموسوعيّ (كواكب على درب التبّانة / مقاربات نقديّة)، هل يمكنكِ أن تحدّثي السّادة القرّاء والمتتبّعين لتجربتكِ الإبداعيّة عن تفاصيل

ولادة هذا الإصدار وكيف أصبح بهذا الحجم، لا سيّما وأنّه قد سبق لكِ أن أعلنت أيضاً عن عملك الحاليّ على دراسات ومقالات الجزء الثّاني منه؟

53. في حديثك عن سيّدة الطُّفولة زارعة أشجار الصّنوبر والبلّوط إشارة إلى مدى عمق إيمانك بالعطاء والتّراحم والتّعاون بين البشر، فهلّا أفضتِ في الحديث عن هذا الجانب ومدى أهمّيّته في حياة أسماء غريب الإنسانة وكذا الأديبة؟!

54. في حديثكِ عن بعض السُّلوكيّات غير الحضاريّة لبعضِ العيّنات من المجتمع الأوروبيّ، حديث أيضاً عن عدم الوعي العميق لدى العديد من النّاس بمفهوم المواطنة، وبما عليهم من الواجبات ولهم من الحقوق، أنت أسماء غريب باعتبارِكِ أديبة "مهجريّة" كيف تعرّفين المواطنة والعيش في بلد غير الَّذي رأيتِ فيه النّور؟

55. انطلاقاً من تجربتك بشأن المواطنة والجنسيّة المكتسبة، كيف يمكنك أن تقيّمي المشهد الإيطالي في هذا المجال؟

56. الحديثُ عن علاقة الدّول المُستَقبِلة أو المضيفة بالمهاجرين يجرُّ ولا شك إلى التَّساؤل عن الهجرة العكسيّة، ماذا عنها؟

57. بالعودة إلى ظاهرة الخوف والحذر من المهاجرين المقيمين في الدُّول الغربيّة على وجه التَّحديد، والَّتي عادة ما تكرّسُها وسائل الإعلام الدَّوليّة بما تعرضه من برامج تضرب على وتر غسيل الدّماغ وتأليب الشّعوب ضدّ بعضها بعضاً، ألا ترين أنّ للمهاجر نفسه نصيب من المسؤوليّة في تكريس هذه الصُّورة النّمطيّة؟

58. لماذا لا يقتربُ الإنسانُ من أخيه الإنسان، بل تزداد الهوّة بين بني البشر، عبر الدُّول والقارّات؟!

59. كيف يتصالح الإنسان مع ذاته ويتسامى رويداً رويداً مع الآخر ويحقّق وئاماً مشتركاً مع بني جنسه؟

60. يشعر المبدع مغترباً وغريباً عن هذا العالم، ما سبب شعور الكثير من المبدعين بالاغتراب؟

61. ما أسباب التَّخلُّف المزمن في العالم العربي، وكيف يُمكن أن ننتشله من هذا التَّخلُّف المرير؟

62. لماذا لا يهتمُّ الشَّرق والعالم العربي بالإبداع والرُّؤية التَّنويريّة، لهذا تنتشر الحروب والويلات؟

63. لا أرى غرابةً في غربة الرّوح لأنّها ليست أصلاً من هذا العالم، أم أنَّ لديك وجهة نظر أخرى؟

64. لماذا هناك ضمور وتقلُّص في الجوانب الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة في توجُّه سياسات هذا الزَّمان؟

65. أينَ ترى المرأةُ المثقّفة والأديبة الكاتبةُ نفسَها أمام هذا الفساد الثّقافيّ المستفحلِ في مجتمعات الشّرق قبل الغرب، وكيف تواجِهُهُ؟

66. وأنت تختمين جوابك بالحديث عن تأثّر كبار رموز الأدب العالميّ بالمرأة والأنثى الخلّاقة، كيف تقيّمُ أسماء غريب قدرةَ الأديب الرّجل على خلق الشَّخصيّات النّسائيّة في الأعمال الإبداعيّة الضّخمة، وإلى أيّ حدّ ينجحُ في ذلكَ؟

67. الأديبة المبدعة د. أسماء غريب، راودني مراراً وأنا أقرأ إجاباتكِ، كيف تستيطعي أن تحيطي بكلِّ هذه الأجناس الأدبيّة وتمسكي بخيوط هذا الحوار وتنسابين في العطاء وكأنّك في حالة استعداد دائم للتدفّق؟!

68. عندك تجلّيات عرفانيّة في عالم التَّصوّف والعرفان، ما رأيك بتصوُّف ابن عربي والحلّاج؟!

69. لماذا فشل الإنسانُ في قيادة نفسه وقيادة الدُّول من حيث ترويج الرُّؤى الإنسانيّة الخلّاقة في العالم؟

70. ما هو دورك مبدعةً ومثقَّفةً في إرساء ثقافة السَّلام والتّنوير في المجتمع الشَّرقي والعربي والغربي؟

71. إلى أي مدى ترين أنَّ الثَّقافة التَّنويريّة والأدب الخلّاق لهما دور كبير في القضاء على الحروب المجنونة المتفشّية في الكثير من دول العالم، تمهيداً لإرساء سبل السَّلام والوئام بين البشر في العالم؟

72. بمناسبة حديثك عن نهاية العالم وربطك لها بانقراض النّحل، هل يمكنكِ أن توضّحي أكثر للقارئ العزيز تفاصيل هذه الرُّؤية؟

73. متى سيتم التَّركيز في العالم العربي على بناء طفل طبيعي، بعيداً عن لغة العنف والعنف المضاد؟

74. قراءاتُكِ بدون أدنى شكّ غزيرة في مجال الأدبِ المُعاصر، ولقدْ تناولتِ بالنّقدِ والتَّحليل العديدَ منَ الأسماء الأدبيّة منْ كِلا الضفّتين العربيّة والغربيّة في كتابك النّقديّ الجديد (كواكب على درب التبّانة)، ما رأيكِ في كتاباتِ الرّوائيّة التّركيّة "ألف شفق"، ولا سيمَا منها تلكَ ذات الطّابع العرفانيّ؟

75. هناك العديدُ من الجوائز الّتي تُخَصّصُ لتكريم نتاجاتِ الأدباء في مجالاتٍ إبداعيّة شتّى، شِعْراً كانت أو نقداً أو روايةً، ما رأيكِ بالرّوايات الّتي تحصلُ على هذا النَّوع من التَّكريم العالمي؟!

76. الانشغال بالهمّ اليوميّ، والعمل الوظيفيّ هما بدون شكّ من المثبِّطات الّتي تحولُ دون ازدهار الأديب المبدع وتفرّغِه إلى كتاباته اليوميّة، كيف تنظر أسماء غريب إلى هذه الإشكاليّة؟

77. هناك العديد من الأديان غير السَّماويّة لا تختلف بشفافيّتها وروحانيّتها ووصاياها عن الأديان السَّماويّة، هل الأديان السَّماويّة امتداد للأديان غير السَّماويّة أم لديك وجهات نظر أخرى؟

78. هل استطعتِ أن تسبري ما يجول في نفس وروح وخيال أسماء غريب، أم أنّك ما تزالي تبحثين في خبايا الرُّوح والخيال عن الكثير ممَّا يراودك كي تسطِّرينه على وجنةِ الحياة؟

79. صدرتْ لكِ حديثاً عن دار الفرات للثقافة والإعلام في بابل موسوعة "ترجمتُ لك" بجزئيها الأوَّل والثَّاني، هل لكِ أن تحدّثي القارئ عن فكرة هذا المشروع الموسوعيّ في التَّرجمة وما هي تطلُّعاتك المستقبليّة بشأنه؟

80. مَنْ هي أسماء غريب الإنسان، في حياتها اليوميّة؟ تحدّثي عنها عبر يوم واحد!

81. الموسيقى غذاء الرّوح والفكر، وهي اللُّغة الّتي لا تحتاج إلى وسيط، ما موقعها في حياة أسماء غريب، وكيف تعرّفينها أو تقدّمينها إلى القارئ من خلال تجربتكِ الرّوحيّة؟!

82. ماذا عن النَّوم في حياتكِ، كيف تقيّمينه وما أهمّيته بالنّسبة لمسيرتكِ الإبداعيّة؟

83. تحدّثَ العديدُ من أهل الحكمة والأدب والفلسفة عن الصّبر وفوائده الجمّة، كيف تنظرُ أسماء غريب وتقيّمُ الصّبرَ في حياتها؟

84. لِمن ولماذا تكتب أسماء غريب؟

85. تهتمّين في أبحاثك التَّرجميّة ودراساتك النّقديّة حتى بأسماء الشّعراء والكتّاب المغمورين، وتتعاملين مع إبداعاتهم ترجمة ونقداً بنفس الحِرَفيّة والجدّيّة والعمق الَّذي تتعاملين به مع الأسماء المرموقة في عالم الأدب والإبداع، هل يمكن لأسماء غريب أن تشرح للسادة المتتبّعين سبب هذا الاختيار والاهتمام والعناية؟

86. المرض في حياة الإنسان العارف، كيف تراه أسماء غريب؟

87. المرأة، كيف تراها أسماء غريب وتقيّمُ مسارها الحضاريّ؟

88. السّعادة في حياة أسماء غريب، ماذا عنها؟

89. كيف فاتكِ أن تترجمي ما تحملينه من رؤى في نصوص روائية تصبُّ في ألق الكلمة الصّافية صفاء نسيم الصَّباح؟

90. المبدعون والنّرجسيّة أيّة علاقة بينهما، وإلى أيّ مدى ترى أسماء غريب أنَّ المبدع يمكنه أن يشفى يوماً من نرجسيّته؟!

91. لماذا يفشل المرء في الحبِّ، في قيادة نفسه، في تجنّب الأحزان والمآسي الَّتي تلاحقه أينما كان؟

92. ما رأيكِ بتأسيس وزارة السَّلام في كلِّ دولة من دول العالم، وتأسيس هيئة سلام عالميّة، وتكون وزارات السَّلام تابعة لهذه الهيئة العالميّة لتحقيق ما يتطلَّبه السَّلام بشكل قانوني في كلِّ دول العالم؟

93. ماذا عن ثقافة الحوار في العالم العربي؟

94. السَّفر في حياة أسماء غريب، ماذا عنه؟

95. ماذا كانت تحبّ أسماء غريب أن تكون غير ما هي عليه الآن؟

96. القراءة وإشكاليَّاتها الثّقافيّة والفلسفيّة والتَّأويليّة، كيف تواجهها أسماء غريب؟

97. لنعد إلى صقلية أو جزيرة الشَّمس كما تحبّين تسميتها، ماذا عن المسرح فيها وبالذّات مسرح الطّفل؟

98. ماذا عن جديدكِ الإبداعيّ؟

99. بعد عامين قضيتِهُما في الرَّدِّ على أسئلة هذا الحوار كيف تقيّمين رحلتكِ المئويّة هذه؟!

100. كلمة أخيرة تكون خاتمة لهذا الحوار."

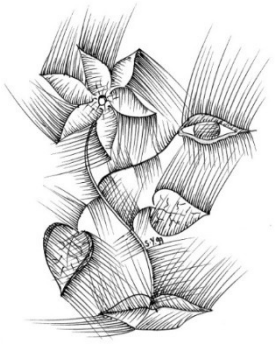

بعض إجابات الأديبة أسماء غريب عن رحلة المئة سؤال وجواب

2. كيف تنظرين إلى اختراغ اللُّغة والإبداع؟!

اللّغة كما يفهَمُها عامّة النّاس هي بالنّسبة لي قيدٌ وسجنٌ، إنّها حجابٌ كثيف يحولُ دون الماء والهواء، ويخنقُ الحياةَ في الجسد، ومهما تحدّثَ بها أو كتبَ بأحرفها إنسانٌ فهي لا تُحرّرُه أبداً: ثمّة بلايين منَ المُجَلّدات والأوراق، وشلّالات من حبرٍ سُكِبَ من أقصى الأرض إلى أقصاها في شتّى العلوم والمعارف

وعلى مرّ الأزمنة والعصور، لكنّ الإنسانَ على الرّغم من كلّ هذا لم يُدرِكْ بعدُ خلاصَه. اللّغةُ الّتي لا تُزَلزِلُ الكيانَ وأرضَ البدن، ليست بلغة تماماً. على اللّغة أنْ تكونَ طوفاناً يجرفُ كلَّ شيء، يُفْرِغُ الإنسانَ من الدّاخل، ويُحْدِثُ بأعماقهِ مِحرقة. ولغةُ الإنسان الأولى والأخيرة انقرضتْ مع كامل الأسف، وأعني بها لغة العشق. فالعشقُ وحده هو الطّوفان، والعشقُ وحده هو الزّلزال، بلْ هُو التّعرّي من أعرافِ العُقَلاء. إنّهُ السّرّ الّذي يُذاق ولا يُعقل. لذا فإنّ الإبداعَ اليومَ قاصر وعاجز عن التّعبير عن هذه اللُّغة. هذه اللُّغة الَّتي هي بالنّسبة لي أنثى تخترقُ الأُلْفَةَ، وتدفعُ بالحرفِ نحو أفق المُستحيل، لتحفّزَه على قول ما لا يُقالُ، ووصفِ ما لا يوصفُ وكتابة ما لا تطيقه ريشة أو دواة. إنّها اللُّغة اللّيليّة والفجريّة الّتي تُفصحُ عن الجمعِ بلغة الفرقِ، وعن الوحدانيّة بلغة التّعدُّد، وعن القربِ بلغة البُعد، وعن الكلام بلغة الصّمت.

5. بماذا كنتِ تحلمينَ وأنتِ طفلة؟ والآن بماذا تحلمين، هل ثمة تقاطع وتناغم بين الحلمَين؟

ثمّة جدارٌ فاصلٌ بيني وبين الأحلام: أنا لا أحلُمُ وإنّما أرى، ولا أريدُ، ولا أطمحُ، وإنّما أسعى وأعملُ. وإذا ما حدثَ وتحقّقَ شيءٌ ما في حياتي، فإنّه يكونُ نتيجة كدّي وعملي.

منذ نعومة طفولتي تعلّمتُ أنّ الأحلامَ للنُّوَمِ مِنَ الخَلْقِ، وأنّ الأفعالَ والأعمالَ لليقظى. وأومنُ أكثرَ بالرّؤيا أكثر من الحُلُم، وبالسّعي أكثر من التَّمنّي والرّجاء، وبدور الخالقِ في تحديد مصير الإنسان وتوجيهه أكثر من قدرة الإنسان نفسه على رسم خطوط حياته بشكل نهائيّ أو حتميّ. إنّما هي النّوايا فقط الّتي تُميّز إنساناً عن آخر، ولكلّ امرئٍ ما نوى. وقد يقولُ قائلٌ إنّ الإنسانَ هو الّذي عليه أن يتولّى زمام أموره في كلّ شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً، وأقول إنّ ذلك صحيحٌ، ولكن إلى حدٍّ ما، لأنّ الكلمة الأولى والأخيرة تبقى للخالق، صاحبَ سرّ الخَلق الأوّل، والعارفَ بسببِ وكُنْهِ وجود الكون وعلّته.

صحيح أنَّ العديد من الثَّقافات والحضارات سعتْ إلى تحقيق ما يسمّى بالإنسانِ الكاملِ كما اصْطَلحَ على تسميتِه العديدُ من العرفاء المسلمين، أو السّوبرمان كمّا سمّوه فلاسفة الغرب، أيْ ذاكَ الَّذي يمكنه أن يستغني عن الله تماماً في حياته، وتكونَ لهُ بالتَّالي القدرة على تحقيق كلّ أحلامه، وصنع حياته كما يريد ويشاء هُوَ، لكنّ واقع الأمور والتّجارب الإنسانيّة، أثبتَا أنّ فكرة الإنسان الكامل أو السُّوبرمان، أمرٌ وهميّ، فهي تدعو إلى محوِ الخالق على حساب الإنسان الّذي إذا ما لسعتْهُ بعوضة نكّدت عليه يومه وحياته، وإذا ما ضربتهُ صاعقة أردته قتيلاً، وإذا ما أصابه فيروس صغير جدّاً جعلهُ طريح فراش المرض، والألم وقد يحملُه على النّعش إلى مثواه الأخير.

إنّما الكمالُ لا يتحقَّق إلّا بالله، وأعني بهِ كمالَ الخُلُقِ والفضيلة، وكمال الرّوح الّتي إذا ما بلغت مدارج الصّفاء هتفتْ وقالت: حقِّقْ يا إلهي مشيئتكَ فيّ ولِي وبيّ. وتنازلتْ عن كلّ بريقٍ وبهرج. إنّما السرُّ يا سادتي في هذه ((اللّا أريد))، والحيرة كلّ الحيرة في فعل ((أريد)) الّذي يردّدُهُ ويهتفُ به الجميع. إنّنا أمام

نظومة اترك نفسكَ وتعالَ: إنّها الحلّ لكلّ العلل والأمراض، وهي مفتاح الخير والنّعيم كلّه، إنّها الباب إلى السرّ، وسرّ السرّ.

8. تمتلكين روحانيّة صافية صفاء العرفانيين الصُّوفيين، كأنّك في رحاب معبد للزهد والتَّرهبن، حفاظاً على نقاء الرُّوح والذّهن، هل هذا النُّزوع يحصّنُ روحَكِ ونفسَكِ وذهنَكِ من الشُّرورِ المتفشّية في الحياة؟!

صحيح أنّ الكثيرَ منَ النّاس يعتقدُونَ لليومِ أنّ انتهاج طريق الخُويْصةِ فيه منافعُ عدّة لمن ينشدُ الصّفاء والحفاظَ على نقاء الرّوح، لكنْ أيْنَ يفرُّ الإنسانُ من نفسِهِ؟!

ليس الخطرُ في مخالطةِ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ، وليسَ الحلُّ هو الانعزالُ المُطلقُ عن النّاسِ، وإنّما الخطرُ كلّ الخطر في اختلاء النّفسِ بالإنسانِ قبل أن يبلغَ هذا الأخيرُ مدارجَ النّقاء. فالنّفسُ هي العدوُّ الأكبر، وهي الخزانةُ الّتي يخترقُها الشّيطانُ والقرينُ، فيجدانِ فيها ما يحلو لهُمَا من القُمصان والأقنعةِ، يَلْبَسَانِها لكلّ فِكرةٍ ومناسبةٍ وغرضٍ.

والنّفسُ هي السّاحةُ الّتي تقعُ فوقَهَا كلُّ الحُروبِ، فإمّا أن يَهْزِمَ فيها الإنسانُ شرورَهُ، وإمّا فإنّه يصبحُ الشّرَّ عينُه. وما فائدةُ أن يهربَ المرءُ من النّاس حتّى يتّقي شرّ "النّميمة" على سبيلِ المثال، وهُو يفتحُ حينمَا يختلِي بنفسهِ مجالسَ يتحدّثُ فيهَا لوحدهِ بكلّ سيّءٍ وخبيثٍ عنِ الخَلْق والخليقة؟!

لا تُكسبُ حروبُ الإنسانِ على نفسه إلّا وهُو وسطَ النّاس ومعهُم، فهُمْ مرآتُه، وبهُم يُمْكنُ أنْ يختبرَ قدُراتهِ وطاقاتهِ. لكن إذا ما حدثَ وتمَّ المُرادُ، وأعني به هُنا، وصولَ الإنسانِ إلى أعلى درجاتِ الانصهار وتصفيّة القلبِ من آفات النّفسِ، هنا فقط يمكنُهُ أن ينسحبَ منَ السّاحة ويبتعدَ ليخلو بروحه ويُقدّمَ أجملَ ما عندهُ؛ السّعادة والسّلام والصّفاء والهناء عبر التّدبُّر في عصارة حياته وتجاربها.

9. كيف تنظرين إلى العمر، الزَّمن الّذي يعيشه المرء على الأرض؟

يا لهُ منْ سؤالٍ كبير! العمرُ هو المُدّة الزّمنيّة الّتي يهبُهَا الخالقُ لكلّ كائنٍ حيّ بما فيه الإنسانُ. وهُو أبديّ وأزليّ لا ينتهي على عكس ما يظنُّ الكثيرُ منَ النّاس، لأنّهُ مُجرّدُ تذكرةِ سَفرٍ تُعطى لكلّ واحدٍ ذهاباً وإيّاباً. سفر طويلٌ عريض، والمطاراتُ فيهِ ثلاثة؛ صُلبُ الوالدِ، ورحمُ الأمّ، ثمّ جسدُه الّذي منهُ وفيه يكونُ الهبوط والإقلاع، وأؤكّدُ على هذين المُصطلحيْن "الهبوط والإقلاع"، لأنّ الإنسانَ كائنٌ مُحَلّقٌ كالطّائر بالضّبط. والرّوح فيه هي هذه الحمامةُ التي تتعدّدُ مقامات ومحطّاتُ سفرِها وتختلفُ من إنسان لآخر.

والعمرُ أمانة عظمى، يُسأل عنها الإنسان، فيمَ وكيف قضاها، بل كيف أخذها وكيف أعادها، وهل أحسن استثمارها أم لا؟

والعمرُ نحنُ من نصنعُهُ ونعطيهِ القيمةَ الّتي يستحقّها، فإمّا يكونُ حافلاً بالإنجازات، وإمّا يكونُ ممتلئاً بالتّرهات. ولكلِّ امرئ ما سعى. والعمر لا يُباركهُ إلّا اللهُ، وقد يُنْجزُ شخصٌ قصيرُ الأمد ما يُنجزُهُ إنسان يعيشُ لسنواتٍ طوال. ولا توجد ثمّة علاقةٌ بين العمر والصّحّة وسلامة الجسم من الأمراض، وإنّما يُميتُ الإنسانَ أجلُهُ إذا انقضى، وليس جسدُه إذا أصابته علّة أو مرض. وقد يستطيعُ الإنسانُ تحسينَ طريقة عيشه، ومستواها، ويساعدُ الجسدَ على التّطوّر والارتقاء، لكنّه لا يُمكنهُ أبداً، أن يطيلَ أجلَه أو عمره. وهذا ما يؤكّدُ أنّ العُمرَ يُمْنحُ للإنسانُ ولا يأخذُهُ أخذاً.

15. الخيال، الواقع، اللُّغة، الكلمة، الحرف، الجملة، الصُّورة، كيف تموسقين صياغة هذه الأدوات الّتي تقودك إلى أبهى فضاءات الإبداع؟

الخيالُ جزءٍ لا يتجزّأُ من طبيعتنا البشريّة، هو مُختبَر الحياة، فيه يُنسجُ كلُّ شيء قبل أن يصبح واقعاً ملموساً يُرى بالعين المجرّدة. والخيال لا التَّخيّلُ هو أصل كلّ شيء، وله شاشة في القلب وأخرى في العين وثالثة في العقل. ومن أُعْطِيَهُ مفتاح الخيال، أُعْطِيَتْهُ العوالمُ برمّتها، يجبُ فقط الحذر من الوهم والوسواس لأنّهما إذا تسرّبا إلى قلبِ الإنسان فسُدَ خيالُه، وأصبحَ لا فائدة منه ترجى. وللخيالِ دور كبير في صياغة أعمالي جميعها لا الأدبيّة فقط وإنّما الفكريّة الحياتيّة أيضاً. وسلامة وصحّة الخيال تتأتّيانِ من صحّة العقل والجسد، ونقاوة الفطرة والطّينة الّتي منها وبها عُجِن الإنسان. لذا، يجبُ الحرص ما أمكن على أن ينأى المُبدع عن كلّ ما يُكدّر صفاء الخيال، لأنّ ذلك يؤثّر بشكل آليّ على نقاء اللّغة والصّورة واللّون والنّوتة. وما الخرابُ الّذي يحيطُ بنا اليوم إلّا بسبب فساد خيال النّاس ومرض العقول والنّفوس. وختاماً أقول إنّ الخيالَ لا يصفو حقّاً وحقيقةً إلّا في حضرة الله؛ صاحبَ الخيال الخصب السّاحر الباذخ صورة وواقعاً، غير هذا فلا خير في خيالٍ لا تُنسّقه ولا تُموسقه يدُ الله في عقول وقلوب أهل الحرف.

20. تترجمين أثناء عبورك فضاء التَّرجمة، تفاصيل ورشاقة النَّص الأصلي، كأنّك تكتبين النَّص الَّذي تترجمينه بروحانيّته، بلغة الأم الأولى، كيف وصلتِ لهذه الخصوصيّة في ترجمة الأعمال الّتي تختارينها؟

التّرجمةُ جُرحي الّذي لن يندمل؛ لقد ترجمتُ الكثيرَ الكثيرَ حتّى أنّني لا أتذكّرُ كمْ من النّصوص والكُتُبِ الَّتي قمتُ بترجمتها لغزارتها، وكأنّني بحر يُتَرجمُ ويُتَرْجِمُ ويترجمُ إلى ما لانهاية. ولديّ شيء أحبُّ أن أقوله ليبقى مسجّلاً ضمن أوراق هذا الحوار "التّاريخيّ": سأظلُّ أنا "أسماء غريب الشّرقيّ محمّد الجعديّ" شاهدةً على قُبح "الكاتب" العربيّ وبشاعته. وغداً حينما ستُفْتَحُ الكُتُبُ أمام البارئ سأكونُ الصَّوْتَ الحاملَ لمظلوميّة كلّ مترجمي العالم والكونِ، لكوني أكثر منْ يعرفُ ويُحسّ بآلامهم وأحزانهم: إنّهم رسل الله إلى الحرف ينقلونه من لغة إلى أخرى ولا أحد يشعرُ بهم، وأنّى يحدثُ ذلك وهُم لا ينالهم من أشباه "الكُتّابِ" و"المبدعين" و "دور النّشر" سوى الجحود والنّكران للجميل.

كُثْرٌ أولئك "الكُتّابُ" الّذين يريدون الوصولَ إلى العالميّة، وكُثر هُم من يحملون قلوباً مفعمة بالغرور والاستعلاء والاستكبار وجنون العظمة، فهم لا يرون في التّرجمة سوى شيء يوصلهم إلى الضفّةِ الأخرى لأنّهم يستحقّونَ ذلكَ ويُرضِي الأمرُ غرورهم، ولا شأن لهم بالمُترجِم أبداً، فهم كما الغالبيّة العظمى من دور النّشر يعتبرونهُ "عبداً" عندهم، ويكفيه شرفاً أنّه يُتَرْجِمُ لهم، لكأنّهم ينسونَ أيضاً أنّهم لا يدفعون له حتّى أجرَ تعبه وعمله. وقد يحدثُ أن يقول "الكاتبُ" من هذه الثّبرذمة المُستعلية للمترجم إنّ تكلفةَ نشر الكتاب ستكون عليه، وانتبهوا أعزائي؛ فصاحبُ العمل المترجَم هنا لا يكون كريماً، بقدر ما يكون وصولياً للمرّة الألف، فهو لا يأبَهُ للمترجم مرّة ثالثة ورابعة، ولكنّه يدفعُ تكلفة نشر الكتاب لأنّه يهمّه جدّاً أن يُنْشَرَ كتابهُ لا أن يبقى حبيسَ غرفة المكتب. أمّا عن بعض دور النّشر فحدّثْ ولا حرج، فهي تنشرُ الكِتابَ المُتَرْجَمَ وتطبعه للمرّة الأولى والثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة، ولا يخبر أصحابُها المُترجِمَ بأيّ شيء، ولا حتّى يُرسلونَ لهُ نسخةً ورقيّةً من عمله. وإنّي لأعتبرُ نفسي من المحظوظات وممّنْ يحيطهم اللهُ بعنايته، كوني لا أعيشُ من عملي الإبداعيّ ولا أعتبره مصدرَ رزقي اليوميّ، وإلّا لكانَ الأمرُ بحقّ كارثة!

ولا ينجو من هذه الخيانة العظمى للحرف إلّا القليل جدّاً ممّن أعتبرهم من خيرة أدباء العالم العربي وأنت واحد منهم أديبنا المفضال صبري يوسف، فترجمتِي لديوانك (السّلام أعمق من البحار)، كانت من أجمل التّجارب الإبداعيّة الّتي صادفتُها في مساري الأدبيّ.

لكن تعالوا معي أعزّائي ننظرْ في هذه المشكلة لنقفَ على أسباب هذه العلاقة الشّائكة والمتوتّرة بين "المُتَرْجِم والكاتبِ" والمحكومة بمنطق الانتهازيّة والوصوليّة في زمن المعلوميّات ومواقع التّواصل الاجتماعيّ:

معظم الكتّاب عادةً ما يكونون ممّنْ يحترفون الكذبَ والنّفاق ويدّعون غير ما فيهم، والكثيرُ منهم يلجون إلى عالم الكتابة من هذا الباب، فهُم يتظاهرون بالثّراء مثلاً، وبالشّهرة، وبالاستغناء والاستعلاء، وبأنّ الآخرين هُمْ من بحاجة لهم، باعتبار أنّ المجتمعات بدون فِكرهم لن يمكنها أن تتقدّم أبداً، وهذه الشّريحة هي الجزءُ الفاسدُ في كلّ المجتمعات وأشدّها خطورة لأنّها تَدعمُ منظومةَ الفسادِ الفكريّ الّذي يطالُ فيما بعد كلّ جوانب الحياة، بما فيها السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. ولأنّها تُجيدُ سرقةَ كلّ شيء، فالويل لمن يقع بين أيديها من المُتَرجِمينَ. لأنّهم إضافة إلى فقر هؤلاء الكُتّابِ الرّوحي تجدهم أيضاً موسومين بالفقر المعرفيّ، فهم لا يفقهون شيئاً في علوم التّرجمة الأدبيّة وما تقتضيه من صبر وجُهد من أجل نقل نصّ الانطلاق من لغةٍ إلى أخرى، والاعتناء بالتّالي بتفاصيله النّحوية واللّغويّة الدّقيقة مع الحرص على التّماهي مع تجربة الكاتب للوصول بالعمل إلى مستوى غالباً ما قد يكونُ أفضل وأرفع من مستوى النّصّ الأصليّ نفسه. لأجل هذا أقول، إنّ هذا النّوعَ من الكُتّابِ يلزمهم مترجمون من طينتهم: "شيوخ" في الكذب والنّصب والاحتيال!

وبعد هذه التَّحليلات الموجزة جدّاً، دعونا نمرّ الآن إلى الشّقّ الآخر من السُّؤال: المتعة الَّتي تحقّقها التَّرجمةُ للمُتَرْجِمِ: عليه أن يكون مستغنياً عن ما قد يرميه لهُ الكاتبُ من فتاتٍ حتّى يستطيع أن يعمل بمزاج عالٍ (وأركّزُ أكثر هنا على الاستغناء الرّوحي والخُلُقي)، لا سيما وأنّهم قلّةٌ أولئكَ المترجمونَ الّذينَ يرونَ أنّ عملهم هذا هو في الأصل عمل رُسْلِ الله المُجَنّحين، فهُم خير من ترجمَ كلام الله ونقله من اللّوح المحفوظ ونزل به إلى قلوب الأنبياء وصدورهم بكلّ اللُّغات، حتّى تحلّ كلمة الله في كلّ مكان، وهم الأمناء الحفظة الكتبة البررة الكرام. ولذا على المترجمين من أهل الأرض أن يكونوا بمثل أمانة ونزاهة مترجمي أهل السَّماء حتّى يحقّقوا على هذا الكوكب السّلم والسَّلام، ويمدّوا جسور المحبّة والأمان بين الشّعوب، ويرسوا ركائزَ التَّقدّم والتَّطوُّر المنشودَيْنِ. وثقوا بي أعزائي القرّاء، لولا تسلّحي بصبر المترجمين المُجنّحين وكرمهم وتفهّمهم لما استطعتُ المضيَّ لليوم قُدُماً في عالم التَّرجمة إيماناً منّي بأهمّيّة ما أقوم به من عمل، ستأتي الفرصةُ حتماً لنشره كاملاً في كُتُب موسوعيّة مع دار النّشر الّتي تستحقُّ أن يرتبط اسمي باسمها، وذلك حتى أتَوِّجَ جهدي وأكلّلَ صبري بالنَّجاح، وأقدّم لإخوتي في الإنسانيّة عملاً يجمع شتات الكلمة من المحيط إلى الخليج.

30. ترجمتِ ديوان: السَّلام أعمق من البحار، وقدّمت دراسة موسّعة عن أدب صبري يوسف، ما رأيك في آفاقه الأدبية والفنّيّة نحو فضاءات السّلام، وما رأيك في مجلّة السَّلام الدَّولية الَّتي يصدرها سنويَّاً؟

لكلِّ خشب ساعة الحرق عطرٌ ورائحةٌ زكيّة مُعَيّنيْن، ولكلّ مبدع أسلوبٌ وبصمةٌ يُميّزانه عن غيره من المبدعين، وأنا كلّما كنت أمام تجربة إبداعية لأديب ما، شعرتُ بمحنة ما بعدها محنة، إذ عليّ أن أبحث عن هذه البصمة، أو هذا العطر الَّذي يميّز شجرة الإبداع عنده، حتَّى لا تصبح الكتابة التّرجميّة أو النَّقديّة تكراراً لما سبق وكتبتُه عن غيره، ممّا يعني أنّه عليّ أن أبدأ سفري من القراءة المكثّفة عن هذا المبدع، ثمَّ بعد ذلك المرور إلى مرحلة البحث والمصادر الَّتي تتوافق مع ما أنا بصدد القيام به من دراسة أو ترجمة. وإنّي لأعتبرُ نفسي من المحظوظين في هذا المجال، لأنّ الوهّاب منّ عليّ بنعمة النّسيان: نعم، أنا كثيرةُ النّسيان، أنسى بسرعة ما أقرَؤُه من كتب ومصادر، وروايات وقصص، بل حتّى ما أراهُ من أفلام أو ما أسمعه من قطع موسيقيّة، وهذا قد يجدُهُ البعض مشكلةً، لكنّني أعدّه كنزاً ما بعده كنز، لأنّه يعني أنّ نفسي وروحي وعقلي كلّهم معاً في تجدّد مستمرّ، ففيهم المساحة الكافية دائماً لتلقّي المزيد والمزيد، وفي هذا، أشْبِهُ النّوتيّ البحّار؛ وهو حيوان بحريّ صغير بحجم قبضة اليد، ويحيط برأسه المخروطي قرن استشعار قصير، يتواصل به مع العالم المحيط به. وأغرب شيء فيه هو صدفته المتكوّنة من غرف كثيرة، كلّ غرفة أكبر من سابقتها ومغلقة بإحكام من جميع الجوانب بواسطة جدران دقيقة ما عدا الغرفة الأخيرة الَّتي يوجد بها جسم النّوتي الرَّخو.

وهذا النّوتي، كائن مائيّ "أعمى"، يعيش خلال النّهار في أعماق المياه المظلمة ولا يقترب من سطح الماء إلّا ليلاً، وكونهُ أعمى فهذا يعني أنّه مكتمل البصيرة القلبيّة والرُّوحيّة، أمّا عن كونه ينتقل من غرفة إلى

أخرى، فهذا دليلٌ على أنّه منشغل بالبناء والتَّجديد، فهو دائماً يبني حجرات جديدة أكبر حجماً كلّما نما جسمه بشكل أكبر ويهجر الحجرة القديمة كي يقيم في الجديدة، وفي بعض الحالات يمكن لغرف قوقعته أن تصل إلى ثلاثين غرفة. وكلّ هذه الصِّفات لا يملكها إلّا المبدع المتنوّرُ من أهل الحرف، المنشغل بالتّفكيك والهدم وكسر القواعد من أجل شرب حليب الأبجديّة والوقوف على أسرارها.

وأذكر أنّني كنتُ خلال قراءاتي الأوليّة لمؤلّفات صبري يوسف وإبداعاته التّشكيليّة، كلّما مضيتُ قُدماً في الدِّراسات الأوليّة، أحاطت بي الرِّسالات والصُّور من كلِّ جانب، قادمةً من أماكن مختلفة. وهو أمر كان يحتاجُ منّي إلى الكثير من الصّبر والجَلَد حتّى أستطيع استيعابها كاملة، لأنّها كانت تحملني إلى آفاق أكثر شساعة وشموليّة، حيث الحرف يُفصح عن نفسه وبأشكال جديدة، فوجدتني وأنا في غمرة القراءة والتّرجمة، أنظِم قصائد جديدة شكّلتْ جسد ديوان آخر هو (مالمْ تبح به مريم، ويليه متون سيدة)، والذي تحوّل بشكل أو بآخر بين يدي الأديب صبري يوسف إلى ديوان آخر نابع من التَّجربة ذاتها وأعني به (تجلّيات من وهج الانبهار)، وقد كان هذا كلّه نوعاً من الدَّوران في الاتّجاه المعاكس لعقارب السَّاعة، أو لأقُلْ صلاة دائريّة تشبهُ دورة تلك الخطوط المنحوتة على جسد النّوتي أو قوقعته الّتي ترمز إلى كمال الخلق والتَّخليق.

ماذا يعني كلّ هذا؟ أنّ السَّلام الّذي كان يتحدّثُ عنه صبري يوسف في ديوانه هو الله. ولستُ هنا بصدد حصر الدِّيوان في إطار لاهوتيّ ميتافيزيقيّ محض، بقدر ما أنا بصدد الحديث عن شفافيّة رسالة ديوان (السَّلام أعمق من البحار) والّتي وصلتني كاملة، وفتحت عين قلبي بشكل جميل جدّاً، حتّى أنّي صرتُ في تلك الفترة لا أجلس في مكان إلّا وأجد حروف السَّلام وإشاراته من حولي. لقد بتُّ آنذاك أرى كلمة (السَّلام) مكتوبة فوق الجدران وفوق السِّيارات، وفي اللّافتات، وعند مداخل الأزقّة والطُّرقات، سواء هنا في إيطاليا، أو هناك في المغرب.

وكلّ هذا دفعني إلى المزيد من التَّأمّل في تاريخ الإنسان: فأنّى له أن يجدَ السّلام، وقد قتل اللهَ بداخله؟!
سيقول المتفيقهون إنّ الله لا يُقتلْ، إنّه حيّ دائم باقٍ، وأقول: نعم هو كذلك، لكن في قلوب القلّة، وأمّا في قلوب أغلبيّة النّاس فهو ميّت غائب ومُغَيَّب، وإن كانوا من ذوي الأذكار والتّلاوات، والرّكوع والسّجود في المعابد والكنائس والمساجد، فهذا لا يعني شيئاً بتاتاً مصداقا لقوله عز وجل: ((وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً)) (الأنفال: 35).
هي الأجساد تصعد وتهبط، والأفواه والشِّفاه تمكو مكاء لا ينقطع، لا أقلّ ولا أكثر. لن يحلّ السّلام في قلوب لا تعرف اللهَ ولا تعترفُ به: إنّه هو السَّلام، ومهما بلغ الإنسان من التَّقدُّم، فإنَّ عقله يبقى الحجابَ الأكبر الَّذي يحول بينه وبين الوصول للسلام والطّمأنينة. السَّلام لغة القلب والرُّوح، ويجب التَّجرُّد من كلّ شيء من أجل الإحساس به، وتحقيقه.

كلّ الأنبياء جاؤوا به، وكلّ المؤمنين والأولياء اضْطُهدوا من أجله. وحينما عذّبَ الحاقدون المسيحَ مثلاً، إنّما أرادوا قتل الله في صورته، وبالتّالي محو صورة السّلام، وهو الشّيء نفسه الّذي حدث مع أمير المؤمنين عليّاً (ع)، ومع ابنيْه من بعده. ثمّ بعد ذلك يتساءل المتفلسفون وأدعياء الفكر؛ من أين تأتي الحروب ولماذا كلّ هذا العذاب على الأرض؟!

ليس بالأمر الهيّن قتلُ الله كلّ يوم؟ وعبثاً يحلم النّاس بالفردوس والجنان والحشر مع الصّدّيقين والأبرار: يجبُ إحياء السّلام في القلوب، يجب إحياء الله، يجب النّزول إلى الجحيم إذا أراد النّاسُ الجنّة، فالطّريق يبدأ من هناك، وعبثاً يتحدّث العرفاء عن الحبّ ما لم يتحدّثوا عن الكراهيّة، وعن الملائكة ما لم ينظروا في عينَيِ الشّيطان ومواجهته وجهاً لوجه، ونسف وجوده من الأعماق. أعتقد أنّه قد حان الأوان لتفكيك منظومة الجحيم والجنّة، والملائكة والشّياطين، من أجل السّعي إلى السّلام الحقّ، وعلى أطبّاء النّفس وعلومها أن يعيدوا النّظر في كلّ إرث فرويد ويونغ وغيرهما، لأنّ جنون الإنسان المستمرّ وشقاءَه الّذي لا نهاية له، أثبتَ فشل هؤلاء في تقديم الحلول النّاجعة لتفادي كل هذا الخراب الرُّوحيّ الكبير.

السّلام يشفي الإنسان من كلّ شيء، وأنا أعني ما أقول جيّداً، وقد خبرتُ هذا الأمر لأكثر من مرّة، وآخرها كانت يومَ وفاة والدي: حينما جاءني الخبر، لم أبكِ ولم أصرخ أبداً، حتّى أنّ السّائقَ الّذي حملني إلى مراكش لأحضر مراسيم العزاء والدّفن، استغرب الأمرَ كثيراً.

كنتُ أشعر بطمأنينة كبيرة مصحوبة بجرح وألم، كان الأمرُ يُشبه جرح العاشقة في ليلة زفافها، وهي تتعرّفُ لأول مرّة على السّعادة العشقيّة. والموتُ بالنّسبة لي، هو نوع من الزّفاف، حيث الرُّوح تخرجُ عروساً من دار إلى أخرى، والجرح والألم هو فقط وقتيّ من أجل سعادة أبديّة.

كنتُ أعلم أنّ روح والدي قد بدأت رحلتها نحو هذه السّعادة، ولم يكن يعنيني أبداً إذا كانت سعادتها ستبدأ بعروج نحو المحرقة (الجحيم)، أو نحو (الفردوس). لأنّني على يقين أنّ كلاهما مطهّر، وأن لا أحد في الكون كلّه أرحم من الله على النّاس، فهو خالقهم. هذا الشُّعور جعلني أشعر بخفّة في الرّوح والجسد بين الأهل وهم يبكون ويصرخون من شدّة ألم الفراق. وحينما كنت في مطار الدّار البيضاء عائدة إلى إيطاليا، شعرتُ أنّني ريشة تطير في الهواء، وأحسستُ بسعادة تغمرني ما بعدها سعادة. أيْ نعم كان جسدي مرهقاً من كثرة الأسفار وهول المفاجأة لكنّ روحي كانت تحلّق في السّماء. إنّه نفسهُ السّلام الّذي ترجمتُه في ديوانِ صبري يوسف، والّذي يتحدَّثُ عنهُ أهل الحقّ، إذا حلّ بالرُّوح شفاها من أسقامها وأحزانها. لذا فإنّي أرجو من الله عز وجلّ أن يُنوّر قلوب الفقهاء المفسّرين ويرأفوا بالنّاس وهم يُحدّثونهم عن النّار والجحيم والعذاب، لأنّ الأمر فيه صور مجازيّة، ورموز ينبغي تأويلها بعين الحكمة والتّروّي والمحبّة قبل كلّ شيء.

حينما ركبتُ الطَّائرة المتوجّهة إلى إيطاليا، ابتسمتُ وفي القلب رعشة ونور: قلتُ في نفسي، يا لهذا اليوم العجيب: دُفِنَ والدي بمرّاكش في مقبرة المطار، وكأنّه أراد أن يقول لي إنّ الحياة مجرّد سفر. لقد كان يحبُّ الأسفار كثيراً، ودُفنَ في مكان تقلع فيه الطَّائرات على مدار الأربع وعشرين ساعة، وقبره يحمل رقم السَّنة التي وُلِدْتُ فيها. ربُّ السَّلامِ أراد هذا، وأراد لي أيضاً أن يكونَ أوّل ما قمتُ به بعد عودتي أن أراجع وأنقّح ديوان (السلام أعمق من البحار) لأكثر من مرّة، وأدفعَهُ لدار النّشر وأتتبّعَ كلّ خطواته إلى أن أصبح حقيقة على ورق، فصدر وفي القلب فرح ما بعده فرح.

أمّا عن مجلّة السلام الّتي يرأس تحريرها الأديب صبري يوسف، ويسهر على نشر موادّها الموسوعيّة الواحدة تلو الآخر، فكلّ ما يمكنني أن أقوله عنها، إنّها يمامةُ محبّة تشدو بالجمال والعشق وسط هذا الزّخم الكبير من النّشاز المحيط بنا من كلّ جانب.

34. ديوان: "ما لم تبُحْ به مريم لأحدٍ ويليه متون سيّدة: يتضمّن خصوصيّة وتجلّيات رهيفة، كيف تنامَت عندك فكرة كتابة هذا الدِّيوان بكلّ تفرُّعاته السَّامقة؟

أهُوَ نوع من الرّقابة العليا هذا الَّذي أنا بصدد ممارسته على نفسي حينما أسألها عن سببِ هذا الدِّيوان الجديد وفحواه؟ ربّما يكون الأمرُ كذلك، إلّا أنّني لا أعرفُ إلى أيّ مدى يحقُّ للمُبدعِ عموماً طرح سؤال الإبداع هذا، فهُو غالباً ما يكونُ سؤالاً مُحرجاً لأنّهُ يغوصُ بعينه المجهريّة في بحارِ الذَّات الإبداعيّة ليُخرجَ مكنوناتِها العميقة ويجعلَها تطفُو بكلّ يُسرٍ وعفويَّةٍ أمام أعين القرّاء، ولأنّهُ أيضاً سؤالٌ وجوديّ وثبوتيّ لهُ علاقة قويّة بهويّة الإنسان ورسالتهِ العظمى في هذه الحياة. لا سيّما وأنّ كلّ مبدع وإن كان يتظاهرُ بتجاهل مسألة التَّأويل لدى القارئ وأبعادِها الإبستمولوجيّة، إلّا أنّه تبقى بداخلهِ تئنُّ خجولةً تلك الرّغبة الدّفينة في أن يُوفَّقَ المُتلقّي إلى المعنى الحقيقيّ لما يكتبُهُ، أو يرسمُهُ أو يعزفهُ، أو يغنّيه، إلى غير ذلك منْ مظاهر الإبداع الإنساني.

حينما بدأتُ في كتابة هذا العمل الإبداعيّ الجديد، لمْ أكُ بعدُ قد تخلّصتُ من تأثير (99 قصيدةً عنكَ)، إلّا أنّني شعرتُ بحاجة جديدة تجديديّة في التَّحرّرِ منْ كليشيهات التّجنيس الأدبيّ، ذلك أنّ ما أنا بصددهِ اليوم تجربةٌ أخرى، ليستْ بكلام مُقفّى، ولا بشعر عمودي، ولا هي بشعر نثري، ولا بنصوص سرديّة كاملة، وإنّما هي مزيج من هذا وذاك، فحقّ عليّ إذن أنْ أصهر لهَا في بوتقةِ الكلمات عنواناً يليقُ بها، ويتحدّثُ لغتَها الكونيّة الّتي لا علاقة لها بالتّجنيس والتّمفصلات الأدبيّة والسّياسيّة والطّائفيّة وغيرها من هاته المتاهات الّتي لها فعلُ السّوسِ في جسد الحرف، ما إن تقترب منهُ حتّى تجعلهُ مهترئاً لا شيء فيه سوى شبحِ الخواء وغبارِ البارود، خاصّةً وأنّنا اليوم نعيشُ في زمن الفراغ الدّاخلي والباعة المتجوّلين بالكلماتِ في أسواق الفساد وصناعة الخراب، وفي زمنٍ انقلبت فيه الأعمدة وانهدمتِ البيوت، وأحرقتِ المُدُنُ والمزارعُ، وتسوّس القمحُ وحَمُضَ الخبزُ وتعفّن. أيْ في زمن اختفى فيهِ المعلّمون وتمّ التَّعتيمُ على

الكلمة الرُّوحيّة. لذا، كان لزاماً عليّ أن أجعل عنوانَ الدّيوان دالّاً على هذه الرّغبة في عزفِ أنشودةٍ تعيد لهذه الكلمةِ نورَها وبهاءَها؛ حينئذ جلستُ في ركن بعيد من مكتبي، أعيدُ قراءة نصوصيَ المكتوبة فقلتُ: [ستكونُ الصّدّيقة مريم (ع) هي أيقونة هذا الدِّيوان]، وعليهِ اخترتُ العنوانَ التالي: «مالمْ تبُحْ بهِ مريمُ لأحدٍ، ويليه مُتون سيّدة»، انطلاقاً من أنّ العديد من النُّصوص أتحدثُ فيها عن السّيدة مريم عليها السَّلام، وباعتبار أنَّ جملة العنوان الأولى قد تكرَّرتْ في أكثر من نصّ شعري وآخر نثري. لكنّ دوام الحال منَ المُحال، فقد ظلّتِ القصائدُ الأخرى وهي في طريقها للهطول على قلبي تشتغلُ بداخلي على مهل، إلى أنْ حدث ذاتَ فجر من شهر أيار لسنة 2014 ما قلبَ كلَّ الموازين لديّ، فقررتُ أنْ أجعل منْ صاحبتي في المحبة والعشق سيّدة عيسى الرّديف، قصيدة القصائد في هذا الدِّيوان، وأنْ أهدي كلّ نصوصهِ لروحها الطَّاهرة. وأعتقدُ أنّني هنا بحاجة إلى طرح سؤال ثالثٍ، قد يكون له هو الآخر صفة الرّقابة الذّاتيّة على تفاصيل ميلاد الحرفِ الإبداعي عندي، وعليهِ، فإني أقولُ، ـ وأعلم أن القارئ قد سبقني للقول ذاته بلحظات ما إن قرأ كلمات الإهداء التي بها افتتحتُ هذا العمل الجديد ـ : [لماذا سيّدة، ومنْ تكون حقيقة؟]!

سيّدة أو الخالة سيّدة كما كانتْ تحبُّ نساء ديريك أنْ تناديها، هي الأمّ الطّاهرة الصّالحة التي علّمتني كيفَ أطرحُ بعمقٍ إشكاليّة علاقة الموتِ بالإبداع، أو علاقة قيامة الأجسادِ بالحرف، وأعني هُنا بمصطلح القيامة، عودةُ الإنسان إلى الانوجادِ بعدَ تحقُّقِ الفناء.

أجل، فوحده الإبداع في كلّ مجالات الحياة قيامةُ الإنسان من موت النّفس والروح، ووحدهُ حرفُ الكتابة كانَ يقول لي وصاحبتي سيّدة إلى جانبي: «لا تخفْ أيّها القطيع الصّغيرُ، لأنّ أباكم قد سرَّ أنْ يعطيكُمُ الملكوت»، ووحده جلوسي أمام الحاسوب لكتابة هذا العملِ الجديد كانَ يحملُنِي إلى الأبديّة.

كمْ منْ مُبْدِعِي الحرفِ الأكبر يتأمّلُونَ حقيقةً في وضعية الجُلوس هذه أمام الحاسوب، أو إلى طاولة أخرى والقلم بين أيديهم يسكبون منه عصارة الرُّوح والفكر؟ ربّما هُم قلّة، والأقلُّ بل الأندرُ منهُم أولئكَ الّذين يرونَ الكتابةَ صلاة. نعم أحبّتي، فصلاتي هذه، هي الّتي كانتْ تجعلُ سيّدةَ تطيرُ على جناح السّلامِ من ديريك إلى صقلية حاملةً لي بين يديها إكليلَ المحبّة. وإنّني لأجدُ في هذا القول اعترافاً صارخاً مدوّياً لكلِّ المبدعين المكلَّلين بتاج النُّور، لأنّهُ سيكشفُ لهُم أنْ لا أحدَ منهُم يستطيع أنْ يعيش بدون كلمة مكتوبة. وأنا أيضاً مثلهُم، ذلكَ أنَّ الأمر فيه تجربةُ مَنْ سبقَنِي ممَّن أقامهُمُ اللهُ ونصّبهُم في الحياة ليكونوا مُرشدين ومعلّمين مُمسكين بقنديل الحرفِ وسط ظلمة الدّرب والطّريق.

وضعي وأنا جالسة كُلَّ فجر على كرسي الكتابة، هو اشتياق روحيّ عميق للأبدية، عبر الانعزال حيثُ الهدوء والسَّكينة وحياة التَّأمّل والإنصات والإستماع. إنَّهُ نوع من الخضوع والخشوع، لأنّي أخلو فيه بحبيبي، الّذي علّمني أنّ الكلمةَ وحيٌ فصلٌ وما هو بالهزل، وبأنَّ منْ يعرفُ اللهَ يجلسُ ليقرأَ، ومنْ يقرأُ

يجلسُ ليكتبَ، لذا فإن وضعيّة الجلوس هذه مهمّة للغاية لمنْ يعرفُ ما معنى أنْ يقتلعَ الإنسانُ نفسَهُ من زحمة الحياة ويسافرُ بها بعيداً إلى فيافي الفكر حيثُ شمسُ الحرف والكلمة تذيب كلّ ما علقَ بالنّفس من جليد الزّمن. لأنّ معركةَ الإنسانِ الحقّة كانتْ ولمْ تزل معركةَ فكرٍ، وليستْ كمَا يحاولُ الغيرُ إظهارَها حرباً على مصادر الطّاقة أو غيرها من خيرات هذه الأرض.

وعليه فإنّ الإنسانَ مدعو الآن وأكثر من أيّ وقتٍ مضى إلى أن يحملَ الكونَ كلّه في كيانه، ويضعَ الخليقة بأكملها في وعيه ويحيطَها بمحبّتهِ وعشقهِ حتّى يُقدِّمَ بها صلاة شُكرهِ الخاصّة لله، ويُحدّدَ بكُلّ ما رُزقَ مِنْ فِكرٍ اسْمَ كلّ مخلوقٍ حيّ، لأنَّ حروبَ اليوم هي حروبٌ على كلّ الأسماءِ الَّتي علّمَهَا الخالقُ لآدم، والعدوُّ مُصرٌّ على محو أثرِ الخالق والخَلْقِ وبصمتِه في الكون، أيْ على محو الإنسان، لأنّهُ كائنٌ يحيا بنسمةٍ مُنبَعثةٍ مِنْ ربِّ العزّة والجلال، بها ينمُو ويحْمِي نفسَهُ منْ أنْ تلتصقَ بالوَحَلِ، ولأنّهُ صورةُ الحقّ في الكون التي بها يسكُنُ ويسيرُ معَنا وفينَا مصداقاً لقوله عزّ وجلّ ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (الحديد:04).

وانطلاقاً منْ مفهوم الإقامةِ الإلهيّة في أجسادنا وأرواحنا، وفي كُلّ شيءٍ يحيطُ بنا ممّا نُدركُه ولا ندركُه

قرّرْتُ أنْ أضيفَ إلى عنوان الدّيوان الأصليّ إشارةً رقمية رياضية، هي ⟦√29⟧^57، وقدْ جسّدتُها منْ

خلالِ لوْحَةِ الغلاف مُتفاديةً الخوضَ في شرحِ أسرارِ هذه الإضافة تاركةً أمرَ كشفِهَا لبصيرة القارئ النّافذة ولخبرةِ السّادَةِ النُّقّاد والبحّاثة في علوم الحرف والرّياضيات، ومكتفيةً بالإشارة فقط إلى أنّني بهذا الرّقم شرحتُ مَنْ تكونُ حقّاً سيّدة، أو هويّةُ الحرفِ المُتجلّي عبْرَ وجههَا واسْمِهَا في جُلّ نصوص هذا الدّيوان، دونَ إغفالِ الإشارةِ كذلكَ إلى قضيّة الجمع بينَ الحرفِ العيسوي والمحمّدي لما لها مِنْ أهمّيَةٍ قصوى في حياة الإنسان اليوم على ضوء مُستجدّات العصر التّاريخيّة والسّياسيّة، وذلك عبر سردِي للعديدِ من الأسماءِ والتّجارب الفكريّة المختلفة جامعةً بين قطبَي الأرض، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وشعراً ونثراً بلُغةٍ جديدة قديمة هي لغةُ الله الكونيّة، أو رياضياتُه الحقّة.

36. ما هي معاييرك عندما تختاري ديواناً شعريّاً، مجموعة قصصيّة، عملاً روائيّاً لدراسته نقديّاً؟

– أن يكون العمل بعيداً عن الأحقاد السّياسية والمذهبيّة والطّائفيّة والدّينيّة، وأنْ يتمتّع بصفات جماليّة وإبداعيّة تجعل الاشتغال عليه وفيه وبه أمراً ممتعاً؛

– أن يكون بعيداً عن الكتابة الولائميّة الجنسيّة الَّتي أصبحت تختصّ فيها العديد من المبدعات العربيّات ظنّا منهنّ أنهنّ بهذا سوف يرضين الذَّوق العالميّ، ويُظهرنَ للجميع أنّهنّ قد بلغن مبلغاً عظيماً في مسألة الحريّات والحقوق، وكأنّ تقدّم الفكر لن يتحقّق إلّا بالحرف وهو يُعرّي المرأةَ ويجعلها حفلة شواء في الهواء

الطَّلق تتمتّع بها قطعان الذِّئاب الضّالّة، وصعاليك "المبدعين" في كلّ مكان. وإذ أقول هذا فإنّني أريد أن أؤكّد أنّني لستُ ضدّ الكتابة عن جسد المرأة والتّأريخ له، ولكن لا ضير أن يكون ذلك من باب الإيروتيك الجماليّ، وكذلكَ من باب التأريخ لقصّة العنف المذبحيّ الّذي عانت منه المرأة ولم تزل لليوم، دون السُّقوط في بؤرة الشَّبقية والفاحشة المفرطة الَّتي لا ولن تنفع الأدب ولا الفكر في أيّ شيء.

– وأخيراً، وهذا أمر مهمّ للغاية بالنّسبة إليّ: أن أعطي لكلّ عمل حقّه ووقته الّذي يحتاجه، ولا يوجد في الدُّنيا شيء يزعجني أكثر من العقليّة الاستهلاكيّة الّتي تريد من النَّاقد أن يكتبَ دراسة نقديّة في يوم أو يومين أو بالأكثر في أسبوع. هذا أمر مرفوض تماماً لديّ، لذا فإنّي أحرص كلّ الحرص على عدم التّعامل أبداً مع "الأدباء" المستعجلين والمتسرّعين في كلّ شيء.

78. هل استطعتِ أن تسبري ما يجول في نفس وروح وخيال أسماء غريب، أم أنّك ما تزالي تبحثين في خبايا الرُّوح والخيال عن الكثير ممَّا يراودك كي تسطِّرينه على وجنةِ الحياة؟

لا أعتقدُ أنني سبرتُ للآن أغوارَ ما يجول في نفسي وروحي وخيالي؛ كلّ ما مضى، وكلّ ماكتبتُه لليوم ماهو سوى تسخينات وتمارين رياضيّة أوّليّة لا أقلّ ولا أكثر، مازلتُ أنتظرُ من عقلي وخيالي الأعمق فالأعمق؛ هناك محيطات وأدغال بكر مازلتُ لمْ أحاذيها، وأعرف أنها هناك بانتظاري، لقد رأيتُ بعضاً من صورها في تجلّياتي المتوهّجة، لكنّني مازلت لمْ أدخلها، وهذا الأمر يحتاج منّي إلى المزيد من التَّعرف على نفسي، وأدواتها ورموزها ودهاليزيها، وصحاريها وواحاتها وغاباتها. أريد أن أصل إلى العمق الّذي لا صوت فيه ولا حركة، ذاك المركز الَّذي يضجُّ بالمحبّة والمحبّة لا غير، عندئذ لن يهمّني أبداً أن أكتبَ عنه أم لا، ولكن سيكفيني فقط التَّأكد من أنّني وصلتُ، وإنّني الآن منشغلة في صمتٍ عميقٍ برسم خارطة جديدة لعوالم نفسي، أحدّدُ فيها الاتجاهات والمسافات والبحار والسَّماوات والكواكب والنُّجوم، وأوقات السّفر، وإنّني لأستغرب كيف كان يقضي العديد من العرفاء قديماً أعمارهم في التَّنقل من مكان إلى آخر على غير هدى، في حين أنَّ السّفر الحقيقيّ الأوّل والأخير هو ذاك الّذي يتمُّ بدواخلنا: لا بدّ من خريطة، ولا بدّ من بوصلة روحيّة، ولا بدّ من رفيق ومرشد، وسيبقى اللهُ إلى الأبد رفيقي الأوحد ومرشدي الأوّل في هذا السّفر، لأنّه هو فقط أهل الثّقة بالنّسبة لي، وهو وحده يعرف كيف وأين ومتى يوجّهني ويدلّني على ملكوت المحبّة الأبديّ، قد أصلُ بعد بضع سنوات، كما قد أصل قبل سنوات قليلة تفصل بيني وبين مغادرتي لأرض جسدي، وربّما أكون قد وصلتُ ولا أستوعبُ ذلك حقيقة، إلَّا أنّ هذا لا يمنعني أبداً من أن أشكُرَ خالقي جزيل الشُّكر على كلّ ما قدّمه لي للآن من نصائح وتوجيهات وإرشاداتٍ، استطعتُ بها أن أكتشف العديدَ منَ المعاني. وفي الختام أعود وأقولُ إنَّني دائماً وأبداً مازلتُ في بداية الطَّريق، والشَّمسُ مازالت في قلبي تنظرُ إليّ باسمة، وتمدُّ لي كلّ يوم يدَها لنكملَ معاً رحلة المحبّة!

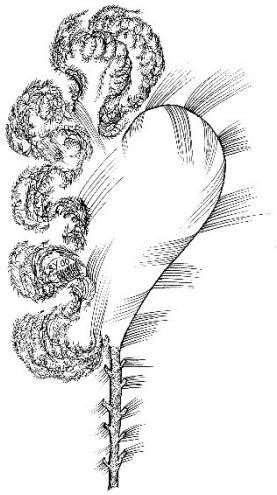

مقتطفات من تعقيباتي على بعض أجوبة هذه الرّحلة

صبري يوسف،

1) الأديبة المبدعة والمترجمة والنّاقدة الرّاقية د. أسماء غريب، كم أشعر بالفخر والاعتزاز أنّني أجري معكِ هذا الحوار يا أيَّتها الصَّديقة المبدعة، وكم سررتُ عندما قمتِ بترجمة ديواني "السَّلام أعمق من البحار"، وقدَّمتِ دراسة نقديّة تحليليّة عن أدبي وفنّي حول السَّلام والوئام بين البشر ونشرتِ هذه الدّراسة ضمن ديواني السَّلام أعمق من البحار كمدخل عميق بعد ترجمته إلى الإيطاليّة، ونشره عن دار أريانّا الإيطاليّة، سررت جدَّاً بترجمتك وطريقة توغُّلكِ إلى أعماق حرفي ونصِّي ولوني، أراك بمثابة راهبة في الأدب والتّرجمة والنَّقد وفي النَّشر والصِّياغات النِّهائيّة للكتب شعراً ونقداً وترجمةً! وكلُّ هذا الإبداع الَّذي تتميّزين به، دفعني بكلِّ سرورٍ إلى إعداد هذا الحوار معكِ: رحلة المئة سؤال وجواب، وهو مشروع كتاب حول تجربتك الإبداعيّة، وتأتي إجاباتكِ عميقة، وأشعر أنّني قمتُ بواجبي تجاه قامة شاهقة من قامات الأدب في العالم العربي، وكم بديتِ لي أنّكِ تحملين رؤية تصبُّ في العالميّة من حيث الانفتاح والإبداع والتَّواصل، فلم أجد سلاسةً في التَّعامل مع وهج الحرف قراءةً ونقداً وترجمةً وشعراً مثلما وجدتها عندكِ، وأرقى ما تتميَّزين به هو عشقكِ العميق لكلِّ حرفٍ تكتبينه في أيِّ مجالٍ أدبي، لهذا كلّه يغمرُني الفرح العميق يا جميلتي المبدعة أنّكِ من الصَّديقات المجنّحات نحو سموِّ الحرف بأجمل وأرقى معانيه، ولهذا أيضاً تعمَّقَ التّعاون في الأعمال الإبداعيّة فيما بيننا، وكم كنتِ مبدعة في قراءتكِ النَّقديّة لأدبي وفنّي في كتابك النَّقدي الأخير الَّذي حمل عنوان: تَمثُّلاتُ السّيادة الملائكة الكروبيّين في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة (من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)، وكم سررْتُ عندما أمسكتُ قلمي وكتبتُ مقدّمة هذا الكتاب، متوغِّلاً في أعماق ما جاء فيه من تحاليل خلّاقة، قلّما نجد من يتناول الأدب من هكذا رؤية شاهقة في التَّحليل، وكم أشعر أنّني مَدين لكِ يا عزيزتي المبدعة بكلِّ ما قدّمتينه وتقدّمينه لي وللإبداع في العديد من الأجناس الأدبيّة وأراك في مصافِّ المبدعات الشَّرقيات العربيَّات الّتي عندها إمكانيّات عميقة تضاهي الكثير من المبدعات الشَّرقيّات والغربيّات بإمتياز، دمتِ متألِّقة يا صديقتي الأديبة الشّاهقة الخلّاقة د. أسماء غريب!

2) مبدعة بامتياز، كم أشعر بالفخر والاعتزاز وأنا أقرأ إجاباتكِ العميقة الرَّهيفة الشَّفيفة، وأنتِ تغوصين في بحار الأدب والإبداع ووهج الحرف، وكم شعرتُ أنّني أمام مسؤوليّة كبيرة وأنا أكتب مقدِّمة لديوانك 99 قصيدة عنكَ، وقد تربّعتْ مقاطع من هذه المقدِّمة على ظهر الغلاف، وكم شعرت وأنا أقدّمك أنّني أمام قامة إبداعيّة شاهقة، في كيانكِ وهج الحرف ينمو ليل نهار، أنت يا صديقتي المبدعة مجبولة من طينِ الحياة وألقِ الرُّوح المتصاعدة نحو بهاء السَّماء وأنت تسبحين في رحاب الحرف ووهج الألوان، في روحك

تنمو حبور القصائد، تشبهين حلماً منساباً فوقَ مآقي الغيوم، هل كنتِ يوماً غيماً متهاطلاً فوق مروج القصائد؟! فجاءت قصائدك معبّقة باخضرار الحياة، كم أشعر بحنين الكلمة وأنا أنسجها فوق بسمة الرُّوح قبل أن تناغي هدهدات ليلك المفعم بالتَّجلي، تنسجين القصيدة من شهقة انبعاث الرُّوح وهي تسمو نحو أشهى تجلّيات الخيال، استلهمت يوماً نصّاً شعرياً رهيفاً من معالم فضاءاتك ونصوصك وألوانك فكان جزءاً بهيّاً من أنشودة الحياة، كوني مطراً خيّراً منبعثاً من بسمة السّماء فوق أسرارِ الحياة أيّتها الأديبة المبدعة د. أسماء غريب! دمتِ بخير وأنتِ تحلّقين عالياً تغترفين ألقاً شهيّاً من نكهة العسل البرّي وتحبكينَ أشهى تجلّياتِ بوح الحرف فوقَ خدودِ القصائد!

3) لماذا لا تنفتح آفاق المؤمنين والمؤمنات للسلام والوئام كالتّنويريّة الصُّوفيّة د. أسماء غريب؟

لو كانَ منهج البشر في العالم العربي من طينة الأديبة والمترجمة والنّاقدة المبدعة، التَّنويريّة الصّوفيّة المغربيّة د. أسماء غريب، لكُنّا بألف ألف خير، ولما نشبت حربٌ أو صراع ولا تمَّ إطلاق رصاصة واحدة في الشَّرق أو الغرب أو في أيّةِ رقعة جغرافيّة في العالم، فهي مبدعة صوفيّة ولها قلب عفيف رهباني وئامي ومتنوّرٍ بالمحبّة والعطاء الخلّاق، وروحها صافية صفاء المطر ومبلَّلة بخيرات نعيم السّماء. كم نحن البشر نحتاج هكذا إنسانة بهذا الصَّفاء الرُّوحي والإنساني والعطاء الصُّوفي الرّاقي، كم يحتاج العالم العربي والغربي إلى التَّشبُّع بهذه الثَّقافة الرّوحيّة الرّاقية باستلهام وترسيخ رحيق جوهر الأديان، فقد تمعّنَت المبدعة الخلّاقة أسماء غريب بالأديان السّماويّة، واصطفَتْ من هذه الأديان أرقى ما فيها من تجلّيات السَّلام والوئام والمحبّة بين البشر، وتستشهد بكتاباتها وتطلُّعات آفاقها بما قاله الرُّسل والأنبياء والقدّيسون من سائر الأديان حتّى يخّيل لمتابعيها أنّها متشرّبة من كلِّ الأديان وكأنّها (يهوديّة مسيحيّة مسلمة) مستنيرة بروحانيّة منقطعة النّظير، إنسانة صافية صفاء نور الصَّباح المنبعث من الشّمس والَّذي يضيء العالم، قرأتِ الأديان السّماويّة والأديان الأرضيّة والآداب العربيّة والعالميّة والفلسفة الشَّرقيّة والغربيّة، ووصلت إلى مرحلة الصّفاء الرّوحي والفكري الخلّاق فيما يخصُّ علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بربِّ الأرضِ والسّماء، تدهشني شفافيّة روحها ونقاء قلبها وصفاء فكرها وروعة انفتاحها على كلِّ ما هو خيِّر وسلام ومحبّة في الحياة، وتبدو لي كأنّها رسولة المحبّة والكلمة الطّيّبة والسَّلام والوئام بين البشر كلّ البشر، ورأيت فيها مؤمنة كونيّة بكلِّ ما هو إبداعي جميل وروحي وسماوي بطريقة هادئة شفيفة رحيمة حنونة مضيئة مثل شمعة للبشر كلّ البشر، فلا يشعر من يتابع كتاباتها وقراءة أفكارها ومقالاتها وأشعارها وقصصها ونصوصها إلّا وأنّه أمام طاقة روحيّة فكريّة إبداعيّة صافية ومشبّعة لفعل الخير والفضيلة والمحبّة والتَّواصل مع الخالق رب السّماوات بكلِّ صفاء، وجلّ إهتمامها منصبّ على ترسيخ قيم السَّلام بين البشر، وقد اخترتُ مجموعة من مقالات ونصوص المبدعة الصُّوفيّة أسماء غريب ونشرتها في ملف خاص في العدد الرَّابع من مجلّة السَّلام الدَّوليّة، الّتي أحرّرها من ستوكهولم، وتعمل الدّكتورة كمستشارة في هيئة التّحرير، وقد حمل ملفّها عنوان: "نصوص في وعن السَّلام، ملف خاص عن السَّلام"، تضمّنت

العناوين التّالية: "رسالةٌ إلى أبي آدم في السّلم والسّلام، رسالةٌ إلى صديقتي بيرثا فون سوتنر، الإيمان والموسيقى، وجهان لمعزوفة واحدة اسمُها السّلام، سفيرةُ السّلام، سانتا آغنيس، راهبة علمانيّة، كيارا: الشّمعةُ العارية، شمسٌ وبدر: روزالبا ونيكولاس، سِدرةُ المُنْتَهَى". وتناولت عبر مقالاتها الثّمانية جوهر السَّلام من منظور جوانب دينيّة عديدة بكلِّ رحابها حول مرامي السَّلام، بأسلوب متفرّدٍ من نوعه، كأنّها راهبة صوفيّة مشبّعة ومتنوّرة بكلِّ الأديان، ممّا جعل نصوصها ومقالاتها عميقة المغزى والرُّؤية والتَّحليل.

إنّي أتوسَّمُ بالمبدعة الرَّاقية أسماء غريب كأنموذجٍ راقٍ عن تآخي الأديان، إنسانة منفتحة بروحانيّة عالية على رحابة آفاق الأديان وتستشرف منها رحيقها الأسمى وجوهرها الأنقى وتسير بموجب ما يقنعها من رؤية روحيّة وئاميّة خلّاقة، كأنّها تنتمي إلى دين الإنسان ودين الأديان السَّماويّة المتناغمة مع آفاق ربِّ السّماء، فكم نحتاج إلى تكريس وترويج ثقافة السَّلام بهذه الشّفافيّة والرُّوحانيّة الرّاقية، بعيداً عن تعصّبات دينيّة ورؤية أحاديّة، لأنَّها مبدعة مجبولة بروح العفاف والسَّلام والمحبّة إلى درجة تبدو وكأنّها تبشِّر بدين الأديان والمحبّة والصَّفاء الرّوحي من خلالِ تبنّيها أسمى ما جاء في الأديان، وهي الطّريقة الأرقى في تعامل البشر مع بعضهم بعضاً بتناغم الآفاق الدِّينيّة، بعيداً عن أيِّ صراعٍ أو خلافٍ، متوقِّفةً عند كلِّ ما هو روحي وإنساني ووئامي لتعميق ثقافة السَّلام والمحبّة بين البشر كلّ البشر على مدى كلِّ الأزمان!

4) (عن الجواب 52):

روعة الرّوعات، إجاباتكِ هي نصوص أدبية سامقة، ودراساتكِ النَّقدية شامخة شموخ القصائد الخالدة، أيّتها الأديبة والمترجمة والنّاقدة الرَّائدة د. أسماء غريب، كم أنا سعيد بهذا الحوار الموسوعي الَّذي يسلِّط الضَّوء على تجربتك العميقة في الأدب والتَّرجمة والنَّقد، وكم يسرّني صبرك وهدوءَكِ ومتابعاتك الحثيثة في الحوار والكتابة والنّقد والتَّحليل بطريقة خلّاقة، دمتِ متألِّقة وباسقة كما عهدناك كأشجار الغابات المخضوضرة بالعطاءاتِ الخيّرة، وكم أتوسَّم بهذا الحوار أن يكون من الحوارات المهمّة على السّاحة الأدبيّة في الشَّرق والغرب في أدب الحوار، هذا الجانب الّذي نفتقره على السّاحة الإبداعيّة بهذا الشُّمول وهذا العمق، لأن الحوار في الأدب والفن والثَّقافة والفكر الإنساني وفي الكثير من ميادين الحياة هو الَّذي يقودنا إلى أعماق المعرفة وإلى جوهر الفكر الَّذي يبدعه المفكِّرون والمبدعون في شتَّى أنواع الأجناس الأدبية والفكريّة والفنِّية في الحياة!

أراك على خير كلَّ الخير!

5) (عن الجواب 61):

جواب بديع بديع بديع! جواب يلخّص عشرات الصَّفحات ممَّا يمكن أن يُقال في هذا السِّياق، خالص الشُّكر والتَّقدير الدّكتورة المبدعة أسماء غريب على كلِّ ما تفضَّلتِ به من تحليل وعرض ونقد، وللنتائج الَّتي وصلتِ إليها في رؤاك العميقة حيث تضعين يدكِ على الجراح المتفاقمة في الجسد العربي والشَّرقي،

وتعرضين كيفيّة الشَّفاء من تصادمات ما نراه من أسباب التَّخلف في دنيا الشَّرق، مع العديد من الأسباب الَّتي تنبثق ممَّا ذهبتِ إليه. دمتِ متألقة ومتنوّرة وعميقة الرُّؤية في توجّهاتك الإبداعيّة والفكريّة والحياتيّة والرُّوحية، أراك على خير وإبداع متجدِّد في كافة المناحي.

6) (عن الجواب 62):

إجاباتكِ أشبه ما تكون قصائد منبعثة من حبقِ الشَّمس، في صباحٍ باكر، أشعر بسعادة عميقة وأنا أتصفَّح بشغفٍ عميق رحلة المئة سؤال وجواب! وهل برأيك هذه الرّحلة المئوية تكفي لسبر أغوار شاعرة ومبدعة من طينة الأديبة الخلّاقة أسماء غريب أم سيتلوها رحلات أخرى في مستقبل الأيام؟ هذا ما ستكشفه لنا مهاميز حرفنا وهو يسطع فوق قبّة الصّباح! دمت متألّقة في بناء الحرف وشموخ الحرف في زمنٍ يزداد انزلاقاً نحو أسفل السَّافلين، فهل الكلمة الطَّيّبة ممكن أن تنتشل ما تمَّ انزلاقه؟ وحدَها الكلمة ووحدَها القصيدة تفتحُ أبواب الفرح والبهاء والسَّلام أمام جنون هذا الزَّمان! أراك على فرح وفي حالة إبداع متواصل في سماء الكلمة المتلألئة فوق تيجان الحنين إلى أزاهير بوح الرُّوح!

7) (عن الجواب 63):

حقيقة إجابة مدهشة، عميقة، شاهقة في تحليلها وتسليط الضَّوء على أبعاد الحلم الصَّافي وتجلّيات الرُّوح عندما تكون الملاذ الرَّاقي للإنسان، هذا السُّؤال وهذه الإجابة أشبه ما تكون بلسماً شافياً للكثير من تصدُّعات روح البشر أو غربتهم! هي رحلة في البحث عن أبجديّات راحة الإنسان وإيقاظ ضميره الحي، الكتابة هي منقذنا من ضجر هذا الزَّمان وتصدُّعاته المريرة، والحلم هو الجوُّ الأصفى كي نزرع في فضائه ما ينتابنا من جموحٍ روحي وألق وجداني روحي، .. فتحَتْ إجابتك أمامي مرافئ شفيفة في عالم الكتابة، وجعلتني أن أتيقَّن أكثر أن الكتابة هي بلسم لشفاء جراح الرُّوح والجسد معاً، وهي منقذنا من عتمة الحياة ومن ظلم هذا الزّمان، وهي أي الكتابة سفينة الأمان الّتي تقودنا إلى مرافئ أشهى القصائد وهي الّتي تمنحنا غبطة الغبطات ونحن نحلّق في بيادر المحبّة والسَّلام والوئام مع ذواتنا الهاربة من زمهرير هذه الأزمان، هذه الذَّات الجامحة فينا هي رُيّان الرُّوح في صيغةٍ ما، عبر تدفُّقات حرفنا الظَّامئ إلى اخضرار الرُّوح عبر شهقاتنا العامرة بضياء أعماقنا وفتح مسارات بهيجة لطفولتنا وعمرنا وما ينتظرنا من أيام.

كم أشعر أنّ لديك طاقات روحيّة عرفانيّة صافية صفاء الكلمة المنبعثة من ندى الصّباح، كأنك كيان متهاطل من المطر الصَّافي عبر تدفُّقات الأحلام وهي تترجم ما في أعماقنا من أشواق وشموع وبهاء وعطش إلى ضياء الحياة وتجلّيات فيض السَّماء، هل نحن البشر في هذه الحالة، حالة انبعاثيّة من لجين أحلام السَّماء المجذَّرة في كينونتنا منذ الأزل، وهل الرُّوح طاقة مضيئة لنفوسنا المتعبة، وهل هي مرجعنا الأوَّل والأخير لضياء عتمة الحياة للوصول إلى فراديس النَّعيم عبر الكلمة الخلّاقة وعبر الصَّفاء الخلّاق

وعبر السَّلام والوئام الّذي ينمو في داخلنا ويوحِّدنا بكلِّ ما هو جميل وبديع عبر الكلمة الطَّيّبة والصَّفاء والهدوء والسَّكينة المنبعثة من السَّناء السَّاطع في قلوبنا؟؟؟ .. شعرت أنَّ هذا السَّؤال يتطلَّب ويسير نحو الكثير من العمق والعبور في مجاهيل بهيجة أكثر وأكثر وتفتح هذه المجاهيل أمامي الكثير من المسارات لكتابة نصوص من لون تدفّقات صافية صفاء النّدى في صباح باكر، دمتِ متألقة كأزاهير حبر القصائد، أيّتها المحبوكة من طين المحبّة والوئام وروح مخضوضرة بأشهى ما في ضياء الحياة!

8) (عن الجواب 66):

أجدني إزاء هذا الجواب كأنّي أقرأ فصلاً مكثفاً من فصول عمل روائي أو نصَّاً سرديَّاً شامخاً في بنائه السَّردي وعميقاً في الرُّؤى المتعدّدة الّتي تطرحها الأديبة المبدعة د. أسماء غريب.

بدت لي رحلة المئة سؤال وجواب، أنَّ الأديبة الرَّهيفة د. أسماء غريب، جاهزة للتدفُّق والتَّجلّيات عبر انسيابيّة خلّاقة، حيث تمتلك شطحات متدفِّقة، هذه الشَّطحات الإبداعيّة تولد معها لحظات تدفُّق قلمها السّيال، لهذا أراني منتعشاً ومحظوظاً وموفّقاً في هذا الحوار، وتبدو لي أسماء في بعض الإجابات وكأنَّها تكتب نصَّاً شعريَّاً، وفي إجابات أخرى كأنَّها تكتب نصَّاً قصصيّاً أو سرداً روائيَّاً وفي إجابات أخرى كأنّها في سياق مقال فكري بديع، وهكذا تتلوّن إجاباتها وكأنَّنا أمام نصوص تضمُّ أغلب الأجناس الأدبيّة، فلم أقرأ جواباً واحداً لها فيه أسلوب الصّحافي والتّقليدي المتعارف عليه عند بعض الكتّاب والكاتبات، فلا تجيب عن تساؤلاتي إلّا بطريقةٍ إبداعيّة، وكأنّها أثناء الكتابة أو الإجابة في أوجِ تألُّقِها وجاهزيّتها للإجابة عن السُّؤال، أو هي بصدد كتابة نص إبداعي، لهذا نراها أحياناً تجيب عن العديد من التَّساؤلات خلال فترة وجيزة وأحياناً أخرى تظلُّ شهوراً ولا تكتب سطراً عن الإجابات، أولاً لإنشغالاتها في العديد من الأعمال الأدبيّة من ترجمة وشعر ونصوص متنوّعة وحوارات ودراسات نقديّة، ثمَّ فجأةً نراها تجيب عن تساؤلات عديدة في فترة وجيزة، وكلُّ هذا يوحي لي أنّها تكتب إبداعاتها بحسب تجلّيات هذه الإبداعات، بغضِّ النَّظر عن برنامجها في الكتابة، فلكل مبدع برامجه في الكتابة ولكن كم يقفز المبدع عن برامجه ويكتب ما يتدفّق به في لحظةٍ ما، وهكذا تولد الكتابة من رحم الحياة ولها العديد من الأسباب والهواجس كي تولد بهذه الطَّريقة أو تلك!

الأديبة المبدعة د. أسماء غريب، راودني مراراً وأنا أقرأ إجاباتكِ، كيف تستيطعي أن تحيطي بكلِّ هذه الأجناس الأدبية وتمسكي بخيوط هذا الحوار وتنسابين في العطاء وكأنّك في حالة استعداد دائم للتدفّق لجنسٍ أدبي من حيث التَّخطيط لهذا الجنس الأدبي أو ذاك، من حيث أن تدرَي أو لا، يولد التَّدفُّق بعفويّة لا نستطيع أن نعرف أسباب تفاصيل تدفُّقه في هذه الدَّقيقة أو تلك بهذا الشَّكل أو ذاك! وهكذا أراني أمام أديبة كأنّ في مخزون مخيالها وفكرها ورؤاها ينبوع صاف يتدفَّق منه الماء الزُّلال في أيِّ حين، وما علينا أو عليها إلّا أن تمسك قلمها وتنسج تجلّيات ما يتراءى لها على إيقاع هدهدات هدوء اللّيل الحنون!

9) (عن الجواب 85):

ردٌّ محبوك برهافة عالية، ممكن أن نستنبط منه أفكاراً عديدة ونصيغ منه نصوصاً ورؤى خلّاقة، تغوصين عميقاً فيما وراء الأفكار الّتي تتطرَّقين إليها ثمَّ تسترسلين في رحاب القصيدة ـ النَّص. إجاباتك تصبُّ معظمها في مرافئ بوح القصائد، لأنّك تمتلكين خيالاً وفكراً وقّاداً وتدفُّقات غير قابلة للإحاطة بها عبر القلم، لما تحملين من رؤى فسيحة في بناء الكلمة الَّتي تولد من رحم خيالٍ فسيح، كأنّك مجبولة من طين الكلمة الحرف اللُّغة، المندلقة من زغبِ السّماء! لغتك تنساب مع انبعاثات الخيال والفكر الوقّاد، كيف تستطيعين أن تمسكي خيوط رؤاك المتهاطلة مثل أحلام الصَّباح خلال المساءات الغارقة في بوح الأحلام؟! أشعر أحياناً أنّك تكتبين فصولاً من أعمالٍ روائيّة وأنت تجيبين عن بعض تساؤلاتي، وأحياناً أخرى يراودني أنَّ إجاباتك أشبه ما تكون نصًّا روائيًّاً بامتياز، لما تحمل رؤاك من انسيابية فسيحة في البناء السَّردي وتدفُّقات الأفكار إلى درجة أنَّ القارئ يشعر أنّك في حالة توهانيّة رهيفة غير قابلة للإحاطة بها. تولد أفكارك بطريقة مفتوحة في أبهى تجلّيات انبعاث الحرف، كيف تكتبين ابتهالاتك، كيف تنسجين إجاباتك، نصوصك، أفكارك، رؤاك؟ في قلبكِ ضياء من فرح، مسارات عاشقة معبّقة بحليب السَّنابل، تشبهين مطراً يزداد تهاطلاً من أحلام اللّيل الحنون. كيف فاتكِ أن تترجمي ما تحملينه من رؤى في نصوص روائيّة تصبُّ في ألق الكلمة الصَّافية صفاء نسيم الصَّباح؟ أكثر بوح يناسب عالمك الإبداعي هو السَّرد الرّوائي، تشبهين حبق الرُّوح المنسابة من مآقي السَّماء وهي تسقي أزاهير الصَّباح بعذوبة رؤاها، حرفك من مذاق شهوة الرُّوح العطشى لضياء النُّجوم، أنت كائنة مجبولة من طين المحبّة، في كينونتك ألف قصيدة وقصيدة وألف رؤية ورؤيا غارقة في بهجة انتعاش الرُّوح، كم أودُّ أن أرسم فوق جبينك أسرار تجلّيات بوح الرُّوح، أسمع همساتك وأنت تمسكين بمرامي تساؤلاتي وتغوصين عميقاً كأنّك تلتقطين دراً من أعماق البحار. أراكِ تشمخين مثل بحر القصائد وبحر الفرح والحبِّ والحياة، أراك ترفرفين وتحلّقين عالياً مثل يمامة بيضاء، تعانقين زرقة السَّماء، بحثاً عن خبز الحياة، وتوقاً إلى تحقيق إنسانيّة الإنسان عبر لجين حرفكِ المندلق من أهازيج حنين الرّوح المتناغمة مع تهاطلات بوح السّماء!

10) (عن الجواب 91):

دمتِ متألّقة أيّتها الصَّديقة المبدعة الخلّاقة، الأديبة الرَّاقية، والنّاقدة الحصيفة د. أسماء غريب، أراك تزدادينَ غوصاً في مرامي بوح السُّؤال حتّى منتهاه، تحفرين بإزميل رؤاك الرَّهيفة منارات بديعة وتفتحين مسارات غير مطروقة في دنيا من بكاء، أنتِ منارةُ حبٍّ في زمنٍ تخشَّبَتْ علاقات الكثير الكثير من البشر، تنثرين حبق المحبّة عبر هلالات حرفكِ المعجون من حليب الحنطة، تشبهين الماء الزُّلال وهو يتهاطل فوقَ أحلام البشر خيراً وفيراً، أراك نسيماً محبوكاً باخضرار الحياة، غابة عشقٍ معبّقة بالنَّارنج والياسمين وأشهى تجلّيات بوح القصائد، كم أراك قريبة إلى أحضان القصيدة وهي تنساب من مآقي

السَّماء، أنتِ حرفٌ منبعث من شهقة غيمة طافحة بالخير وحبِّ الحياة، أنت ضياء عاشقة من طينِ الأزل، تكتبينَ حرفكِ كمَن تترجم أحلاماً مبرعمة من هلالات الغمام، في قلبكِ ينمو حرفٌ من لونِ ضياء الشَّمس، في روحِكِ تتراقص أهازيج عشق الحياة من خلال تجلِّياتك المتماهية مع بسمة النّجوم، أتدفَّق مثل غمية حبلى بالفرح كلَّما أتواصل مع مروج دنياكِ، تعالي نرسم فوق جبين القصائد أسرار الحنين إلى منارة السّماء، تعالي نهدهد أريجَ المحبّة عبر انبعاث الحرف، تعالي نزنّر وجه الدُّنيا بأسرارِ تجلِّيات الرُّوح وهي تزدان بأهازيج النّجوم، هل كنتِ يوماً نجمة فرحٍ في ظلال حروف القصائد، بينك وبين الحرف مسافة عشقٍ مضمّخة بأريج النّرجس البرّي، بينك وبين السَّماء شهقات عشقٍ مجنّحة برفرفات أجنحة اليمام، هل كنتِ يوماً حمامة حبٍّ فوق أغصان الجنّة، حرفكِ مندّى بماء النَّعيم، لهذا ينبعث منه كل هذه التَّجلِّيات الوارفة مثل خصوبة موجات البحار!

11) الأديبة والنّاقدة والمترجمة المبدعة د. أسماء غريب!

كم أنا سعيد بهذه الرّحلة الحواريّة الخلّاقة، وكم أنا فخور أن تكوني ضيفة العدد السّادس من مجلّة السَّلام الدَّوليّة عبر الجزء الثَّاني من الحوار العميق الَّذي أجريته معكِ حول تجربتك الإبداعيّة بشتّى الأجناس الأدبيّة، وتجلّيات فكرك النّير. ولا أخفي عليك ولا على الأحبّة القرّاء والقارئات، أنني لم أرتوِ من حواري معكَ، إنّني مازال أخبِّي بين مسارات مخيالي ورؤاي الكثير من الأسئلة حول رحلتي الحوارية معكِ، لما تمتلكين من تجلّيات الغوص في أعماق مرامي الحوار، لهذا ليس من المستبعد أن أغوص عميقاً في مرامي فضاءاتك الخلّاقة واستكمل الحوار عبر أجزاء أخرى في مستقبل الأيام!

أنت يا غاليتي المبدعة تمتلكين كنزاً شهيَّاً في الأدب والمعرفة والعرفان وأبهى شموخ تجلّيات الحرف، فلماذا لا نقدِّم عبر منارات الحوار تجلّيات بوحكِ للأحبة القرّاء والقارئات، وتأكَّدي تماماً أن الإبداع الحقيقي ينبعث من هلالات هذه السِّياقات وكأنّنا في حلم شهي نغوص في فراديس النّعيم، لأنَّ الكتابة الشَّاهقة أشبه ما تكون مروج مخضوضرة بثمار الجنّة، والإبداع بهذا الإيقاع هو عبور في مرافئ النَّعيم وكأنّه النّعيم بذاته، ولا يمكن أن تتحقَّق هذه التَّجلّيات عبر المبدع نفسه، لهذا أعتبر حواري مع الذّات بمثابة حوار مع ذوات الآخرين، وأعتبر حواري معكِ هو استكمال لحواري مع الذَّات ذاتي، لأنّني أراك ذاتاً منفتحة على ذوات الكون! هل للكون ذوات؟! أجل للكون ملايين الذَّوات وها أنتِ إحدى هذه الذَّوات المخضّبة بأبهى تجلّيات الحرف والفكر الخلّاق عبر زمنٍ مقعَّر من أغلب الجهات!

دمت متألقة وشاهقة في منائرِ الحرفِ أيَّتها المبدعة الرّهيفة أسماء غريب!
أراك على فرح وإبداع دائم

هذه كانت بعض تعقيباتي على إجابات حواري مع الأديبة المبدعة أسماء غريب في رحلة المئة سؤال وجواب، وقد اختارت هذه التعقيبات وادرجتها في الجزء الأول من حواري معها!

صبري يوسف

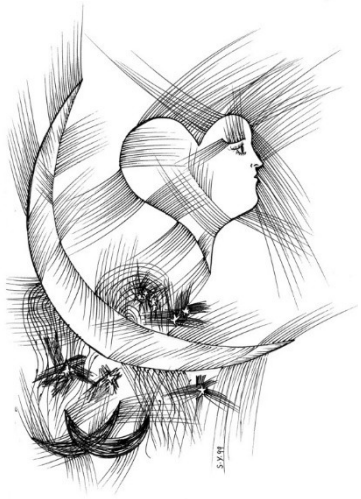

وفي مستهل شباط (فبراير) 2017 بدأت أسماء غريب بدراسة عرفانيّة عن تجربتي الأدبيّة والفنّيّة، بعد أن كانت قد اطلعت على دواويني الشِّعرية ومجاميعي القصصيّة ورواياتي والنّصوص الأدبيّة، وشاهدت أعمالي الفنّيّة، كل هذا دفعها أن تغوص عميقاً لدراسة عالمي الأدبي والفنّي من منحى عرفاني، هذه الدِّراسة النّادرة في توجّهها وفضائها في التَّحليل والنّقد، استغرقت معها شهوراً، بعد اطلاع عميق على أغلب كتبي، وقد حملت هذه الدِّراسة عنوان:

تَمثُّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين
في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة
(من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)

د. أسماء غريب

دراسة عرفانيّة

وتضمّن الكتاب المحتويات التّالية:

1) **مقدّمة الأديب صبري يوسف**
2) **الزّمن في فمي**
3) **صلاتا الثّلاثاء والأربعاء**
4) **إفثا وتكلّم**
5) **كنتُ في ديريك**
6) **حديث باليرمو وستوكهولم**

7) **أنا سرُّ الوجود**

8) **تمثّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين**

9) **هل انتهى السّفر؟**

– **ملحق اللّوحات**

– **سِيَر ذاتية**

عندما وصلتني هذه الدِّراسة، أدهشتني جدّاً من حيث التَّحليلات الّتي قدَّمتها، فقد درستها دراسة عرفانيّة روحيّة عميقة، وشعرت أثناء قراءتي الأولى برهبةٍ حقيقيّة لما جاء فيها من تحاليل ما كانت تخطر على بالي نهائيًّاً، وما كان لدي أي اِطلاع على ما ذهبت إليه في تحاليلها العرفانيّة المدهشة، وقد وصلتني في وقتٍ كنتُ أشتغلُ في مجال تعليم الحلقة الابتدائيّة والإعداديّة مادّة الفنون، والرّياضيات، واللّغة السُّويديّة والعربيّة، حيث كنتُ منهمكاً في تحضير دروس التَّلاميذ، وكان آنذاك معظم وقتي مخصَّصاً للتحضير والدَّوام والرَّاحة، وما كان وقتي يسمح لي التفرّغ لساعة واحدة لقراءة أو كتابة أي تقديم أو استهلال لهكذا دراسة عرفانيّة، بعيدة عن مجالات قراءاتي وتخصُّصاتي وعالمي، لكن يبدو أنّني كنتُ في العمق كما أشارت أسماء غريب في دراستها ولا أدري! ومع هذا لم أقبلْ أن أقدِّمَ الاعتذار عن كتابة المقدمة، حيث أنّها أشارت في رسالتها بأنني الوحيد الممكن أن يقدّم هكذا دراسة خاصة، لأنّها عنّي من جهة، ومن جهة أخرى ربَّما أنّها خشيتْ أن يقدّمَ الدِّراسة غيري ولم يفلح بتقديمها كما كانت ترتأي، لهذا رجّحت أن أكون كاتب المقدّمة، كي ترتاح هي الأخرى من أنّ دراستها لاقت النّجاح والاستحسان من قبل الشّخص المُحتفى به في الدِّراسة، وهكذا جمَّدتُ موضوع التّدريس والتزامي بالتّلاميذ كلّياً، ووضعت في الاعتبار تقديم إجازة من التَّدريس لمدة أسبوع إذا اقتضى الأمر، ولحسن حظّي أنَّ الدِّراسة وصلتني في مساء يوم الخميس وهذا ساعدني على أن أطّلع عليها ليلة الخمس وليلة الجمعة أيضاً، يليها عطلة ليومين متتاليين، وهذا أعطاني بريق أمل لأن أقول لها نعم، سأقدِّم الدِّراسة أو المقدّمة خلال أيَّام معدودة، ورحتُ أقرأ الدِّراسة ليلة الخميس كقراءة وإطلاع أولي. يا إلهي، ما هذا؟! تساءلتُ كيف غاصت أسماء غريب في عالمي بهذه الطَّريقة العرفانيّة الرُّوحانيّة المدهشة، شعرت بهيبة غريبة تهيمن علي وانا أقرأ باب: 8) تمثّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين، والذي حمل عنوان الكتاب، لأنّني تفاجأت بتحليلها عندما أشارت وهي تحلِّل أنَّ الملائكة الكروبِيّين تتواصلُ معي روحيّاً، وهي تلهمني في حالات التَّدفُّقات الإبداعيّة، وفيما كنتُ أقرأ ما جاء في تحليلها، قمتُ بمراجعة حالاتي الإبداعيّة، خاصَّةً عندما كنتُ أكتبُ لساعاتٍ طوال وأحياناً على مدى يوم كامل وأكثر من 18 ساعة متواصلة أو أكتب على مدى أيام وأنام قليلاً جدّاً، ثمَّ أنهض بنشاط كبير وأكتب وأكتب وأكتب ولا أرتوي من الكتابة، حتَّى أنّني صرّحتُ في أكثر من حوار، أنَّني أثناء هكذا حلالات إبداعيّة مررت بها، كنتُ أشعر وكأن هناك مَن كان يُملي علي كتابة ما أكتبه، وعندما قارنتُ ما قالته وحلّلته النّاقدة أسماء غريب، شعرت برهبة حقيقيّة، قائلاً، يا إلهي هل من المعقول أن

تكونَ الملائكة الكروبيين تلهمني وتفتح آفاق خيالي ولا أدري؟! وهكذا تابعت قراءة الدِّراسة للمرة الأولى، وشعرتُ أنّني غير قادر على تقديم هكذا دراسة عرفانية عميقة، خاصّة أنَّني الشّخص المتحدّث عنه والمُحتفى به، لأنّني ما كنت أعلم كيف سأجد تقديماً يوازي ما جاء في الدِّراسة وحالتي الإبداعيّة الّتي حلَّلتْها تحليلاً عميقاً، وفاجأني أيُّما مفاجأة، خاصّة أنّ خبرتي في هذا الإطار كان محدوداً وما كنتُ أستوعبُ الحالة الّتي حلَّلتني بها، على أنَّ الملائكة الكروبيّين يلهموني بما أتدفَّق به أثناء انسياب تدفُّقاتي الإبداعيّة في الرِّواية والقصّة والشِّعر وحتّى في تجلّيات الحوار مع الذّات والحوار مع المبدعين والمبدعات، وهكذا وجدتني في حيرةٍ من أمري، وراودني أن أخبِّر الأديبة أسماء غريب بالاعتذار عن كتابة المقدِّمة، لأنَّني شعرتُ أثناء القراءة الأولى أنّني ربّما لا أفلح في كتابة مقدّمة عن دراسة عرفانية موغلة في الرُّوحانيات الصُّوفيّة، لكنّي بنفس الوقت شعرت بضرورة التريّث، والهدوء، وفي مساء يوم الجمعة وبعد عودتي من الدَّوام إلى منزلي، وضعتُ مخطَّطاً حول كيفية كتابة المقدِّمة وشعرت برباطة جأشي، وخفَّت الصّدمة أو المفاجأة، وبدأت بعد أن هيَّأتُ نفسي بقراءة الدِّراسة قراءة متمعّنة وهادئة ووضعتُ في ذهني أن أضع رؤوس أقلام كمفاتيح للمقدِّمة الَّتي سأكتبها، وشعرتُ أثناء قراءتي الثَّانية أن رهبة ما جاء في الدِّراسة، خفَّ كثيراً، وما وجدت نفسي إلَّا وأنا في حالة انسجام وانسيابيّة في قراءة الدِّراسة بشغفٍ كبير، وتبدَّدَ القلق والرّهبة، وشعرتُ كأنّي أعرف أسماء غريب منذ أن كنتُ طفلاً، أو كانت هي تعرفني منذُ أن كنتُ طفلاً حتّى لحظة كتابة دراستها وتحاليلها عن أدبي وفنّي، وشعرت أيضاً أنَّها توغَّلت عميقاً في كتاباتي أكثر ممَّا كنتُ متوغلاً فيها، حتّى أنّها حلَّلت الكثير الكثير ممَّا كنتُ لا أعرفه عن أسباب تدفُّقاتي وتجلّياتي وتذكُّري الدَّقيق لأحداثٍ موغلة في الطُّفولة والصِّبا والشَّباب، وجعلتني أن استرجع محطَّات تجربتي في الكتابة منذ أن حملتُ القلم حتّى لحظة قراءتي لدراستها، وطفحت عيناي بالدُّموع أكثر من مرّة وأنا في أوج انغماسي في قراءةِ تحاليلها، وشعرتُ في قرارة نفسي وكأنّ روحها الخلَّاقة كانت متعانقة مع روحي لحظات كتابة تحليل ما جادَتْ بها قريحتها وخيالها وتجلّياتها العرفانيّة الشَّاهقة، وتساءلت نفسي مراراً، هل نحن البشر نتواصل عبر الرُّوح مع بعضنا بعضاً، لهذا جاء ما جاء في تحليل هذه الأديبة الرَّهيفة في تواصلها مع عوالم حرفي ولوني وتدفُّقات رؤاي، وهكذا قرأت الدِّراسة دفعة واحدة وكتبتُ عدّة أفكار تصلح أن تكون مفاتيح لافتتاحيات المقدّمة عن دراستها التَّحليليّة، وشعرت بنوع من الرَّاحلة، بعد أن كان الصّباح على وشك الانبلاج من صبيحة يوم السَّبت، ثمَّ استسلمتُ لنومٍ عميق، وحالما نهضتُ من نومي، بدأت أقرأ الأفكار الَّتي أستوحيتها من دراستها، وبدأت أكتب مقدِّمتي، لكنِّي شعرت انّني مازال غير قادر على الغوص في أعماق ما جاء في كتابها النَّقدي التَّحليلي، وبدأتُ أدوِّن نقاط معيّنة ووضعتُ برنامجاً لكيفية إعداد المقدِّمة، ورحتُ أقرأ الدِّراسة للمرة الثَّالثة على التَّوالي، كي أستنبط منها أفكاراً جديدة وعميقة وأدرجها مع بقيّة الأفكار الَّتي دوّنتها في القراءة الثَّانية، وعلى ضوء القراءة الثَّالثة سأبني مقدِّمتي، وشعرتُ أنَّني رويداً رويداً أقترب من الهدف المنشود، وعند منتصف اللَّيل من يوم السَّبت، كنت قد انتهيت من قراءة الدِّراسة للمرّة الثَّالثة، ودوَّنت كل ما يمكن أن أوجزه في المقدِّمة،

ثم رحت أكتب مقدّمتي من جديد، ونمتُ هذه المرّة في حدود الثّانية بعد منتصف اللّيل، وفي صبيحة يوم الأحد بدأتُ أن أحضِّر قليلاً للتلاميذ بعض الدُّروس على عجل، ووجدت نفسي غير قادر على انجاز المقدّمة بصيغة نهائيّة، لأنّني أشتغل في مراجعة وتدقيق نصوصي ومقدّماتي وقصصي وأشعاري وكتاباتي أكثر ممّا أكتبها في بداية الأمر، مع أنّني كنتُ قد خبرت أسماء بأنّني سأجهّز المقدّمة ليلة الأحد، لهذا من باب الاحتياط، خبَّرتها أنَّني سأرسلها ليلة الاثنين، وهكذا وجدتُ توازناً بين تحضير دروس التّلاميذ وإعداد المقدّمة، وخزّنتُ ما كتبته كمسودة عمل للمقدّمة في فلاشة صغيرة وتصفَّحتها في استراحتي في الدَّوام يوم الاثنين ظهراً، وبعد عودتي من الدَّوام، وجدتُ من السهولة بمكان أن أضع لمساتي الأخيرة وصياغتي النِّهائيّة على المقدّمة وفعلاً، بعد أن تناولت العشاء بدأتُ بحدود الثَّامنة ليلاً أشتغل على إعدادِ الصِّياغة النهائيّة، وراجعتها وأضفت إليها بعض اللَّمسات الأخيرة وخلال ساعتين تقريباً كانت المقدمة شبه جاهزة بصيغتها النّهائيّة، ورحتُ أدقّقها للمرّة الأخيرة كي أخزّنها عندي ثمَّ أرسلها إلى النّاقدة أمساء غريب، وقبل أن أستسلمَ للنوم كانت المقدّمة جاهزة بصيغتها النِّهائية وفي بريدها الالكتروني وفي بريدها الخاص أيضاً على صفحتها! وشعرتُ بفرحٍ عميق لأنَّني أنجزتُ عملاً كنتُ على وشك أن اعتذر عن كتابته، وهكذا وصلت إلى قناعة أنّنا نحن البشر لنا قدرات وإمكانيّات نجلهلها أحياناً ولا نعرف مدى طاقاتنا أحياناً أخرى، والمقدّمة ليست من المقدّمات الخارقة، هي مقدّمة عاديّة وتحمل اسلوبي وفضائي وبنائي الفنّي، لكن موضوع المقدّمة وموضوع الدّراسة كانا جديدَين عنّي وعن تجربتي في عالم الكتابة، علماً أن فضاء الدّراسة كلّه تمحور حول كيفة انبلاج وانبعاث تدفُّقاتي، وهذا ما ساعدني علي كتابة ما كتبته، وإليكم ما جاء في مقدّمتي لدراسة أسماء غريب "تَمثُّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين، في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة، (من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)، دراسة عرفانية:

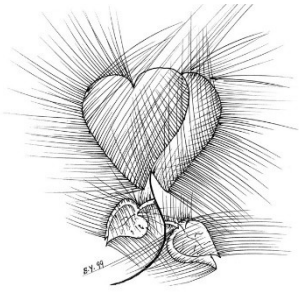

مقدّمة كتاب:
تَمثُّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين
في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة
(من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)

بقلم صبري يوسف

إنَّ كل مَنْ يقرأ هذه الدّراسة العرفانيّة للناقدة أسماء غريب، المتميّزة برهافةِ رؤاها وسعة آفاقها في سبر أعماق عوالم كتاباتي الَّتي أجْرَتْ عنها تحاليلها، سيلاحظُ أنَّ حرفَها في تجلّياتِ النَّقد والتَّحليل، أشبه ما يكون مندلقاً من حنين السّماء، تستلهمُ حرفها من إشراقةِ وهجِ الرُّوح، وتغوصُ عميقاً عبر رؤاها فتسبرُ أغوار فضاءاتي المستلهمة من تجلّياتٍ لا تخطر على بال، ونراها تتعمَّقُ وتحلّلُ عبر مسارات حرفها النّقدي كأنَّها في رحلةِ استكشافٍ في مخيالِ بوحي لاستشرافِ أسرار توهُّجاتِ انبعاثِ حرفي ولوني، منطلقةً من ثقافةٍ أدبيّةٍ ونقديّة وصوفيّة رحبة وعميقة للغاية، وشامخة شموخ الكلمة الخلّاقة! تداعبُ النّاقدة عبر رؤاها وتحاليلها عرشَ الحروفِ، وتغوصُ في أعماقِ دهشةِ الاشتعالِ، وتحلّلُ بمهارةٍ عالية كيفيّة ولادة القصائد والنُّصوص والسَّرديات، حيث تضع مجسّ مبضعها فوقَ متاهات بوح الكاتب، وتمسك الخيوط الَّتي تقودها إلى استنباط المسارات الّتي انبعثت منها فضاءات الكتابات الّتي تدرسها، فقد شعرتُ وأنا أقرأ دراستها أنّها غاصت عميقاً في لبِّ ما راودني أثناء لحظات انبعاث النّصوص.

تموجُ حروفُها أثناء غوصها في ثنايا البوحِ، فرحاً متماهياً معَ روحانيّة المبدع، وتقرأ كتاباتي بذهنٍ متوقِّد كلمةً كلمةً وجملةً جملةً، ثمَّ تربطُ أفكار عوالم نصوصي بما لديها من طاقاتٍ روحيّة في الإبحارِ في كيفيّة انبعاثِ فضاءات الكتابة، وتشرحها وتحلّلها بطريقةٍ مدهشة كأنّها كانت شاهدة عيان خلال لحظات ولادات

القصائد والقصص والكتابات الّتي تسبُرُ أغوارها بطريقةِ ناقدة حصيفة في المسارات الّتي غاصت عميقاً فيها!

أسماء غريب قامة نقديّة أدبيّة باسقة، مخضّلة بتوهّجاتِ حرفٍ مكوَّرٍ بألقِ الانبهار، مشبّعة بينابيع إبداعيّة صافية. تمتلك قدرات عميقة في الغوص في أسرارِ انبعاث الحرف، من خلال تأمُّلاتها ورشاقة تجلّياتها العرفانيّة نحو أقصى مرامي الحرف المنبعث من خيال الكاتب. وهي حالة نقديّة أدبيّة فريدة في تمايزها في بناءِ آفاقها التّحليليّة الشّاهقة وانفراجِ فضاءات نقدها، تتوغَّل عميقاً في رحاب كتاباتي وتقرأ بشغفٍ عميق مسارات تشكيل تجربتي الإبداعيّة، من خلال رؤاها التّحليليّة العميقة في سبر أسرارِ الحرفِ واللّون!

اندهشتُ عندما قرأتُ عنوان هذه الدّراسة النّقديّة الّتي قدّمتَها النّاقدة المبدعة أسماء غريب عن أدبي وفنّي: "تمثّلات السّيادة الملائكة الكروبيّين في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة (من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)"، فقفز إلى ذهني ماذا استخلصَتْ يا تُرى هذه النّاقدة من عوالم فضاءات أدبي وفنّي عبر هذه الدِّراسة العرفانيّة، كي تعنونها بهذا الإيقاعِ الرَّهيف؟!

قرأتُ الدِّراسة مرّتين متتاليتين بشغفٍ كبير، ثمَّ أعدْتُ قراءتها من جديد بإمعانٍ عميق كي أكتبَ استهلالاً لهذه الدِّراسة، ولا أخفي على القرّاء والقارئات، أنَّني شعرتُ وأنا في أوجِ تركيزي، أنّها غاصت عميقاً في عوالمي الباطنيّة فيما يخصُّ إشراقات تدفُّق إبداعي ونصوصي وفنّي، وقد وجدتُ أنَّها توغّلت إلى مساحاتٍ فسيحة ممّا كان يعتريني ويصاحبني لحظات انبعاث توهُّجات الإبداع، وقد تمكّنَتْ من وضع يدها على كيفيّة تهاطل فضاءات حرفي كأنّها كانت في أعماقي تشاهد ببصيرتها اللّمّاحة إشراقاتي الإبداعيّة، حيث كانت هذه الإشراقات الإبداعيّة غامضة عليّ، وإنّي أرى أنَّ هذه الدِّراسة الّتي بين أيدينا تتطلّب هي الأخرى دراسات دقيقة وعميقة أيضاً لما فيها من قراءاتٍ وتحاليلَ شاهقة، استخلصَتْها النّاقدة من خلال متابعتها لحرفي ولوني على مدى سنوات، وتوقفَتْ مليّاً عند تجربتي كي تعتكفَ على دراسة فضاءات أدبي وفنّي من منظور رؤية عرفانيّة لإبداعي على مدى أكثر من ثلاث سنوات، قضتها هذه الدُّكتورة الأكاديميّة المبدعة الخلّاقة في البحث والتّمحيص والتّحليل والتّأمُّل بطريقةٍ عرفانيّةٍ عالية المستوى، معتمدةً على الكثير من المصادر الّتي ساعدتها على التَّوغُّل عميقاً في كشف كيفيّة انبعاث تجلّيات حرفي ولوني، وقد تبيّن لي من خلال الدّراسة والتّحليلات الّتي قدّمتها أنّها تمتلك رؤية وآفاق عرفانيّة رهيفة ومدهشة للغاية، لما جاء في قراءتها من دقّةٍ عالية في التّحليل والاستنباط، منطلقةً من الكثير من شواهد نصوصي بما تحلّله تحليلاً لا يمكن إلّا الرّكون إليه في الكثير ممّا جادت بها قريحتها العالية في تأكيد وتحليل هذه العوالم الّتي قلّما نجدُ نقّاداً يمكن أن يلجوا إلى أغوارِ متاهات هذه المنعطفات لما في هذه القراءة التّحليليّة من خصوصيّة ثقافيّة عرفانيّة روحيّة عالية، وقد فتحتْ أمامي الكثير من الآفاق الّتي ما كنتُ أعرفها عن هذه الغزارة والتَّدفُّقات الّتي كانت تصحبني أثناء الكتابة، ووضعتني أمام

تساؤلات كبيرة للغاية، حيث وجدتُ أنّ أدبي بكلِّ أجناسه الأدبيّة والفنّيّة يحتاج إلى دراساتٍ تحليليّة نقديّة شاملة في هذه المسارات العرفانيّة من أكثر من ناقد ومحلّل لهم باع كبير في هذه المجالات الّتي نادراً ما نجد من له ملكة الابحار في هذه الآفاق لأنّها لا تتوفّر إلّا عند قلّة قليلة ممّن لهم أو لهنَّ اهتمامات في هذه التّخصُّصات النّادرة، وأرى أنّ المكتبة العربيّة والعالميّة بأمس الحاجة إلى هذا النّوع من التَّخصّصات والدِّراسات لأنّ أغلب المبدعين والمبدعات ربّما لا يعرفون شيئاً عن هذه الخفايا الباطنيّة الّتي تراودهم لحظات انبعاث الإبداع.

وقد بدت لي هذه الدّراسة الّتي بين أيدينا الآن، أنّها من أهم الدِّراسات الّتي يقوم بها الدّارس والنّاقد حول مبدع أو مبدعة، لأنّني ـ من جهتي ـ وجدت ضالّتي الّتي كنتُ أبحثُ عنها فيما يخصُّ كيفية تدفُّقات حرفي ولوني، وغالباً ما كنتُ أشعرُ أنّني أتلقّى طاقات واستلهامات معيّنة أثناء ولادات النّصوص، لكنّها كانت تبدو لي غامضة وغير قادرة على الإمساك بأيِّ خيطٍ من خيوطِ انبعاث العمليّة الإبداعيّة، لكنّي دائماً وخاصّة في السّنوات العشرين الأخيرة، كنتُ أشعرُ أنَّ هناك طاقة ما تصاحبني وترافقني عندما أكتب بطريقة تهاطليّة غزيرة ومتواصلة إلى درجة أنّني كنت أكتبُ أحياناً ما يقارب 16 ـ 18 ساعة في اليوم، وأشعر كأنّني كنتُ مختطفاً إلى مكانٍ ما، حتّى أنّني كنتُ أشعرُ أحياناً كأنّني خارج الزّمن أو بتعبير أدق ما كنت أشعر بالزّمن، وأكثر من عشرات المرّات ما كنتُ أعرف نهائيّاً ما هو اليوم الّذي أنا فيه وأحياناً كنتُ أتساءل هل السّاعة هي السّابعة ليلاً أم صباحاً، حيث كانت الحالة الإبداعيّة تغمرني وأشعر بمتعة عميقة تصاحبني لحظات الكتابة وكان خيالي مرهفاً واللُّغة تنبعث من عوالم غامضة وتنساب الصُّور الإبداعيّة متهاطلةً عليّ بطريقةٍ عجيبةٍ وكنتُ أشعر أنَّني أمام مشكلة حقيقيّة في موضوع الإمساك بخيوط الوهج الإبداعي، حيثُ كنتُ أشعرُ بالانزعاج ممّا كان يفلت منّي من صور إبداعيّة لغزارة تدفّقها، وأحياناً كثيرة كنت أتذكَّر في سياق لحظات التَّهاطل الإبداعي أسماء أمكنة وأسماء أشخاص وحالات وأحداث بدقّة متناهية، كأنّ هناك تصوير فيلم حقيقي وكان يختفي الزَّمن نهائيّاً ما بين لحظة الكتابة والأحداث الّتي أستعيدها، كأنّني أجسِّد اللّحظات الّتي تراودني كما ظهرت لي يوماً في الماضي وما كنتُ أستطيع أن أميّز بين ما حصل وبين ما هو متخيّل، وكنت أجد نفسي أمتلك طاقة غير طبيعيّة، حتّى أنّه انتابني أكثر من مرّة وكأنَّ هناك شخص آخر في أعماقي هو الّذي يُملي عليّ هذه التَّهاطلات وأنا مجرّد ناقل لهذه الجموحات الإبداعيّة المنبعثة من فضاءات إشراقيّة مبهجة ولذيذة وغير قادر نهائيّاً على إيقافها، وكأنّي في حالة انصهاريّة غريبة مع هذه العوالم، وكم مرّة راودني أنّه من المحتمل أن تكون روحي هي روحٌ لشخصٍ آخر، تقمّصتني فأكتبُ ما تحمله ذاكرة الرُّوح الّتي تقمَّصتني، لأنّني أثناء تجلّيات الإبداع كنتُ محتاراً وغير قادر على الإمساك بخيوط الانبعاث ولا أعرف كيفية تجلّيات الإشراقات، لهذا أحياناً كنت أؤوِّلها تأويلات غريبة، كأن تكون روحاً لشخص آخر مقمّصة في جسدي وتساءلتُ مراراً هل للروح ذاكرة، أي فيما إذا كانت الرُّوح الّتي تقمَّصتني عائدة لشخص آخر، هل ممكن أن تحمل هذه الرُّوح

جزءاً من ذاكرتها الأولى من الشَّخص الأوّل؟ وما كان يقلقني هذا الإحساس بل كان يفرحني لأنَّ الطّاقة الإبداعيّة كانت عندي هي الهدف الأهم، وما كان يقلقني من أين تأتيني هذه الاستلهامات والطّاقات التّخيُّليّة، والغزارة في الكتابة.

وعندما عدتُ إلى تجربتي الإبداعيّة وما كان يرافقني من حالات إشراقيّة ومشاعر غامضة أثناء كتابتها على مدى كل مراحل إبداعي، وجدت أنَّ التَّحليلات الّتي قدّمتها النّاقدة المبدعة أسماء غريب، كانت مدهشة للغاية ولمستُ أنّها تمكّنتْ أن تتوغَّلَ في أعماقي الباطنيّة في تدقيق وتحليل تفاصيل حالات وتجلّيات انبعاث نصوصي إلى درجة أنّها استطاعت أن تستعيدني وتضعني في الحالات الغامضة الّتي كانت تنتابني لحظات تدفُّقات إبداعي، وفتحت أمامي الكثير من الآفاق الّتي كانت غامضة ومجهولة لي، فقد كنتُ أحسُّ بما تؤكِّدُهُ وتؤوّله وتحلّله لكنّ إحساسي لحظات الكتابة كان غامضاً وما كنتُ أعرف أسباب تهاطلات إبداعي ودوافعه وكيفيّة انبعاثه بهذا الشَّكل أو ذاك، ولكنّي كنتُ متيقّناً أثناء تجلّياتي الإبداعيّة خاصّة في السّنوات العشرين الأخيرة أنَّ هناك طاقة غريبة في داخلي، في بواطني، في خيالي، هذه الطّاقة تمنحني شغفاً عميقاً في الكتابة بغزارةٍ مدهشةٍ وبطريقةٍ ما كنتُ أفهمها ولا أجدُ لها تحليلاً دقيقاً ولا تفسيراً معيّناً، لكنّي كنتُ أنسبها إلى طاقةِ المخيّلة والذّاكرة والتّجربة والثّقافة والخبرة الإبداعيّة الّتي تشرّبتها على مدى سنوات عمري، وقد صرّحتُ أكثر من مرّة عبر الحوارات الّتي أُجريت معي أو عبر كتاباتي عمّا يخصُّ الحالة الإبداعيّة أنّني أشعر أنَّ هناك قوّة أو طاقة هي الّتي تتحكَّم بتدفُّقاتي وتمنحني كلّ هذه الاستلهامات وأنا مجرّد مترجم ومدوّن لما تملي علي هذه الطّاقة أو الشّبخص أو القوّة الغامضة، وربّما يعتبر متابع ما أو قارئ ما، أنّ ما حلَّلته وقدَّمته النَّاقدة أسماء غريب عنّي وما أقوله أنا عمّا يراودني لحظات الكتابة، ربما يعتبره ضرباً من الهواجس والتّخمينات وضرباً من التّخيُّل ووجهات نظر لا أكثر، لكنّي بعد قراءتي لكلِّ كلمة جاءت في هذه الدِّراسة العرفانيّة العميقة، وصلتُ إلى قناعة أنَّ رؤية النّاقدة وتحليلها كانت صائبة إلى حدٍّ بعيد، لأنّني أثناء لحظات الكتابة خاصّة في حالات التَّدفُّقات العجيبة، كنتُ أشعر وكأنّ هناك من يلهمني أثناء الكتابة، يفتح لي الآفاق ويضيء لي شهقات البوح خاصّة أنّني كنتُ في أوج تجلّياتي أستحضر أسماء الأمكنة والأشخاص والمفردات والحوارات والمواقف، وظهرت أمامي مراراً تفاصيل وجوه الأشخاص الّذين أكتب عنهم أو أستوحي منهم تدفُّقاتي وكنت أندهش جدّاً لحظات انبعاث الكتابة كيف تتراءى أمامي هذه السَّلاسة والسُّرعة في التَّذكُّر فهناك الكثير من الكتابات مستوحاة من عوالم طفولتي ويفاعتي ومرحلة الشّباب كتبتها وأنا في أعماق غربتي، في صومعتي المشلوحة في إحدى ضواحي ستوكهولم، فأتساءل نفسي أثناء الكتابة مندهشاً على كيفيّة التَّذكُّر والتَّدفُّق والانسيابيّة، مع أنّني كنت أكتبُ أغلب هذه النُّصوص مباشرة على شاشة حاسوبي، ثمَّ أعود وأصيغها مرّاتٍ ومرّات، حتّى أنّني أثناء الصّياغات النّهائيّة كنتُ أستلهمُ فضاءات جديدة وكأن الَّذي يلهمني حضر من جديد وتابع الغوص عميقاً فيما أترجمه من مشاعر خلّاقة جديدة، وكلّ هذا يقودني إلى القول: هل

نحن الكتّاب نكتب من فراغ، هل نستلهم نصوصنا من فراغ، أم تنبع من خيالنا وذاكرتنا عبر طاقات خفيّة غامضة لا نستدركها؟ وكيف تتشكَّلُ هذه الطّاقة الإبداعيّة المنهمرة بهذا الشّكل أو ذاك، ولماذا أراني كأنّني مختطف نحو الأعالي، وكأنّني خارج الزّمن وكلّ همّي هو كتابة هذه التّدفُّقات بكلِّ غزاراتها المتهاطلة علي مثل رذاذات المطر؟!

أتركَكَ عزيزي القارئ/ عزيزتي القارئة مع هذه الدِّراسة العرفانيّة العميقة، كي تقرأ بكلِّ هدوء وتكتشف وتستنبط بنفسكَ/ وتكتشفي وتستنبطي بنفسكِ إلى أيّ مدى استطاعت النّاقدة المبدعة الدّكتورة أسماء غريب أن تغوصَ عميقاً في فضاءات تجربتي الأدبيّة والفنّيّة، وتؤكِّدُ بكلِّ دقّةٍ أنَّ تجلّيات فضاءاتي الإبداعيّة ناجمة ومستلهمة من خلال طاقاتٍ كانت غامضة عنِّي حتَّى قبل قراءتي هذه الدِّراسة، بطريقةٍ انبعاثيّة مستلهمة من رحابِ تجلِّياتِ مرامي السّماء؟!

***

بعدَ أن قرأت دراستها العرفانيّة، أعددتُ حواراً موسوعياً ثانياً مع الأديبة أسماء غريب حول السَّلام، فأطلقَتْ عليه عنوان:

رحلةُ السّلامِ الرّوحيّ
من الفَحْمِ إلى الألماس

د. أسماء غريب

مئة سؤال وجواب
الجزء الثّاني

حوار أجراه من ستوكهولم
الأديب والتَّشكيليّ
صبري يوسف

استهلال

صبري يوسف،

لو كانَ منهج البشر في العالم العربي من طينة الأديبة والمترجمة والنّاقدة المبدعة، التَّنويريّة الصّوفيّة المغربيّة د. أسماء غريب، لكُنّا بألف ألف خير، ولما نشبت حربٌ أو صراع ولا تمَّ إطلاق رصاصة واحدة في الشَّرق أو الغرب أو في أيّةِ رقعة جغرافيّة في العالم، فهي مبدعة صوفيّة ولها قلب عفيف رهباني وئامي ومتنوِّر بالمحبّة والعطاء الخلّاق، وروحها صافية صفاء المطر ومبلَّلة بخيرات نعيم السّماء. كم نحن البشر نحتاج هكذا إنسانة بهذا الصَّفاء الرُّوحي والإنساني والعطاء الصُّوفي الرّاقي، كم يحتاج العالم العربي والغربي إلى التَّشبُّع بهذه الثَّقافة الرّوحيّة الرّاقية باستلهام وترسيخ رحيق جوهر الأديان، فقد تمعّنَت المبدعة الخلّاقة أسماء غريب بالأديان السّماويّة، واصطفَتْ من هذه الأديان أرقى ما فيها من تجلّيات السَّلام والوئام والمحبّة بين البشر، وتستشهد بكتاباتها وتطلُّعات آفاقها بما قاله الرُّسل والأنبياء والقدِّيسون من سائر الأديان حتّى يخّيل لمتابعيها أنّها متشرّبة من كلِّ الأديان وكأنّها (يهوديّة مسيحيّة مسلمة) مستنيرة بروحانيّة منقطعة النّظير، إنسانة صافية صفاء نور الصَّباح المنبعث من الشّمس والَّذي يضيء العالم. قرأتِ الأديان السّماويّة والأديان الأرضيّة والآداب العربيّة والعالميّة والفلسفة الشَّرقيّة والغربيّة، ووصلت إلى مرحلة الصّفاء الرّوحي والفكري الخلّاق فيما يخصُّ علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بربِّ الأرضِ والسّماء. تدهشني شفافيّة روحها ونقاء قلبها وصفاء فكرها وروعة انفتاحها على كلِّ ما هوَ خيِّر وسلام ومحبّة في الحياة، وتبدو لي كأنّها رسولة المحبّة والكلمة الطّيّبة والسَّلام والوئام بين البشر كلّ البشر، ورأيت فيها مؤمنة كونيّة بكلِّ ما هو إبداعي جميل وروحي وسماوي بطريقة هادئة شفيفة رحيمة حنونة مضيئة مثل شمعة للبشر كلّ البشر، فلا يشعر من يتابع كتاباتها وقراءة أفكارها ومقالاتها وأشعارها وقصصها ونصوصها إلّا وأنّه أمام طاقة روحيّة فكريّة إبداعيّة صافية ومشبّعة لفعل الخير والفضيلة والمحبّة والتَّواصل مع الخالق ربّ السّماوات بكلِّ صفاء، وجلّ اهتمامها منصبّ على ترسيخ قيم السَّلام بين البشر.

إنّي أتوسَّمُ بالمبدعة الرَّاقية أسماء غريب كأنموذجٍ راقٍ عن تآخي الأديان، إنسانة منفتحة بروحانيّة عالية على رحابة آفاق الأديان وتستشرف منها رحيقها الأسمى وجوهرها الأنقى وتسير بموجب ما يقنعها من رؤية روحيّة وئاميّة خلّاقة، كأنّها تنتمي إلى دين الإنسان ودين الأديان السَّماويّة المتناغمة مع آفاق ربِّ السّماء، فكم نحتاج إلى تكريس وترويج ثقافة السَّلام بهذه الشّفافيّة والرُّوحانيّة الرّاقية، بعيداً عن تعصّبات دينيّة ورؤية أحاديّة، لأنَّها مبدعة مجبولة بروح العفاف والسَّلام والمحبّة إلى درجة تبدو وكأنّها تبشِّر بدين الأديان والمحبّة والصَّفاء الرّوحي من خلالِ تبنّيها أسمى ما جاء في الأديان، وهي الطّريقة الأرقى في تعامل البشر مع بعضهم بعضاً بتناغم الآفاق الدِّينيّة، بعيداً عن أيّ صراعٍ أو خلافٍ، متوقِّفةً عند كلِّ ما هو روحيّ وإنساني ووئامي لتعميق ثقافة السَّلام والمحبّة بين البشر كلّ البشر على مدى كلِّ الأزمان!

فيما يلي أسئلة الحوار الّتي طرحتها على الأديبة أسماء غريب:

1) كيف تعرّفين السَّلام من خلالِ تجربتكِ في الحياة ومن خلالِ حاجة الإنسان للسّلام والأمان؟!

2) أعتقد أنّ القارئَ سيجدُ صعوبة كبيرة في استيعاب فكرة العُزلة التي تتحدّثين عنها، وسيسألكِ عن كيفيّة تحقيقها في زمنٍ لا يسمح للإنسان بالانعزال عن أيّ شيء تماماً، لربّما فاتكِ أنّ الإنسانَ عليه أيضاً أن يسعى إلى رزقه، ويخرجَ للعمل، ويختلط بالنّاس، وإلّا فإنّ حياته ستتوقّفُ، أليس كذلك؟

3) هل لكِ أن تُوضّحي للقارئ أكثر فكرةَ الخوف هذه أو ما اتّفقَ النّاسُ على تسميّتهِ بإبليس، أوَلَيْسَ اللهُ من خلقَهُ وبإمكانهِ أن يحُدَّ من سيْطرتهِ على الإنسان، ومِنَ الأضرار النّاجمة عنهُ؟

4) كم من الأنبياء والقدّيسين والأديان جاؤوا ولم يتحقَّق السَّلام على الأرض، على مَن يقع الحق؟!

5) ماذا تقصدين بأهل العَمَل وأهل العِلم، وهل لكِ أن توضّحي فكرتكِ عن النّار المقدّسة وعلاقتها بطاقة الإنسان؟

6) مفارقة عجيبة عندما نرى السَّلام والتّنوير يحلُّ في دولة غير دينيّة مثل اليابان، وهي في أوج تحضُّرها وسلامها مع ذاتها ومع الكون، ونرى حروباً مدمّرة تقوم ركباً في دنيا الشَّرق، في أرضِ الأديان؟!

7) هل تريدين القول إنّنا تجاوزنا مرحلة الجنّة والنّار والنّعيم والعذاب؟

8) لماذا نرى نسبة كبيرة من البشر، ترتكبُ فعل الشّر أكثر من فعل الخير والفضيلة والسّلام؟!

9) هل فهمَ رجالُ الدِّين جوهر ما جاء في الأديان، أم كل واحد منهم يفسّره كما يفهمه، وبالتّالي جاء فهمه قاصراً وولّد خلافات في الدِّين الواحد عبر المذاهب والطَّوائف، وخلافاتٍ مع الأديان الأخرى؟!

10) ما هي أكثر المشارب في طفولتكِ الّتي ساهمت في أن تجنحي نحو السَّلام والصَّفاء والتَّأمُّل؟!

11) لو استعرضْتِ طفولتكِ الّتي ترعرعتِ فيها، كيف تبدو لكِ أهمّ فضاءات الطُّفولة حول السَّلام؟!

12) كيف للسّلام أن يحمل بين ثناياه الحرب أيضاً، هل يُمكنُكِ أن توضّحي هذه الفكرة الّتي وردت في جوابكِ السّابق؟

13) ماذا تقصدين بالإيمان الصّافي الزّلال ولماذا فصلتِ بينه وبين العقيدة؟

14) أنتِ كائن مفطور على الفرح، والصّفاء وبهاء الرّوح، كأنّك شجرة وارفة الظّلال، تحوَّلت إلى إنسانة تظلّل الحياة بأغصان السَّلام، كيف تنظرين إلى هذه الرُّؤية، وهل يتواءَمُ التَّحليل مع عجينِ كينونتِكِ؟!

15) هل يُمكنُ للإنسانِ أن يتحوّلَ بعد الموتِ إلى طبيعةٍ كينونيّةٍ أخرى تخالف طبيعته الأولى، كأن يُصبحَ شجرةً على سبيل المثال؟!

16) ماذا تقصدين بعدم عودة الموتى إلى الأرض على الرّغم من أنّ تاريخ البشرية الفكريّ حافل بالتّجارب التي وثّقتْ لدى مختلف الشُّعوب لقاء العديد من النّاس بمن ترك الأرض منذ زمن بعيد؟

17) يدهشني العقل وطاقته في تخزين واستذكار آلاف بل ملايين المواقف والذّكريات، كيف يتشكَّل العقل؟!

18) هل أنتِ راضية عن الهيئات الدّوليّة الّتي ترعى السَّلام وحقوق الإنسان، أم لديك تحفظُّات ومآخذ؟

19) فوضى العالم وهمومه ويأس النّاس المرير فيه، كيف السَّبيل إلى التَّخلّص من كلّ هذا؟

20) هل يفهم المرء ذاته المستبطنة في الأعماق، أم يحتاج لتجربة طويلة كي يفهم ما يجولُ في أعماقه؟!

21) هل فاجأتكِ اللّغة، الكلمة، الحرف مثلما فاجأتني، كيف استقبلتِ اللُّغة بكلِّ مدلولاتها منذ طفولتكِ؟!

22) ماذا ينتابكِ وأنتِ وسط الغابة تنظرينَ إلى بهاءِ الفراشة وروعةِ الطَّبيعة، وتسمعين إلى تغريدِ البلابل؟

23) كيف يُمكنُ للمبدع أن يُحقّق السّلام مع ذاته ومع روحه ولماذا على الرّغم من كثرة المثقّفين والمبدعين من حولنا لم يتحقّق بعد هذا السّلام المنشود؟!

24) أهل السّلام هُم أصحاب التَّجلّيات الحلميّة بامتياز، كيف يُمكن تفسير هذا الأمر، وما معنى التَّجلّي ولماذا يحدث؟!

25) إذا مرضَ الإنسان، هل تتوقّفُ التَّجلّيات؟ وهل يحرمُ المرضُ إنسانَ السّلام من التَّوغّل أكثر فأكثر في عوالم الملكوت البهيّة؟

26) ما رأيكِ بما ترينه على السّاحة من فوضى وعلاقات مخلخلة بين البشر، وبين الدُّول والدَّولة الواحدة مع مواطنيها، كيف يُمكن والحالة هذه أن نعالجَ كل هذه الخلخلات في العلاقات بين الدُّول والأفراد؟

27) هل توافقيني الرّأي، لكي نحقّق السّلام، نحتاجُ لسنِّ قوانين جديدة تساهم في تحقيق السَّلام في العالم؟

28) هل قادكِ السَّلام مع ذاتِكِ إلى السَّلام مع الطَّبيعة، مع البشر، مع الكلمة على إيقاعِ هديلِ اليمام؟

29) لماذا هناك عدّة أديان وليس ديناً واحداً يوحّد البشريّة، ويقضي على الخلافات النّاشبة بين الأديان؟!

30) ما الّذي دفعكِ عندما ترجمْتِ ديوان: السَّلام أعمق من البحار، أن تعتكفي في دير كي تعيشي حالة تأمُّل وخشوع، وتترجمي هذا الدّيوان، وكيف بدأتِ بترجمة الدِّيوان من العربيّة إلى الإيطاليّة؟!

31) ماذا عن الحبّ كمعراج يبلغ به الإنسانُ حالةَ السّلام الكامل؟

32) من الحبّ البشريّ يُمكن للفرد أن يصل إلى الحبّ الإلهيّ الأكبر، ماذا عن دور الجنس في هذه الرّحلة الرّوحيّة الكبرى؟

33) ماذا عن الزّواج، هل يقيّدُ الإنسانَ ويحرمُه من الوصول إلى حالة الصّفاء والسّلام؟

34) أرى أنَّ من أهم أسباب تراجع السَّلام في العالم، هو تراجع الحس الأخلاقي، كيف ممكن أن نعالج هذه المشكلة العويصة، ونعيد للأخلاق الرَّاقية دورها الرَّائد، وبالتّالي نعمّق عبر الأخلاق ثقافة السَّلام؟!

35) ما هي أفضل السُّبل لتوعية المرأة بدورها الجديد؟!

36) لماذا لا نستغلُّ تقنيّات العصر في ترويج ثقافة الحب والسّلام والوئام بين البشر، ويتمُّ التَّركيز على الأفكار الاستهلاكيّة والمتع الفضفاضة، ولا يتمُّ التَّركيز على قضايا جوهريّة تهمُّ حياة ومستقبل الإنسان؟

37) هناك ثقافة استهلاكيّة تهيمنُ على أغلبِ وسائل الإعلام في العالم، لماذا لا يتمُّ نشر الثَّقافة والفكر الرَّصين عبر منابر الإعلام المختلفة، أين دور المسرح والسِّينما والأدب الرّاقي لنشر الفكر الخلّاق؟!

38) بمَن تأثَّرتِ من الأنبياء والقدِّيسين والرُّسل ورجالات الفكر والحكمة ممَّن كرّسوا حياتهم للسَّلام؟!

39) ماذا يراودكِ وأنتِ تنظرينَ إلى ملايين ملايين البشر وهم غائصون في حياة استهلاكيّة فاقعة، وهم بعيدون كلَّ البعد عن كلِّ ما فيه حكمة وسلام ووئام وكأنّهم لم يفهموا حتَّى الآن لماذا جاؤوا إلى الحياة؟!

40) ماذا تقصدين بالعالم الجديد؟

41) إنَّ السَّلام هو أكثر حاجة يحتاجها الإنسان على وجه الدُّنيا، ما هي أنجع الطُّرق لتحقيق السَّلام؟!

42) هذه نقلة نوعية كبيرة في الفكر أساسها الغذاء السّليم، كيف برأيكِ ممكن تبنّيها من أجل إحلال السّلام في العالم؟

43) يبدو لي أنّكِ تتحدّثين عن ثورة صناعية جديدة، أليس كذلك؟!

44) الفكر الخلَّاق، التَّطوُّر وتراكم تقنيّات كلّ العصور، الإنسانيّة بكلِّ سموِّها وأخلاقيّاتها، إلى أين؟! هل الكرة الأرضيّة، في خطر ممّا يموج في فكر الإنسان، أم أنَّ هناك تآلف فيما بينهما لحلِّ المفارقات؟!

45) عمر البشرية ملايين ملايين السِّنين، والحروبُ تزدادُ عاماً بعدَ عام وقرناً بعد قرن، متى سيحلُّ علينا عصر السَّلام وتعمُّ علينا ثقافة السَّلام في كلِّ أرجاء المعمورة وتصبح الحروب من الماضي الغابر؟!

46) تشتغلينَ بهدوءٍ عميق وصبرٍ عندما تكتبين، تترجمين، تقيّمين وتحلّلين النُّصوص. من أين تستمدِّين هذه الخصوصيّة والفرادة في تواصلكِ مع الحرف والكتابة والتّرجمة والإبداع؟!

47) ماذا ينتابُكِ وأنتِ تشاهدينَ تفاقم الحروب في الكثيرِ من البلدانِ، وما هو موقفكِ من الحروب؟!

48) ما رأيكِ، باللُّغة، الكلمة؟ مندهشٌ كيفَ لا يستطيع الإنسان التّفاهم مع بني جنسه وهو الكائن العاقل؟

49) كيف ممكن أن يعيشَ المرء من دون لغة، أم أنّه حمل اللُّغة في مشاعره الدَّفينة وتشرّبها مع الزّمن؟!

50) لغتكِ حيرى، إنها تخترق الأُلْفَة وتدفع بالحرف نحو أفق الغرابة والدّهشة، كيف تفسّرين ذلك؟!

51) كثيراً ما تتحدّثينَ عن ضرورة معرفة النّفس كوسيلة يتحقّقُ بها السّلامُ الرّوحيّ، هل برأيكِ يحتاجُ الإنسانُ بعدَ هذه المرحلة إلى مُعلّمٍ أو مُرشد روحيّ يُكمِلُ معه وبهِ طريق الحياة نحو الكمال والسّموّ الذّاتي والفكريّ؟

52) نحن في زمن وإنْ كثُرَ فيه المعلّمون والأطبّاء الرّوحيّون، فإنّ الحروب مازالت مندلعة في كلّ شِبْرٍ من الأرض، أينَ يوجدُ الخلل؟

53) إنَّ تبنّي ثقافة السَّلام تتشكّل منذ الطُّفولة، لماذا لا تزرع الأسرة هذه الثَّقافة في نفوس البنين؟

54) كيف يُمكنُ أن نحثَّ الإنسان على السّعي نحو آفاق السّلام وتشجيعه بالتّالي على تفادي الحروب القادمة والحيلولة دون وقوعها؟

55) كيفَ تنظرين إلى ذكريات الطُّفولة، هل ممكن ربطها بما يحدث لاحقاً، وكيف نسترجع الذّكريات؟!

56) هل كنتِ تتخيَّلينَ أنَّ مجموعة حروف وكلمات ممكن أن يترجمها العقل ويحوّلها إلى فكرٍ وإبداع؟!

57) من هو الإنسانُ إذن من وجهة نظركَ؟

58) ما هي المنابع الّتي رافقت تشكيل وعيكِ وخيالكِ وسموّ روحك نحو آفاق السَّلام والكلمة الخلّاقة؟!

59) كيف تموسقين إبداعيّاً: توهّجات الخيال، انبعاث الذّكريات، صفاء الرّوح وتجلّيات ألق السَّلام؟!

60) كيفَ تشكَّلَ سموُّ الحرفِ وصفاءُ الرّوحِ كأنّك مجبولة من أجنحةِ سلامٍ ترفرفُ فوقَ طينِ الحياةِ؟!
61) متى تكتبين، هل تسمعين خلال الكتابة إلى موسيقى على إيقاعِ هدوءِ اللّيلِ وسكونِ الصَّباح فيولد حرفكِ من مخيالٍ جامح نحو ألق السّماء، كأنّكِ تترجمين تجلّيات الرّوح في أصفى حبورها معَ السّماء؟!
62) لماذا مازال الإنسانُ غارقاً لليوم في خوفه من الآخر المختلف عنهُ لدرجة أنّه قد يجدُ نفسه مدفوعاً دفعاً إلى ارتكاب أبشع الجرائم والحروب في حقّه؟!
63) نصوصُكِ حافلة بألقِ السَّلامِ والسُّموّ، من أينَ تستمدّينَ انبعاث تجلّيات السَّلام والوئام بين البشر؟!
64) كيف تنظرين إلى الرُّؤيا، الحلم، فيما إذا ظهرتِ لصديقة في الحلم، وأنتِ في كاملِ وئامكِ ووداكِ معها، تتفرغّين لها لبعض الوقت وهي في أوجِ فرحها، هل تتعانقُ وتتواصلُ الأرواح عبر تجلّيات الأحلام؟
65) ماذا تقرَئين، وما هي أكثر الكتب الّتي عمّقتْ رؤاكِ في السَّلام والحب والصَّفاء والعدالة الإنسانيّة؟!
66) ما رأيكِ بأدب الحوار حول السَّلام وترويج أدب وثقافة السَّلام وتعميمها في كل أنحاء العالم؟!
67) هل الشِّعر أقرب شموخ إبداعي إلى السَّلام، لأنّه ينبعُ من جوانحِ الرّوح، ويحلّق نحو مآقي السّماء؟!
68) لديك طاقة روحيّة في استكناه ما في أعماق النّص الّذي تحلّينه، كيف تشكّلت لديك هذه الطّاقة الخلّاقة، وأنت تسبرين عميقاً ما تدرسينه، كأنّك على علاقة وطيدة مع فضاء المبدع الّذي تدرسينه؟!
69) أدعو كل مبدعي ومبدعات هذا العالم إلى تأسيس مؤسّسات وهيئات دوليّة لرعاية السَّلام وفرضه على كل دول العالم، وتحقيقه عبر هيئات ومنظّمات دوليّة بقوّة القانون، ما رأيك بهكذا دعوة وهكذا تطلُّع؟
70) كيف ممكن أن يحقّق الإنسان صوتاً موحّداً مع بني جنسه المجنّح نحو السَّلام ويطلق موقفاً واحداً لإغلاق معامل السَّلاح كي ينقذ البشريّة من كلّ هذا الخراب والدّمار، ونحن في القرن الحادي والعشرين؟!
71) من أينَ تستمدّينَ شعركِ، كيفَ تكتبينَ نشيدكِ وتترجمينَ ما يعتري في مخيالك وتجلّيات روحك؟!
72) هل تدفُّق الشّعر أقرب من انبعاث الحلم ـ الرُّؤيا، منه إلى تجلّيات الخيال، أم ينبعث من كليهما معاً؟
73) كيف تسترجع الذَّاكرة ما هو في خضمّ الذّاكرة البعيدة ومتناثر مثل الغمام في متاهات الخيال؟!
74) كيف وصلتِ إلى حالةِ صفاءٍ ذهني، وقدرة فائقة على تحصين الذَّات والرُّوح من مغبّاتِ الحياة؟!
75) عندك ثقافة موسوعيّة روحيّة دينيّة وفكريّة وأدبيّة، هل رؤيتكِ الموسوعيّة قادتكِ إلى مرامي السَّلام؟!
76) لكِ طقوس في الكتابة تنمُّ عن تشرُّبٍ روحاني عميق، كيف تشكَّلَ هذا النُّزوع الوئامي معَ الكون؟!
77) إذا كل إنسان انطلق من ذاتِهِ وكان مسالماً ونشرَ ثقافةَ السَّلام، سيعمُّ السَّلام في العالم، أليس كذلك؟
78) عندما تترجمين، أو تحلّلين نصَّاً، شعراً، روايةً، تبحرين في أعماقِ الحرفِ كمَن يبحثُ عن الدُّررِ المتناثرة في فضاء الكتابة، ما هي الأسس الّتي تنطلقينَ منها أثناء ترجماتك وتحاليلك النّقديّة؟!
79) ماذا يعني لكِ الرّسم جنباً إلى جنب مع الحرف، متى ترسمين، هل ترسمين بحثاً عن تجلّيات الرّوح؟
80) ما هي علاقة صفاء وتجلّيات الرُّوح بالكتابة، هل تنعكس مكنونات الرّوح عبر الكتابة والتّرجمة؟!
81) ماذا تعني لكِ الولادة، ولادة طفل، بزوغ الشّمس، نمو زهرة، ولادة فكرة، ... كيف تولدُ أفكارُكِ؟!
82) كيف تقيّمين إلى اليوم القراءات النّقدية التي كُتبتْ بشأن تجربتكِ الإبداعيّة؟

83) مَنْ أنتِ، كيف تلخِّصين أسماء غريب، الطّفلة، الشّابة، الأديبة، الشّاعرة، المترجمة، النّاقدة، المفكِّرة، التّشكيليّة، مبدعة في فضاء مفتوح على كلِّ ما هو رهيف وتصبُّ في مروج السَّلام بأبهى صوره وتجلّياته؟

84) كيف تنظرينَ إلى جغرافيّة الكون، الكائنات، الطّبيعة، علاقة الكائن الحي مع الطّبيعة ومع الحياة؟!

85) عندما تتوارى بعض التَّدفُّقات الإبداعيّة أثناء الكتابة، هل تستطيعي استرجاع ما توارى عنكِ لاحقاً؟!

86) ماذا يعني لكِ الزّمن، العمر، رحلة الحياة، كيفَ تنظرينَ إلى دقائق الحياة بكلِّ تفاصيلها؟!

87) أيُّهما أكثر تأثيراً على البنين، ثقافة الأسرة أم ثقافة الشّارع والأصدقاء والمدارس والجامعات؟!

88) هل توافقيني الرَّأي أن هناك تقصير كبير في نشر ثقافة السَّلام عبر المناهج الدِّراسية في الشّرق والغرب أيضاً عبر كافّة المراحل الدِّراسية ابتداءً من المرحلة الإبتدائيّة حتّى المرحلة الجامعة وما بعدها؟!

89) هل أنتِ قادرة على تجسيدِ رؤاكِ وما يجولُ في مخيالكِ عبر الكلمة أم أنَّ الخيال أكثر رحابةً؟!

90) كتاباتُكِ تمنحُني الفرحَ والسَّلام والهدوء والأمل، هل تكتبينَ من أجلِ أن تمنحي قرّاءك الفرح والأمل؟!

91) كيف تفسّرين هذا التنوّع في بوحك الرّوحي لدرجة أنّهُ يُخيّلُ للقارئ أنّكِ تنتمين إلى كلّ الأديان، ولربّما إذا قرأكِ المسيحيّ اعتقد أنّك مسيحية، وإذا اطّلع على أشعارك وترجماتك ونصوصك النقدية العبريّ اعتقد أنّكِ على ملّته، والمُسلمُ قبلهما معاً؟!

92) هل تستطيعُ اللُّغة أن تترجمَ ما يجيشُ في دواخلنا من جنوحٍ نحوَ أعمق فضاءات السَّلام؟!

93) اللُّغة صوت، موسيقى، غناء، فكر، تواصل، كيف ممكن أن نسخِّر هذه الإمكانيّات لخيرِ البشريّة؟!

94) ماذا يتابكِ وأنتِ تقرَئين أو تترجمين نصّاً عن حيثيات السَّلام، مثلاً: السَّلام أعمق من البحار؟!

95) كيف ممكن أن يكون للأدب والإبداع دور في استنهاض ونشر ثقافة السَّلام في أركان المعمورة؟!

96) هل ممكن استخلاص دين واحد للبشريّة، مستنبط من الأديان كلها أم هذا ضرب من المستحيل؟!

97) إنَّ كل رجل دين لديه استيعاب وفهم دينه بحسب ثقافته وعمق رؤاه، بهذه الحالة نكون بحسب فهم وتحليل رجالات الأديان، أمام ملايين التّفاسير والتّحاليل لِمَا جاء في الأديان، كيف نحلُّ هذه المعضلة؟!

98) يراودني أنَّ الإنسان لم يفهم حتّى الآن الأديان بكل عمق، وهو مايزال بعيداً عن جوهر الدِّين وإلّا لماذا هذا البعد عن جوهر الدِّين ونرى كل هذه الخلافات فيما بين رجالات الدّين؟!

99) كيف نروِّج ثقافة الفرح والحب والسَّلام بين البشر عبر الإبداع والعطاء، وتصبح هدفنا في الحياة؟

100) كلمة أخيرة، تريدي أن تقولينها حول السَّلام، وأدب الحوار حول السَّلام لتحقيق إنسانيّة الإنسان!

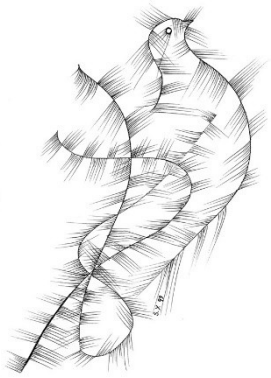

بعض إجابات الأديبة أسماء غريب عن الحوار الثّاني،

رحلة المئة سؤال وجواب،

وقد اختارت للحوار العنوان التّالي:

رحلةُ السّلامِ الرّوحيّ
من الفَحْمِ إلى الألماس

4). كم من الأنبياء والقدِّيسين والأديان جاؤوا ولم يتحقَّق السَّلام على الأرض، على مَن يقع الحق؟!

الأديان مؤسّسات ناموسيّة، قائمة على منطق القانون، والثَّواب والعقاب، وهي لأجل هذا لمْ ولن تستطيعَ أن تنجح أبداً في تحقيق السّلام على الأرض وفي قلوب النَّاس. إنّ كلّ شيء يقوم على القانون ينبعُ من منطق الخوف، وكلُّ شيء يقوم على الخوف لا يمكنه أن يعرف الطّريق إلى الحبّ أبداً. معظمُ المعتقدين

في الأديان والمؤمنين بها، تتعلّقُ قلوبهم بالجنّة وتخشى النّار: لا يوجد أحدٌ يحبّ الله من كلّ قلبه ومن كلّ نفسه، لأنّه يفتقرُ إلى منطق الحياة الّذي تكبته الأديان في قلوب النّاس. الدّين كالقانون، يفرض الخوف، والحبُّ تعبير واضح وصريح عن عدم الخوف. كثيراً ما نسمعُ في حياتنا اليوميّة أنَّ القانون هو سيّد المجتمع، لكنّنا لا نتساءل أبداً عن المعنى الحقيقي لهذه العبارة، ولو تأمّلناها للحظة واحدة سنجدُ أنّها تعني أنّ كلّ المجتمعات تعيشُ في خوف مستمرّ من العقاب، لكن لك أن تتخيّل معي كيف لو كان الحبّ هو سيّد المجتمع، لا شكّ أنّ حياة النّاس ستكون آمنة وسالمة من كلّ المنغّصات والآلام.

مشكلة النّاس اليوم أنّهم يكثرون الحديث عن الحبّ دون أن يعرفوا ماهيّته وحقيقته أبداً: الطّفل في البيت يجد أمّه صباح مساء توصيه بأنْ يحبَّ أباه وأقاربه، كذلك في المدرسة يحدثُ الشَّيء نفسه، لكن لا أحد يقول لهؤلاء الأطفال إنّ الحبّ لا يحتاجُ إلى تعليم، فهو إمّا ينبعُ من داخلك وإمّا لا. من يعلّمُكَ الحبّ يجني عليك دون أن يدري، لكن من يتركُ لك حرّيّة الإحساس بالحبّ والاطّلاع على نبعه الفيّاض في داخلك، يكون حقّاً قد دلّك على الطَّريق السَّليم. الحبّ لا يحتاج إلى وصايا، أو تعاليم أو نواميس وقوانين، وإنّما يحتاج إلى حلول السّلام في القلب، وهو السّلام الّذي لم تستطِع الأديان أن تحقّقه لأنّها حينما شغلتِ النّاسَ بالجنّة أنتجتْ لنا جماعات هائلة من الطّامعين، فظهر من يعلنُ الحروبَ ويشعلُها من أجل هذه الجنّة، وحينما شغلهتم بالنّار أنتجتْ لنا جموعاً غفيرة من الخائفين والمرعوبين! أرأيتَ عيسى يا عزيزي القارئ؟ هل وصلكَ خطابُه؟ هل تعرف من هو حقيقة؟ دعني أعرّفكَ به إذن: إنّه الرّجل الوحيد الّذي جاء ليقلبَ نواميس الأديان رأساً على عقب. لأنّه لم يأتِ بقانون أو شريعة أو ناموس، وإنّما جاء فقط بالمحبّة، لأجل هذا لم يتقبّله تُجّارُ الدّين حينما ظهر، وحاكموه بمنطق القانون واعتبروه مجرماً وعاقبوه على درس المحبّة، ولعلّ طريقته في تعامله مع تلك المرأة الزّانية أصدق مثال ودليل على ما أقول: إنّه لا يُدين أحداً، لأنّ الدَّيّان الحقيقي هو الله ولا أحد غيره. ألّا تُدِينَ أحداً يعني أنّكَ أصبحتَ مُعلِّماً، وليس رجلَ دين متنوّر فقط، لأنّ الفرقَ بين الاثنين شاسع جدّاً. من الممكنِ أن تُصبح متنوّراً، لكنّه من الصّعب جدّاً أن تكون مُعَلِّماً، لأنّ مسار الحالتيْن أو الصّفتيْن مختلف تماماً. المتنوّرُ وإن كان رجل دين مقيّدٌ بالأطماع، والمُعلِّمُ متحرّرٌ بالحبّ والعطاء والكرم. وسأعطيك عزيزي القارئ مثالاً على هذا الفرق بين المتنوّر والمُعلّم، فالرّاهبُ الشّابّ مثلاً قد يكون مجرّد متنوّر يحفظ الطّقوس، ويحافظُ على العبادات، ويحرِمُ جسدَه وعقلَه من المغريات، لكنّه على الرّغم من ذلك لم يحدث بداخله التَّنوّرُ الحقيقي الَّذي يرفعُه إلى صفة المعلّم، لأنّ الطّاقة الّتي بداخله قد تحوّلتْ إلى كبتٍ يستحيل معهُ أيّ تحوّل أو تفتّح صادق وفعّال.

الرّاهبُ أو السّالكُ (بغض النّظر عن عقيدته أو ديانته) الّذي لا يتزوّج مثلاً، أو لا يعرف النّساء أبداً، قوّتُه أو نارُه الجنسيّة تتحوّل إلى كبتٍ يعوقه عن العروج إلى سماوات الملكوت، لأنّ الأنثى ضرورية جدّاً لهذا النّوع من العروج، إنّها المرآة الّتي تُحقِّقُ التَّعرُّفَ على النّفس، والشَّيء نفسه ينطبق على المرأة "الرّاهبة" أو العارفة أو السّالكة في الطَّريق. واسألْ عزيزي القارئ أهلَ الفيزياء عن هذا الأمر يخبرونَك بأنّ كلّ طاقة

لا تنتهي أبداً وإنّما تتحوّلُ، والطَّاقة الجنسيّة الَّتي أنا بصدد الحديث عنها الآن، إذا لم تُوَجَّه بالشّكل السّليم فإنّها تتحوّلُ إلى كبتٍ، وكلّ كبْتٍ هو مدمّر للطبيعة البشريّة، وثمّة من رجال الدّين من يستخدمُ هذا الكبتِ في الدّخول إلى باب الطّمع وتحقيق الغايات القصوى من الحياة الكهنوتيّة أو العرفانيّة، وهذا ما يُفسِّر ما سجّله تاريخ الدّيانات من تطاحنات دمويّة قاتلة في جيراركيات الكنائس والمعابد والمؤسّسات الدِّينية الأخرى، وما قام به بعد ذلك المتصوّفة من تصفيات لبعضهم بعضاً بدافع من الغيرة والحقد والحسد.

أن تتحوّل من درجة المتنوّر إلى درجة المعلّم يعني أن تحترق بنار الحبّ، ولا يكفي أن تكون من أهل العمل فحسب، أو من أهل العِلم فقط. لا بدّ أن تجمع في طريقك بين جهادك للنّفس والجسد، وبين عملكَ على العقل ونارِكَ المقدّسة.

9). هل فهمَ رجالُ الدِّين جوهر ما جاء في الأديان، أم كل واحد منهم يفسِّره كما يفهمه، وبالتَّالي جاء فهمه قاصراً وولّد خلافات في الدِّين الواحد عبر المذاهب والطَّوائف، وخلافات مع الأديان الأخرى؟!

رجال الدّين الأحقّاء قليلون جدّاً على هذا الكوكب الجميل، ومَنْ فَهِمَ منهُم جوهرَ الأديان نادرون أيضاً، ومن هؤلاء تحضُرُ أمامي صورةُ كارول فويتيلا وصاحبِه في النّور والبهاء جوزيف راتسينغر، فيبتسمُ قلبي وتدمعُ عيني وأنا أتذكّر قصيدة (فتيان) الَّتي يقول فيها صديقي كارول:

((مِنَ الحُبّ فجأةً يتبرعمُون
وحينما يبلغُون سِنَّ الرُّشْد
فجأة أيضاً
يخرجُون للتَّجوُّل وسط الحشود الكبيرة
بقلوب أسيرة كالعصافير
ووجوهٍ شاحبةٍ وسط شمس الأصيل
وفي قلوبهم تنبض الإنسانيّة بأسرها
أعرفُ هذا
وهُم يَداً بيدٍ يجلسون بصمتٍ
عند حافة النّهر
هناكَ حيث جذع شجرة، وأرضٌ تحت ضوء القمر
كأنّهُمَا مثلّث يحترقُ في الهمس غير المكتمل.
لمْ يرتفع بعدُ الضّباب
وقلوب الفتيان في الأعالي مازالتْ فوق النّهر

وأنا أتساءل:
هل سيبقون هكذا أبداً
متى سينهضون ويمضون راحلين؟
وفي المقابل هناك كأس من نور يتدفّقُ بين الأعشاب
وبين كلّ نبتة ينْكشفُ عُمقٌ مجهول.
ذاك الّذي سيبدأ في دواخلكم
هل ستعرفون كيف تحمونه منَ الضّياع
وهل ستهتدون إلى التّمييز بين الخير والشّرّ؟))

ما أجمله من مقام، هذا الّذي يتحدّثُ عنه كارول وهو في كهف فتوّة الرّوح وصباها، ويُحَدّد بداية الطّريق نحو المحبّة والنّور. وإنّي لأراهُ في هذا يتوافقُ مع صديقه جوزيف الّذي يقول إنّه لا بدّ للحقيقة من هذه المحبّة لتتحقّق سعادةُ الإنسان وحرّيتُه. والمحبّة الّتي يتحدّثان عنها معاً هي للإنسان حيثما وُجِد، لا فرق فيها بين مُسلم ومسيحي أو بين يهودي وصابئيّ، أو بين أبيض وأسود، الكلّ معني بالأمر هنا، وهي القضيّة الّتي نادراً ما نجدُ رجال الدّين يتحدّثون عنها، وكثير منهم يفصلون بين النّاس وفقاً لمعتقداتهم وانتماءاتهم الفكريّة والجغرافيّة، لا أحد يفكّر في الإنسان وماهيّته الحقّة، وهذا يحدثُ لأنّ العالم اليوم وأكثر ممّا مضى أصبحَ مليئاً بالمتديّنين الزّائفين، وإنّي لأتساءل كيف يحدث هذا والأرض تضجُّ بأماكن العبادة وبالنّاس المصلّين والعابدين؟ بل كيف أنّ الحبَّ لمْ يفِضْ بعدُ نورُه على الأرض وأينما وجّهتَ نظركَ تجِدُ المساجدَ والكنائسَ والمعابد؟ وكيف لمْ يصِلِ النّاسُ إلى الطّمأنينة والسّلام وأينما ولّيتَ وجهكَ تسمعُ المواعظَ والخُطبَ الدّينيّة؟ إذا فتحتَ المذياع تجدُ رَجُلَ الدّين يعظُ، وإذا فتحتَ التّلفزيون تطالعك ألفُ قناة وقناة مخصّصة للدّعاة ورجال الوعظ ونسائِه، وإذا ركبتَ سيّارة الأجرة أو صعدتَ الحافلةَ تسمعُ الأناشيد والتّراتيل والآيات المُجَوَّدة؟ لكن لماذا لمْ يؤمنِ العالمُ بَعْدُ على الرّغم من كلّ هذا؟ أين يوجد الخلَلُ يا ترى؟

الحقيقة أيّها السّادة هي أنّ الدّينَ أصبح خُدعة كبيرة، والنّاسُ بمن فيهم تجّارُ الدّين حوّلوا الإيمانَ إلى معتقدات ومعلومات وتعاليم تعلّموا بمرور الزّمن أن يحفظُوها عن ظهر قلب، ويثقون بهَا ثقة عمياء دون أن يختبروها بأنفسهم، في حين أنّ هناك فرق كبير بيْن أن تكونَ إنساناً مؤمناً وأن تكون متديّناً: التَّديُّنُ يقتضي منكَ حفظ التّعاليم وتطبيقَها دون التّفكير في مضمونها ونتائجِها، أمّا الإيمان فهو حريّة كاملة ومحبّة مطلقة. معظمُ المتديّنين هم كذلك بالوراثة، إذْ عادة ما يحدثُ أن يولدَ شخصٌ ما في بيئة دينيّة معيّنة ويعتنقُ بشكل آليّ ديانة والديْه دون أن يتساءل عنها ولا أن يختبرَها ولا أن يجرّب أيّ شيء، في حين أنّ الأنبياء أنفسَهم ما آمنوا إلّا بعد أن سلكوا طريقاً عميقاً من البحث والسّؤال إلى أن وصلوا بأنفسهم إلى الحقيقة فاعتنقوها وفاضوا بها على الجميع من باب الحبّ والرّحمة. هل منكُم من قام بهذا، هل منكم من سلكَ طريق الأنبياء؟ لا، معظم النّاس ورثوا الدّينَ ولمْ يَخبِروه، وقلّة منهم من جرّبَ طريق الشّكّ. خيرٌ

لكَ أن تشكَّ على أن تكونَ مُتديّناً بالوراثة، خيرٌ لكَ أن تكون فقيراً على أن تكون ثريّاً بما ورثتهُ من الآخرين عبر التّاريخ من تعاليم وطقوس وعبادات لا تفهمُها ولا تستوعبُ منها شيئاً. الحقيقة تتطلّبُ منكَ القيام بمجهود جبّار، تتطلّبُ منك كما يقول صديقي كارول أن تكبُر أيّها الفتى وتتركَ حافة النّهر، وتدخلَ إلى الغابة حيثُ يوجد ذاك المثلّثُ المُحترق، وتتجاوزَ الهمسَ لتدخل إلى كهف الصّمت المطلق. ابتعِدْ أيّها الفتى عن الحشود الكبيرة والجماهير وغُصْ في دواخلك، عِشِ التّجربة وتذوّق حميميَة الحقيقة، وليكن سلاحك الوحيد ثقتكَ بنفسك، هذه الثّقة أعني بها عيْنَ القلب الصّادقة أبداً، أمّا عن الشَّكّ الّذي حدَّثتُك عنه قبل لحظات فأعني به الفِكْرَ، لا بدّ لك أن تجمع في طريق البحث بيْن القلب والعقل، وتأكّد أنّك بهذا فقط يمكنكَ أن تتحوّلَ منْ مقام التَّفكير إلى مقام الفطنة والذّكاء الّذي بهِ تُصبِحُ إنساناً حكيماً، لا مُفكّراً ولا فيلسوفاً ولا مُثقّفاً!

14). أنتِ كائن مفطور على الفرح، والصّفاء وبهاء الرّوح، كأنّك شجرة وارفة الظّلال، تحوَّلت إلى إنسانة تظلّل الحياة بأغصان السَّلام، كيف تنظرين إلى هذه الرُّؤية، وهل يتواءَمُ التَّحليل مع عجينِ كينونتِكِ؟!

هذا سؤالٌ لطيف جدّاً، يضمُّ بين جناحيْه رؤية في غاية الجَمال والرّوعة، وقد لفتتْ انتباهي فيه هذه الصّورة الراقية التي أشرتَ فيها إلى الإنسان–الشَّجرة من حيث الكرم والعطاء، ومن حيث المحبّة والفرح والبهاء. هو هكذا إنسان السّلام، إنّه في عطاء مستمرّ، وكما أنّي شجرة فإنّي أيضاً طائر بجع كبير، أنقرُ باستمرار قلبي، وأتركُ دمي ينزفُ قطرات هي ترياق أُحيي به جوعى المحبّة والطّمأنينة، ودمي هو حرفي الّذي ما تركتُ مجالاً من مجالات الإبداع إلّا وسكبتُه فيه خدمةً لغيري على الرّغم من المشاقّ والمتاعب الّتي جلبَها لي هذا الأمر.
وحتّى لا أطيلَ في الحديث عن نفسي، فإنّي أحبُّ أن أوجّه دفّة الإبحار إلى جانب آخر كامن في سؤالكَ أجدُهُ أكثر أهمّية من فيوضات العطاء والكرم الشَّخصيّة، وذلك من خلال طرحِ سؤالٍ جديدٍ هو الآتي: هل يُمكنُ للإنسانِ أن يتحوّلَ بعد الموتِ إلى طبيعةٍ كينونيّةٍ أخرى تخالفُ طبيعتَه الأولى، كأن يُصبحَ شجرةً على سبيل المثال؟! هذه إشارةٌ وردتْ في سؤالكَ أنتَ بشكلٍ غير مباشر، وبموجبها سأشرع في الحديث عن نظرية التّفاسخ الّتي تعني تحوّلَ روح الإنسان للاستقرار بعد الموت في عنصر من عناصر ملكوت النّبات.

20). هل يفهمم المرء ذاته المستبطنة في الأعماق، أم يحتاج لتجربة طويلة كي يفهم ما يجولُ في أعماقه؟!

ليس فقط يحتاج لتجربة طويلة، بل يحتاج لحيوات أخرى في عالم البرزخ، وكذا في عوالم الملكوت السّنيّة. الإنسانُ في تطوّر مستمرّ ولا يُمكنُ لرحلة الأرض أن تكون كافية لكيْ يستنبط ما في أعماقه. ثمّة عوالم

خلقها الله لا نعرفُ عنها شيئاً، وثمّة بداخلنا كون عظيم مازلنا لا نعلمُ منه شيئاً، وذلك لإنّنا في خوف مستمرّ، وتردّد وارتباك لا ينتهيان. كلّ شيء مقيّد بما ورثناه منذ عهود سحيقة، كلّ شيء مكبّل بالأجوبة والأفكار الجاهزة الّتي تسجنُ الأديانُ النّاسَ في أقفاصها، في الوقت الّذي يحتاجُ فيه الوجودُ لعقل يُعيدُ ترتيبَ الأشياء، عقل جديد يتّحدُ مع القلب في قضايا الرّوح الكبرى، ويغامر ويسافرُ معه إلى الأعماق. لذا، فإنّني أعتقد أنّنا مازلنا في ظلمات الرّحم الأولى، ومراحل التّخلّقِ الجنينيّ في كلّ ما يتعلّق باكتشافات الزّمن والمكان بمفهوميْهما الفيزيقيّ والرّوحي. مازالت العديد من الأسئلة معلّقة، ومازلنا نخاف من الأسفار في عوالمنا الدّاخلية.

22). ماذا ينتابكِ وأنتِ وسط الغابة تنظرينَ إلى بهاءِ الفراشة وروعةِ الطّبيعة وتسمعين إلى تغريدِ البلابل؟

الكون بكلّ ما فيه من طبيعة ونجوم وكواكب وأقمار وعوالم أرضيّة وسماويّة هو الجزء المكمّل لأكواننا الدّاخليّة، بل هو الصّورة المرئيّة لها في عالمنا المادّي، ولا فاصل أو مسافات تحدُّ بيننا، ومتى ما استوعبنا هذه الحقيقة ازداد حبّنا لأنفسنا واحترامنا للكون والوجود بأسره. الغابة هي الإنسانُ متى ما دخل إليها وجب عليه تحديد خرائطه ومواقع أسفاره وأماكن انطلاقه ووصوله، وإلّا تاه بين أدغالها، والتهمته سباعُها ووحُوشها. عليك أن تكون عارفاً أيّها الإنسان بغابتكَ السّرّيّة، وبأهلها وسكّانها من طيور وفراشات، وكذا من نمور وثعالب وذئاب، وحيتان وأسماك وما إليها. أمّا عن غابتي فهي مزيج من كلّ هذا وذاك فيها الشّموس والأقمار، وفيها الأنهار والبحار، وفيها الجبال والأشجار، تارةً أمشي فيها بدون أن تلمسَ قدماي التّراب، وتارة أغوص في محيطاتها بكلّ بهجة وفرح وسرور، وتارةً أحلّق مع نسورها، وتارات كثيرة أغازل طواويسها البيض والحُمر والخُضر، ولي فيها إخوةٌ وأصحاب، فالشّجرة أمّي مثلاً، وطائر العنقاء جدّي، لأجل هذا كلّما رأيتُ شجرة في عالم المادّة جلستُ عند قدميْها، وكلّما سمعتُ أو رأيتُ طائراً دعوته ليجلس إلى مائدتي لنتدارسَ معاً أمور الحرف والفرح. ويا لسعادتي حينما أرى الأشجارَ تمشي مُقْبلةً عليّ باسمةً ضاحكةً تغنّي لي أناشيد المحبّة والسّلام. غابتي كلّها خير، تمدّني كلّ يوم بطاقة تتجدّدُ على الدّوام، تدعوني إلى الكتابة وتقول لي، إنّ حروفي هي الحَبُّ الّذي يبحثُ عنه اليمام، وهي المنّ والسّلوى الّذي يقصده الكثيرُ مِن الأنام. غابتي تدعُوني إلى محبّة الكون، وتُعَرّفني كلّ يوم بأصحاب جُدُد، يأتون للقائي كلّما تنفّسَ الصُّبح، وتأخذ بيدي وتربِطُ على قلبي وتُطَمْئِنُ روحي، وتقول لي إنّنا كلّنا إخوة في الخلق والخليقة، وإنّنا كلٌّ إلى الحبيبِ أوّاب!

((حينمَا دخلتُ إليّ
وجدتُ في انتظاري حديقتِي السِّرّيّة
ونهراً عظيماً من المسكِ المُتَدَفّقِ

شربتُ منهُ حتّى أغميَ عليَّ
من شدّة الوجد والانتشاء
وحينمَا أفقتُ
رأيتُ أمامي أعمدةً من النّور
ونفقاً فضّيَّاً
حينما ولجتُهُ
طالعني كوكبُ زُحل
وتوقّفتِ الأرضُ عن الدَّوران
يا للسّذاجة
مَن قالَ إنَّ الأرض تدورُ
هي فقط دموعيَ الّتي تتدفّقُ
وتلكَ الوردة الصّوفيّة الحمراء
مازالتْ تنظرُ إليّ
وهي تتفتّحُ ببطْءٍ شديد
لتكشفَ للمُريدِ
سِرَّ الشّيْخِ
والسّماءُ تبكي بدموع من الألماس
أراهَا مطراً ينهمرُ في صمتٍ
هل رأيتَ أنت أيضاً
هذا الألماس
وأنت هناكَ بعيداً عنّي
في كوكب المشتري
الضّوء أزرق
وأعمدةُ النّور فضّيّة
ادخلْها لُطفاً
لتحملكَ إليّ
قطراتٍ من ندىً بنفسجيٍّ
تتساقطُ فوق الوردة الحمراء)).

28). هل قادكِ السَّلام مع ذاتِكِ إلى السَّلام مع الطَّبيعة، مع البشر، مع الكلمة على إيقاعِ هديلِ اليمام؟

السّلام الذّاتي يقود إلى السّلام مع كلّ شيءٍ، والطّبيعة تكونُ أوّل شاهدٍ على ذلك، لأنّها تُصبحُ المتحدّثَ الرَّسميّ في القلب بلغة أهل السّلام. فيحدّثُكَ الشّجرُ ويكلّمكَ الطّير، وتُشرق على وجهك الشّمس، ويتخاطبُ معكَ القمر. وسِيَر العديد من القدّيسين والأنبياء فيها الكثير من القصص عن هذه العلاقة الحميميّة الّتي تربطُ بين إنسان السّلام والطّبيعة بكلّ عناصرها، وما على الإنسان سوى أن يكون منتبهاً إلى هذا النّوع من اللّغة ورموزها، ولا شكّ سيرى في كلّ يوم من حياته أن ما من شيء في الوجود إلّا ويتحدّث بلغة السّلام وإن كان معظم النّاس لا يفقهون ذلك. وهي اللُّغة الّتي أراها شخصيًّاً في كلّ مكان، حتّى وإن كان مجرّد مدينة تضجُّ بالبنايات الإسمنتيّة، يكفي أن تكون هناك شجرة صغيرة لأجدها ممتلئة بالحمام واليمام كما حدث لي في هذا اليوم الّذي طالعتني فيه شجرة صبّاريّة وفيها العشرات من الحمائم الجميلة، تقول لي: صباحك سلام يا سيّدة السّلام. فكان أن أجبتُ بسؤال تسبيحيّ أقول فيه: كيف يجتمعان يا إلهي الصّبار واليمام؟ الشّوكُ والسّلام؟!

وحدها الطَّبيعة بلغتْ أرقى مدارج السّلام، ووحدها تقول لي إنّه بالقطبيّة تتوازنُ الأشياء، وبالأضداد تُعرف الحياة، ووحدها تحثّني على أن أكون الشّاهدة على ذلك بقلمي وفكري!

30). ما الّذي دفعكِ عندما ترجمْتِ ديوان: السَّلام أعمق من البحار، أن تعتكفي في دير كي تعيشي حالة تأمُّل وخشوع، وتترجمي هذا الدّيوان، وكيف بدأتِ بترجمة الدِّيوان من العربيّة إلى الإيطاليّة؟!

الدّير هو من ناداني، إذ كان لا بدّ لي أن أختار بين نعم أو لا حينما اتَّفقتُ مع ناشرتي الإيطاليّة على إصدار التَّرجمة الإيطاليّة لديوان (السّلام أعمق من البحار)، وحينما دعتني بعد ذلك إلى حضور حفل زفافها في مدينتها الجبليّة، حيّرني الأمرُ كثيراً، فأنا لم يسبق لي أبداً أن حضرتُ زفاف أحد، لا تعجبني الاحتفالات الصّاخبة بأيّ شكل من الأشكال، وقد تحدّثتُ عن هذا الجانب من شخصيّتي في أكثر من نصّ ضمن إصداري القصصيّ (أنا رع). لكنّها حينما قالت لي إنّها ستوفّر لي كلّ الظّروف الملائمة لإقامة تضمنُ لي بها العزلة والهدوء المنشودَيْن بدير جميل في الجبل، وافقتُ على الفور. وحينما وصلتُ وجدتُ بانتظاري راهبتيْن رائعتين حينما رأيتُ لباسهُما عرفتُ أنّهما من حمائم السّلام الّتي تهدل باستمرار في قلبي، ما أخبرتُهما من أكون فأنا لا أحبّ أن أقدّم نفسي بين النّاس على أنّي "كاتبة" أو "أديبة" بشكل عامّ: أحبّ جدّاً أن أكون "لا أحد" بين النّاس. شكرتُهما على معاملتهما الأموميّة الحنونة، ودلفتُ إلى غرفتي الصّامتة، أدرسُ لوحاتكَ عن السّلام وأكتبُ دراستي عن تجربتك الإبداعيّة، لكن المدينة الّتي احتضنتني طيلة فترة زفاف ناشرتي لم تكتفِ فقط بتوفيرها لي الدّيرَ المناسب للتأمّل وإنّما أهدتني هدية عظيمة ما كانت في الحسبان، فحينما قرَّرتُ أن أخرج بعدَ العصْرِ في نزهة بين أشجار المدينة وطبيعتها

الخلّابة، لفتتْ نظري حديقة شاسعة وغنّاءة، أو بالأحرى أرجوحةٌ كانت بداخل هذه الحديقة، فتذكَّرتُ طفولتي البعيدة، واقتربتُ من المكان ثمَّ فتحتُ بابَهُ الحديديّ الصَّغير ودخلْتُ، وبينما أنا أتجوَّلُ بين زهوره وأعشابه المختلفة إذا به تستوقفُني من بعيد معلمة تاريخيّة، وحينما تقدّمتُ نحوها بخطوات أسرع، وجدتُ أنّ اسمها هكذا بالحرف الكاملِ؛ (معلمة تاريخيّة مهداة إلى السَّلام الكونيّ). خفق قلبي بشدّة، وسألتُ نفسي: ما معنى هذا؟ هلْ حقّاً للمكانِ قداسة دون قداسةِ القداسات كما يقول صبري؟ هل كانت جبال هذه المنطقة تعرفُ بقدومي، وبمَا يشغلُ فكري في هذه الفترة، ولأجل هذا قدّمَتْ لي هذه الهديّة الثَّمينة؟!

هذه المعلمة التّاريخيّة أنشأها نحّات إيطالي اسمه (تومّاسو جيراشي/Tommaso Geraci) من مواليد سنة 1931، وقد أهداها لضحايا الحربَين العالميَّتَين الأولى والثَّانية، وكتب فوق لوحة من الأسمنت الكلمات التَّالية: ((زمنُ الزَّيتون يتبعُ زمنَ القمح/ وزمنُ القمحِ يتبعُ زمنَ الوردة))، ورصّبها إلى جانب أكبر الشَّخصيَّات التَّاريخيّة الّتي جسّدتِ السّلم والسَّلام في العالم، وهي المهاتما غاندي، وقدّيس الحبّ ماسيمليانو ماريا كولبي (Massimiliano Maria Kolbe)، وشهيد الوطن (سالفو داكويستو/Salvo d’acquisto).

وبعد أن وثّقتُ بالصُّور هذه اللَّحظة التَّاريخية النَّابعة من عمق أعماق حرف السَّلام وأهله وحَفَظَتِهِ في كلِّ مكان، عدتُ إلى الدّير بسرعة ثمَّ واصلتُ كتابة دراستي النّقديّة وفي القلب فرح كبير تحوّل إلى ديوان ترجمتُه إلى اللُّغة الإيطاليّة هو (السَّلام أعمق من البحار).

59). ما هي المنابع الّتي رافقت تشكيل وعيكِ وخيالكِ وسموّ روحك نحو آفاق السَّلام والكلمة الخلّاقة؟!

مازلتُ أنتظرُ ولاداتي الجديدة، ومازالت الرّحلاتُ في بداياتها، لأنَّني كلّ يوم في شأنٍ، لا يُمكنني أن أقول إنَّني وصلتُ، أو إنّ وعيي وخيالي قد اكتملَ تشكيلهُما بشكل نهائي، لأنّ الحياة لا تنتهي، والعمر الّذي يُمنحُ لنا غير كافٍ أبداً لختم الرّحلة. هناك دائماً أشياء لابدّ من اكتشافها والاطّلاع عليها، وهناك خبرات لا بدّ من اكتسابها، ولا بدّ لكلّ فرد أن يُحدّدَ مقامَهُ في الوجود، ودورَه في الكون. لا أعتقد أنّني سأكتفي بنفسي ككاتبة أو شاعرة أو ناقدة أو رسّامة: هناك حيوات أخرى غير هاته الّتي سبق واطّلعتُ عليها واكتشفتُها. دعني أقُلْ أنْ لا شيء ممّا وصلتُ إليه اليوم يُرضيني. لقد خبرتُ مجال الكتابة واطّلعتُ على مسارات العديد من الكتّاب، ثمَّ رأيتُ حالة الكتابة في عصري والثّقافة بشكل عامّ، وهي لا تُبشّر بخيرٍ أبداً، ممّا يجعلني أقول، إنّ الحياة فيها أشياء أخرى غير واقع الكتّاب المزري وثقافتهم السّطحيّة، أشياء أجمل وأبهى، لا بدّ أن أجد طريقاً لتجربتها، وعُمُراً جديداً لأتذوّق وأستمتعَ بطعمها. أعتقد أنّ الانشغال بالكتابة فقط وبأهل الفكر في عصري أصبحَ أمراً يجلبُ الكثير من الملل والاكتئاب. فما الّذي يفعله كلّ هؤلاء الكتّاب سوى أنّهم مقيّدون أمام حواسيبهم يكتبون ويبثّون شكواهم وأحزانهم وأفكارهم إلى ما لا نهاية

وينتظرون أن يستضيفهم أحد ما في برنامج إذاعيّ أو تلفزيوني أشدّ تفاهة وسطحيّة ممّن يرضى بهذه المهزلة المشينة! في كثير من الأحيان أسأل نفسي هل هناك عالم آخر خارج منظومة هذا الحرف الّذي فقد وهجه وسحرَه؟ لا بدّ أنَّ السّعادة ليست محصورة فيه فقط وبدون أدنى شكّ! إنّني كلّ يوم أرمي ثوبَ الكتابة والحروف، وأمحو وأحذف ما أكتبُ، وأجرّبُ الكثير من الأشياء. أجرّبُ أن أكتبَ بشكلٍ آخر غير الجلوس أمام الحاسوب، وغير قراءة الكتب والأوراق وما إليها: فأنا أحبّ الطّيور مثلاً، وأسعى إلى تعميق علاقتي بهم وبعوالمهم، علّني أخرج من حرف الكاتب السّجين، وأدخل إلى حرف الطّير الطّليق. هذه بالنّسبة لي سعادة من نوع آخر، وعالم جديد أرغب في دخوله، فمن يدري ربّما دلّني الطّيرُ عليّ، وعلّمني من أكون:

((كثيرٌ عليّ يا مولاي
أن تحدّثِني اليومَ النّوارسُ
وأراها فوقَ عرشِ السّرّ
تشدُو وتغنّي
وتكسِرُ بلَحْنٍ شجيٍّ
بيضَ الحرفِ
لتُرِيَني مُخَّ المعنى
ونشربَهُ معاً كاملاً
ساعةَ التّسبِيحِ الأكبَر!
*
كثيرٌ عليّ يا مولاي
أن تكشِفَ لي صلاةَ النّورَسِ الملكيّ
وتدْعوَني عند الفجرِ القُطبِيّ
لأنضمّ إلى جوقتِه المُجنّحَة
كيْ أعزفَ عند النّبع الصّافي
أنشودةَ القلب المُشْتعل
بينمَا طيور اليمام من حولي
ينظرون مندهشينَ إلى يدي اليُمنى
تنغمسُ في البحرِ الأخضَر
ولا تبْتلُّ
ويدي اليُسرى تدخلُ في اللّهبِ الأزرق

ولا تحترقُ!

*

كثير عليّ يا مولاي
أنْ أسافرَ على جناح الغُربة
إلى فيافي الارتواء
وأرى اسمَكَ الأعظم منقوشاً فوق الماءِ
وهو يحدّثُني ويقول:
إنّي أنا ربُّ الماء
والنّار واللّهب
وربُّ الرّوح والقلب
صاحبُكِ الأزليّ
فتعالي واقتربي منّي
أكثر فأكثر!))

67). ما رأيكِ بأدب الحوار حول السَّلام وترويج أدب وثقافة السَّلام وتعميمها في كل أنحاء العالم؟!

أعمق الحوارات هي تلك الّتي تكون مع النّفس، لأنّها تحرّرُ الإنسانَ من مكبوتاته وأحزانه وأفكاره وتساعده على الرّؤية بشكل أوضح: لا يُمكنُ لإنسان لا يُحاورُ نفسه أن يسعى لمحاورة غيره، وهذا يعني أنّ الهدف الأساس يجب أن يكون تحقيق السّلام الذّاتي أوّلاً ثمّ بعد ذلك الانطلاق من أجل تحقيق السّلام والتّواصل بالمحبّة والوئام مع الآخرين، والأفضل البداية بالأقربين والجيران والأصدقاء، ثمّ توسيع الدّائرة تدريجيًّاً إلى أن تشمل المجتمع الأكبر والأسرة الإنسانيّة. وإذا كان الإنسانُ من أصحاب الفكر، فإنّه ملزم بأن يشحذ قلمه من أجل خدمة قضيّة السّلام، عبر الكتابة عن السّلام وأهله وحكاياته والعِبر المستقاة منها، والرّوائيون معنيون أيضاً بهذه المهمّة الجليلة، يجب أن يكتبوا للنّاس عن قصص الحرب والحبّ، أن يوثّقوا ما حدث في عصرنا الحالي من حروب في فلسطين والعراق وسوريا واليمن وغيرها من الدّول، يجب أن يدخلوا إلى عمق المعاناة الإنسانيّة، بمشرط طبيب لمعالجة الجراح والتّخفيف من المآسي الّتي عانى منها ومايزال إنسان هذا العصر القاسي والأليم.

100). كلمة أخيرة، تريدي أن تقولينها حول السَّلام، وأدب الحوار حول السَّلام لتحقيق إنسانيّة الإنسان!

من بركات هذا الحوار حول السّلام وفكره وثقافته، أنّني أنجزتُه في وقت قياسيّ جدّاً، ربّما لا يتجاوز الشّهرين، وأنا الّتي كنتُ أعتقد أنّني أحتاج لعام أو عامين كما حدث في الجزء السّابق من (رحلة المئة

سؤال وجواب) الأولى، على الرّغم من شواغلي الإبداعيّة والثّقافيّة المتراكمة لليوم بين يديّ! ومن بركاته أيضاً هذه الرّوح الوثّابة الّتي كتبتُ بها صفحات هذا العمل، وطاقة من الفرح والهناء تلفّني وتولجني كلّ يوم أكثر فأكثر في عوالم السّلام. لأجل هذا أقول لصحبي في الحرف، جرّبوا هذا النّوع من الحوارات، إنّه يرفع حقّاً إلى سماوات الملكوت، ويملأ العقل بالطّاقة والسّعادة، ويغمر الرّوح بالنّور. ولكم أقول في الختام شكراً لأنّكم رافقتموني في هذه الرّحلة بقلبٍ محبّ مفعم بالبهاء، وشكراً أوّلاً وأخيراً للأديب صبري يوسف الّذي اقترح الرّحلة، وجعل من السّفر تحليقاً نحو السّمو والرّقيّ والكمال.

مقتطفات من تعقيباتي على بعض أجوبة هذه الرّحلة

1). عن الجواب رقم 01:

الأديبة المبدعة والنّاقدة والمترجمة الرّاقية: د. أسماء غريب،

قرأتُ ردَّكِ: رؤية عميقة، فلسفيّة، روحيّة، أعمق ممّا يعرفه المرء عن السَّلام، يبدو لي واضحاً أنّني وُفِّقتُ جدًّاً عندما اخترتُكِ لهذا الحوار بعد حواري الأوَّل معكِ حول تجربتكِ الإبداعيّة والنَّقديّة والتَّرجمة، ويبدو لي أيضاً أنّكِ تمتلكين طاقة روحيّة إيجابيّة سلاميّة وئاميّة عميقة الغور والإدراك والوعي، كم أشعر بالفرح عندما أراكِ تغوصينَ في أعماقِ تساؤلاتي، حتَّى أنّكِ تفاجئيني في رؤاك الّتي جاءت تحلِّل الكثير ممَّا لا يفهمه البشر للوهلة الأولى، أو لا يستدرك أعماقك في الكثير من الأحيان، فنحن البشر أو البشر والإنسان لديه طاقات خلَّاقة عميقة الغور، لو علم كيف يغوص في كنهها ويسبر غورها سيكتشف ما لا يعلمه الكثير الكثير من البشر، إنّني بدأتُ أجد في إجاباتكِ في هذا الجزء من حواري: حول السَّلام العالمي، فائدة قصوى للإنسان والإنسانيّة ممّن غاب عنهم الكثير من معالم وفضاءات السَّلام الّذي ممكن أن يحقِّقونه وهو غائب عنهم تماماً بحسب مفهومهم السّطحي للسلام، وهكذا أجدني أمام غوص عميق في رؤاكِ وتحاليلكِ ووعيكِ وثقافتكِ الرّوحيّة الشّاهقة، وكم يزدادُ اعتزازي بك وبفكرك الخلّاق يوماً بعد يوم، واكتشفُ فيك ما كان بعيداً عن مرامي تساؤلاتي، حيثُ تغوصينَ في أعماق الجواب من محاور كانت حتّى غافلة عنّي في بعض تفاصيلها، لكنّي كنتُ ومازال في قرارة نفسي أبحث عن هكذا إجابات، لأنّني أرى أنَّ الحياة الّتي يعيشها الإنسان بعيدة كلّ البعد عن الوئام الإنساني والسّلام الكوني الّذي أتوخّاه وأتمنّاه، كما أنّني أرى وكأنَّ الإنسان: إنسان هذا الزَّمان غائب في منزلقات التِّيه والضِّياع عن جوهر الحياة، بدليل أنّه غائص في الحروب والقشور والمال بشراهة غير معقولة وترك بهاء السَّلام والفرح والفضيلة والعدالة والمساواة والحب والنَّعيم، مركّزاً على جانب واحد وحيد وهو السَّيطرة والغش والعنف والحرب والقتلِ، إلى درجة أنَّني أرى نفسي أمام وحوش كاسرة للكثير من البشر، وتبدو لي أنيابهم بادية للعيان، خاصّة عندما يفترسون بعضهم بعضاً أكثر ممَّا تفترس الحيوانات المفترسة الكائنات الحيّة بوحشيّة شنيعة!

2). عن الجواب رقم 10:

تكتبُ أسماء غريب، الأديبة المبدعة الموغلة في الرّهافة والبراءة، كمَن يكتب على الماء الصّافي الزُّلال، كأنّها مبرعمة من هفهفات نسيم الصَّباح البكر، ومن هديل اليمام، وينبعث من مرامي حرفها ومخيالها براءة الماضي الموغل في مسارات بوح الطُّفولة، وهي طفلة كبيرة ، طفلة في روحانيّتها الشَّاهقة نحو زرقة السَّماء الصَّافية، تشبه أزاهير الحنين وهو ـ أي النِّسيم ـ يهدهد بسمة الصَّباح. كم أشعر بالزُّهوِ والفخر والاعتزاز أنّني أهمس لهذه القامة الخلَّاقة بهذه التَّساؤلات، كي استنهضَ ما في معالمها من تجلِّيات، حتّى أنّه يُخيّل إليّ أنّني أعرف هذه الكائنة المبدعة منذ آلاف السِّنين، كيف يشعر الإنسان هكذا شعور في عمق الزَّمن، وهل الزَّمن عند المبدع ينفرش على مصراعيه مثل خياله الجامح على مساحات الكون والأزمنة الغابرة؟

وحدَه المبدع الشَّاعر الفنّان، الفنَّانة الشَّاعرة المبدعة، وحدَها الكلمة الحرف الكتابة تبقى شامخة على وجه الدُّنيا! ... بدأتُ أشعر بعمق أنَّ الكتابة هي الأبقى من كلِّ كنوز الدُّنيا، الآن في هذه الثَّواني أشعر أنَّ هذا الحوار وما قبله وحواري مع الذَّات هي كنوزي الَّتي لا يضاهيها كنز آخر على وجه الدُّنيا!

دمتِ متألّقة وشامخة شموخ الحرف الخلّاق، مع عميق بهجتي وامتناني أيّتُها المبدعة في تجلّيات الحرف والخيال والصَّفاء والبهاء، دمتِ طفلة وديعة شامخة أيَّتها الأديبة المبدعة د. أسماء غريب!

3). عن الجواب رقم 11:

لو دقَّقنا في إجاباتكِ، عبر حواري في الرّحلة الحواريّة الأولى حول إبداعك الأدبي والفنّي، وعبر هذه الرّحلة حول السَّلام العالمي، وعبر أدق تساؤلاتي، نجد أنَّ لديك أفكاراً مبهرة جديدة حديثة غير مطروقة، وهذا ما يميّزك عن غيرك ممّن يحملون القلم، ففي هذا الجواب لمست فكرة بديعة لم أرَها عند أي مفكِّر أو باحث أو كاتب آخر، وهي أنكِ كلّما كبرت، أصبحتِ أكثر نقاءً وعمقاً ووعياً ورصانةً ودقَّة وحصافةً، ولا تعتبرين الطُّفولة هي المعين والخزين الأوَّل للمبدع، فإنّك كائن رصين في مراقبة كلّ يوم من حياتكِ وأنتِ والحرف صديقان من لون بسمة الشّمس وبهاء السّماء، تشبهين عذوبة الماء المتجدّد في الصَّفاء في كل يوم، ينبوع فرح وحب وبهاء وعطاء وبحث عن أبجديات الخير والفضيلة والإبداع الرَّصين، في كل جواب أكتشف فيك منارات جديدة مخبوءة في عالمكِ وغافلة هذه المنارات عن الكثير الكثير من البشر، وأكثر ما يجعلني أن أغوص في عالمكِ الرَّهيف هو هذا الشَّغف المبرعم في كينونتك المعبّقة بخصوبة الأفكار المتجدِّدة، وهذا ما يجعلني أن أتوغّل عميقاً في هذه المنارات وأكتشف ما في دنياك من خصوبة إبداعيّة فكريّة تحليليّة نقديّة رهيفة وشاهقة للغاية، فأنتِ كنز ثمين في عالم الكلمة الخلّاقة والفكر الخلّاق! ربّما لم يلاحظ الكثيرون أنّكِ إضافة إلى كونك: أديبة، ناقدة، مترجمة، وتشكيلية، أنّكِ حقيقة الأمر باحثة عميقة ومفكّرة من العيار الصّافي، لأنّك تشتغلين بعمق على مراقبة وتحليل الذّات الجوانيّة ومتطلّباتها الفكريّة وشغفها وطموحها وآفاق رؤاها، وهذا ما يجعلك دائمة البحث والتَّمحيص والقراءة والمقارنة والنَّقد، وهذا ما يجعلك أيضاً في حيرة من أمرك إزاء ما لديك من رؤى غزيرة في الحياة، وهذه الحيرة تتمحور في كيفية تقديم ما لديك للحياة قبل أن ترحلي من الحياة، ولهذا أيضاً أراك غزيرة الإنتاج وعميقة الفكر وباحثة ماهرة عن ذاتك المتناغمة مع روحك وقلبك وطفولتك، وأنتِ طفلة بديعة في صفاء روحانيّتك وفكرك الصّافي صفاء المطر الهتون المتهاطل من مآقي السّماء، وكل هذا يؤكّد لي أنَّك باحثة عريقة ومفكّرة مجتهدة في رؤيتها ورؤاها في الحياة، لأنَّكِ فهمت الحياة من منظور عميق للغاية وهذا ما يجعلني أشعر أنَّني عثرت على كنزٍ ثمين هو أسماء غريب! أجل أنت باحثة مرموقة في بحوثكِ عبر أعماق الذَّات ذاتكِ، ومفكِّرة شكّاكة شكّاً إيجابيّاً فيما يتوجّب الشّك فيه، وعبر شكّكِ وتمحيصك ودقّة رؤاك وتجلّيات تحليلك لأكبر وأصغر الأمور، تستطيعي أن تصلي إلى نتائج مذهلة ومدهشة وراقية وغير معروفة لدى الكثيرين، وهذا

ما يجعلك أن تكوني في المقدِّمة فيما تذهبين إليه. كم أشعر بالفرح والبهجة أنّني عثرتُ عليكِ في هذا الزَّمن الضّحل، اللّاهث خلف ترّهات الحياة، كي أغوص في أعماق تساؤلاتي وأتركك تنثرين دُرَرَكِ الثَّمينة ونفائسك على وجه الدّنيا، وكم أشعر في بعض الأحيان أنَّكِ أنا، أو أناكِ تتقاطع مع أناي في الكثيرِ من تحاليلكِ، فهل نحن البشر لدينا رؤى متعانقة مع بعضنا بعضاً ولا ندري، وهل تتواصل هذه الأرواح مع بعضها في صيغة سؤال أو رؤيا أو تحليل؟! .. أسئلة كثيرة تراودني ممكن أن ندرجها في سياق تساؤلاتي معك عبر هذه الرِّحلة الفسيحة حول السَّلام العالمي والسَّلام مع ذواتنا نحن البشر في زمنٍ غدا الكثير من المبدعين والمبدعات والمفكِّرين والمفكِّرات يلهثون نحو الشّهرة الفضفاضة والغنى الزّائل، حيث أراني في قرارة نفسي أنّني عبر رحلتي الحواريّة هذه من أغنى أغنياء الكون! .. وأنتِ تعزّزين من خصوبة هذا الغنى عبر إجاباتك الرّحبة الّتي ستبقى ساطعة كإشراقة الشَّمس على وجه الدُّنيا!

4). ردّ وتعقيب عن الحوار كمفهوم عام:

رحلة موفّقة حافلة بالتّجلّيات الإبداعيّة في تدفُّقات رؤاك الصَّافية صفاء المطر المتهاطل من مآقي زرقة السّماء، أتمناها لكِ في غوصكِ العميق في التَّعبير عن آفاقكِ الشَّاهقة المجنّحة نحو أبهى يراعِ الصّفاء والسُّموِّ والرّقي ودقّة التّحليل والولوج إلى أعماق ما يجول في خاطرك من أفكار ورؤى وتحاليل تصبُّ في آفاق السَّلام والمحبّة والفرح والوئام بين البشر كل البشر، لعلّنا عبر هذا الحوار نحقّق الأهداف المنشودة في أدب الحوار ونقدِّم معاً الفائدة المرجوّة للقارئ والقارئة، ونعمِّم فكرة أدب الحوار، لأنّنا الآن أحوج ما نكون للحوار مع ذواتنا ومع بعضنا ومع الكون، لأنّني أرى أنَّ البشرية غائبة كليّاً عن أدب الحوار مع الذَّات ومع الآخر، فهي أي البشريّة والبشر في معظم الأحوال منغلقين على ذواتهم ولا يعبّرون عمّا في دواخلهم، بحثاً عمّا يفيد الإنسان والإنسانيّة وعمَّا يفيدهم أفراداً وجماعات، ممّا أدى هذا التَّجاهل إلى كل هذا التَّداخل والتَّناحر بين الشّعوب والمذاهب والأقوام والقارّات، فولدت الصِّراعات وتنامت الحروب بين البشر، لعدم تفهُّم البشر لذواتهم أولاً ولذوات الآخرين ثانياً، ونحن كبشر برأيي ذاتٌ واحدة منشطرة ومبرعمة إلى ملايين ملايين الذَّوات، لهذا عندما نتواصل مع الآخر كأنّنا نتواصل مع ذواتنا المنشطرة والمبرعمة عنَّا أو عن البشر أنفسهم عبر ملايين السّنين، ونحنُّ لهذه الذّات مثل حنين الطّفل إلى صدر أمه وطفولته وحياته في كنف محبّيه.

هذا الحوار حول السَّلام العالمي، حوار مع الذَّات ذاتي، لأنّني أشعر وأرى وأقرأ إجاباتكِ، كأنّكِ تحلّلين ما في أعماقي في الكثير من الأحيان، وأعماق ملايين البشر ممَّن لا يستطيعوا بطريقة أو بأخرى أن يعبّروا عن أنفسهم، لهذا أشعر بغطبة وفرحٍ وسعادة عميقة، كلّما أقرأ لكِ ردّاً على كلِّ سؤال أسألك إيّاه، حتّى أنّني أشعر في قرارة نفسي أنّ هناك عشرات بل مئات الأسئلة ممكن أن أسألها إيّاك من خلال إجاباتك، وما ينسحب علي ممكن أن ينسحب على الكثير من المتابعين والمتابعات، فيراودهم عشرات الأسئلة

أيضاً، وهكذا نكون عبر حوارنا قد خلقنا تفاعلنا مع أنفسنا ومع الآخر ومع الكون المحيط بنا، لأنّنا الآن وغداً وفي كل حين، أحوج ما نكون لهكذا حوار، لأنّه يفتح آفاقنا على ما كان غائباً عنّا على مدى قرون من الزَّمان! فلماذا لا نغوص في أعماقنا الرّهيفة ونقدِّم تساؤلاتنا وإجاباتنا على طبق من فرح ومحبّة وسلام للبشر كل البشر وبطريقة وئاميّة، لعلّنا نحقِّق الأهداف المنشودة لإنسانيّة الإنسان، ونترك بصمةً على وجه الدُّنيا تليق بنا كبشر بطريقة إبداعيّة وخلّاقة قبل أن نحلِّقَ عبر أرواحنا في زرقة السّماء؟!

5). عن الجواب رقم 24:

الأديبة والمترجمة والنّاقدة الخلّاقة د. أسماء غريب،

إنَّ هذا الحوار حول السَّلام العالمي، هو فعلاً حوار مع الذّات ومع الآخر ومع الكون برمّته، حوار مع ذواتنا نحن البشر كلَّ البشر، فعلينا أن نحمل في أعماقنا كل قيم الخير والمحبّة والسَّلام بأرقى معانيها وتجلِّياتها ونقدِّم لأنفسنا وللحياة أصفى وأغنى وأرقى ما عندنا، وإلّا فأنّني أرى الحياة خاوية لا معنى لها، فما فائدة الإنسان عندما يأتي إلى الحياة ويرحل دون أن يترك أثراً طيّباً ونامياً سلاميّاً مفعماً بالعطاءات الإنسانيّة والمحبّة والكلمة الطَّيّبة؟ وما فائدة كل هذا الخراب الّذي نراه يسود في الكثير من بقاع الدُّنيا وأغلب مراكز القوى وعواصم الكون واقفة صامتة صمت الموتى؟! إنّي أرى وألمس في إجاباتكِ الكثير ممّا يموج في ذاتي، وفي خيالي، وفي أبهى تجلّياتي، نحن البشر نحتاج إلى الكلمة الخلّاقة الّتي تقودنا إلى السَّلام بأصفى معانيه، وأرى أن دين الإنسانيّة، وقوميّة الإنسانيّة، وقارّة الإنسانيّة، وهدف الإنسانيّة وطموحها الأبقى في الحياة هو السَّلام والوئام بين البشر كل البشر، لهذا سيبقى السَّلام هو أوّل اللُّغات وآخر اللُّغات كما جاء في سياق إحدى مقالاتي ونصوصي، وبدون هذه الآفاق الوئاميّة لا يمكن أن تعيش البشريّة في حرّيّة وهناء وفرح ووئام مع بني جنسها، لهذا على كلِّ البشر أن يسعوا جاهدين لتحقيق السَّلام، كل في موقعه، وسأبقى أسعى لنشر ثقافة السَّلام والوئام بين البشر حتَّى آخر رمق في حياتي، وسأبقى أحاور الآخر وأسعى لتحقيق مرامي السَّلام إلى أن تصل كلمتي إلى البشر، حتَّى ولو وصلت بعد رحيلي بآلافِ السّنين! لأنَّ هدفي من السَّلام ليس محصوراً ضمن الفترة الّتي نعيشها، بل هدفي هو أن يصبح السّلام هدف الإنسان أينما كان، الآن .. وإلى الأبد! وهل هناك أبد لا نهائي وأزلي في الحياة، أم أن هناك نهاية للدهر والحياة؟!

دمتِ متألقة في توجُّهاتك وتجلّياتك الرّاقية، وكم أشعر بالفرح والغبطة والوئام مع نفسي ومع الحياة من خلال هذا الحوار معك حول السّلام العالمي لأنّنا ننشر رفرفات أجنحة السَّلام بكلِّ محبّة وعطاء من أجل البشر كلّ البشر، وهذا هو الهدف الأسمى من وجودنا على وجه الدُّنيا!

6). عن الجواب رقم 54:

تكتب الأديبة المبدعة د. أسماء غريب، حرفها بماء الذّهب الصّافي، بالنَّدى، بالماء الزُّلال، بهفهفات هبوب النّسيم، بإشراقة الشَّمس، بانبعاثات أحلام الطُّفولة، بصفاء زرقة السّماء، ببسمة النّجوم وهي تضيء حنين الرّوح إلى البيت العتيق، تكتب وكأنّها في حالة حلمٍ مفتوحٍ على فراديس النَّعيم، رحلات حرفها تموج بغبطة الرُّوح وهي في أرقى تجلِّياتها، تموسق حرفها على إيقاع المحبّة والسَّلام والفرح المنبعث من نور الأزل، تنسج حبورها بحرفٍ مكتنز بماء الحياة، لأنّها تجسّد عبر غوصها في دنيا الحرف الحياة بعينها، بكلِّ جوهرها وصفائها، أشعر وكأنّني عثرتُ على جوهرة نادرة في هذا الزّمان، جوهرة متلألئة بأزاهير الوئام بين البشر، ترفرفُ مثل يمامة بيضاء فوق وجنة الحياة، مفروشة الجناحين وهي تعبر البحار بحثاً عن ضياء الرُّوح المبرعمة في كينونتها منذ الأزل، أسماء غريب رسالة فرحٍ وحبٍّ وعشقٍ للحياة، للحرف، للسماء، للكون، لأجيالٍ قادمة على مدى الأزمان، روحها ترفرفُ فوق قبّة الحياة مثل شجرة وارفة الأغصان، تظلِّلُ أحزان الدُّنيا، تناجي حزانى هذا العالم كي ترسمَ بسمة الحياة فوق وجوههم التَّائهة في تلافيف الغمام، يرتشفُ حرفها حبره من نسغ المحبة المتهاطلة من لدنِ السَّماء، تكتبُ حلماً ساطعاً فوقَ خدودِ اللّيل، أسماء غريب قصيدة مفتوحة على أجنحة الكون، مجنّحة نحو أقاصي حنين السّماء، رسالة مبرعمة من هدوء اللّيل ومن شهقة الصَّباح ومن زخّات المطر، مطرٌ منساب فوق طين الحياة، تكتب حرفها وهي في أوج شموخها مع ضياء السَّماء، كأنّها في حالة حبورٍ مفتوح على جنان الخلد، تشبه أشجار الجنّة، يتناثرُ حرفها مثلَ ينبوعٍ صافٍ فوق خدود الأطفال، طفلةٌ من لون السَّوسن والياسمين الدِّمشقي، أسماء غريب غابة فرحٍ مسكونة بأزاهير مهجة الرُّوح وهي تتصاعد نحو بركات الأعالي، هي بركة السّماء عبر حبر القصيدة، لونُ المحبّة الصَّافي صفاء الحلم المنساب من مآقي السّماء، تنسجُ حرفها من طين السَّلام وهي في أوجِ صفائها الرّوحي، يرقص قلبها ألقاً وضياءً كلّما تبرعمَ حرفها فوقَ خميلة اللَّيل في صباحٍ باكر، تناجي الكائنات بلغةِ أريجِ الزُّهور، وخيوط الشّمس وهدهدات المطر عبر اخضرار القلب، وتجسّدُ حرفاً من لون الحلم الغافي فوق أهازيج الرّوح الملأى ببخور المحبّة المنبعثة من جفونِ الأعالي، أسماء غريب مبدعة نادرة من لونِ المحار المزهرة في أعماق البحار، هديّة من نورِ الشَّمس إلى زمنٍ يزدادُ انشراخاً، كأنّها جاءت كي تخفِّفَ من حدَّةِ الانشراخ، وترسمَ في أوج تجلِّياتها طريقَ القصيدة المنساب نحو أبهى مرامي الوئام بين البشر!

7). عن الجواب رقم 66:

الأديبة والنّاقدة والمترجمة المبدعة د. أسماء غريب، غالباً ما كنتُ أطرح أنَّ السّاحة الشَّرقيّة العربية من المحيط إلى الخليج، تفتقر إلى سدِّ النّقص الكبير في مجال النّقد، ولا يتوفّر متخصِّصين أكاديميّين في مجال النّقد بما يكفي للمبدعين والمبدعات في التّخصُّصات والأجناس الإبداعيّة، وقد أشار أكثر من كاتب

وروائي وشاعر أنَّ هناك بعض الكتّاب الفاشلين في الكتابة الأدبيّة تحوَّلوا إلى نقّاد، فقد وجدوا في الكتابة النّقديّة طريقة سهلة للخروج من فشلهم، ومن باب الطرفة كانوا يقولون عن هكذا نماذج من النّقاد، إذا كانوا كتّاباً فاشلين في الكتابات الأدبيّة، فكيف سينجحون في الكتابة النّقديّة، لهذا أحياناً كانت تأتي كتاباتهم كردود فعل من بعض المبدعين والمبدعات، أو تكون قراءاتهم النّقديّة ناجمة عن حالة تصفية حسابات أو ردود فعل انتقاميّة، أو قراءة مزاجيّة يحلِّل فيها رؤيته كما يريد هو: النّاقد، وليس كما يجب أن يتم التّحليل، وهكذا وجدنا في الكثير من دول العالم العربي ظهور موجة من النقّاد غير المتخصِّصين أو حتّى بعض المتخصِّصين، غير قادرين على قراءة نقديّة تحليليّة دقيقة، فتأتي قراءاتهم هشّة وكأنّهم يتحدَّثون عن شخص آخر غير الكاتب والشّاعر والرِّوائي الّذي يتحدَّثون عنه ويحلِّلون نصوصه وأعماله، وأحياناً يشعر المبدع وكأنَّ النّاقد يتحدّث عن مبدع غيره وليس هو رغم أنَّ ما قاله المبدع هو كلام جميل ويرغب كل أديب الحديث عنه بهذا الجمال والكلام الطَّيّب، لكن السُؤال لا يتعلَّق بالجمال بقدر ما يتعلّق بكيفية تحليل النّص ووضعه على مشرحة النّقد البنّاء والخلّاق، لأنَّ النّقد نفسه رؤية إبداعيّة أكثر ما يكون كلاماً جميلاً ومعسولاً ووصف كلام! وبهذا السِّياق أودُّ التّأكيد على أنَّ هناك قلّة قليلة من النُّقَّاد الأكاديميّين الَّذين يقدِّمون دراسات نقديّة عميقة ورائدة في النَّقد والتَّحليل، فقد حظيتُ حقيقةً بناقد عراقي بديع هو النّاقد د. محمّد صابر عبيد بقراءة تحليليّة نقديّة لثلاث روايات من رواياتي وخمس وعشرين قصّة من قصصي، والأجزاء العشرة من أنشودة الحياة، فقد قدّم دراسات نقديّة عن أدبي الرِّوائي والقصصي والشِّعري بطريقةٍ شعرت بدهشة وفرح ومتعة غامرة وأنا أقرأ ما جاء في تحاليله وقد أصدر عن أدبي السَّردي كتابا نقديَّاً بعنوان: جدل الذّاكرة والمتخيّل، مقاربة في سرديَّات صبري يوسف، كما قدَّم كتاباً نقديّاً عن نص أنشودة الحياة بأجزائه العشرة وأصدره ضمن كتاب نقدي بعنوان: ستراتيجيّة النّص المفتوح، حركيّة الفضاء وملحميّة التّشكيل، كم شعرت أنَّ النّاقد محمد صابر عبيد عميق الرُّؤية في تحاليله ونقده حيث يغوص عميقاً في منعرجات النّص، قصّة كانت أو رواية أو نصَّاً شعريّاً، وكأنّنا أمام عمل أدبي في طريقة عرضه تحاليله النّقديّة، حيث يمتلك رؤية عميقة في التَّحليل والتَّمحيص والنّقد بطريقة أكاديميّة عميقة، مقسّماً قراءاته النَّقديّة إلى فصول دقيقة، مدرجاً رحيق ما جاء في أدبي أو أدب أيّ مبدع يقوم بدراسة تحليليّة نقديّة عنه، ولكن كم من النّقاد والنّاقدات بهذا الحجم، ممكن أن نرى في العالم العربي، فهناك نسبة كبيرة ممّن طرح نفسه ناقداً أو ناقدة ربّما ليس لهم أيّ علاقة بالنّقد والتَّحليل، وكم أشعر بأنّني حظيتُ بقراءة نقديّة من قبلكِ، حول أدبي فيما يخصُّ أدب السَّلام وأدبي بشكل عام شعراً وروايةً وقصَّةً وحواراً، أدهشتني دراستك العرفانيّة حول أدبي وفنّي، وظللتُ طويلاً ومازال مندهشاً من طريقة دراستك العرفانيّة حول تجربتي الأدبيّة والفنّيّة، ولا أنسى يوم اقترحتِ عليّ أن أكتبَ مقدِّمةَ هذه الدِّراسة، وشعرت أنّني أمام مسؤوليّة كبيرة، فكيف سأقدّم كتاباً نقديّاً بهذا الحجم الرَّاقي والعميق، وهو يتحدّث عن تجربتي! أتذكَّر في حينها ظلَلْتُ في حيرةٍ من أمري، هل ألبّي طلب النَّاقدة أم أعتذر عن كتابة المقدِّمة، لأنّني في حينها شعرت في بادئ الأمر أنّني غير قادر على تقديم هكذا كتاب نقدي سواء كان عنّي أو عن غيري،

لكنّي أثناء قراءتي الثّانية له، وضعتُ بعض الأفكار حول الكتاب، وبدأت أكتب وجهات نظري فيما جاء في الكتاب وبعد مراجعتي لما كتبته مرّة ومرّتين وثلاث مرات، عدت وعمّقت قراءتي ومقدِّمتي، فجاءت منسابة وكأنّها أحد فصول الدِّراسة النَّقديّة وفي اليوم الثّالث وبعد أكثر من عشر مراجعات وقّعتُ على المقدِّمة، ووجدتها مناسبة لتقديم هكذا كتاب، ولا أخفي على القارئ والقارئة أنّني لأوّل مرة أجد من يدخل في أعماق أعماقي في قراءة نصّي، مثلما دخلتِ عبر قراءتك العرفانيّة البديعة! وكم فتحتِ لي مغاليق كانت غامضة عليّ قبل قراءة رؤاك النَّقديّة العرفانيّة عن أدبي وفنّي، وجاءت منسجمة مع آفاق انسياب حرفي ولوني بدقّة متناهية وكأنّكِ غِصْتِ في أعماق كينونتي وتجلّيات خيالي وجموحي وتدفُّقات انبعاث النَّص، وهذا يقودني إلى القول، كيف سنجدُ هكذا نقّاد من طينتِكِ وطينة النّاقد محمّد صابر عبيد، ونقاد آخرين ممَّن لهم مكانتهم في النَّقد أمام العديد من النُّقاد الّذين لا يحملون رؤية نقديّة دقيقة، ولا أيّ عمق في تحليلهم سوى حفظ بعض المصطلحات واستخدامها بطريقة هشّة وغير دقيقة وبعيدة كلّ البعد عن فضاءات عوالم المبدعين والمبدعات!

8). عن الجواب رقم 90:

الأديبة المبدعة د. أسماء غريب،

خالص التّهاني القلبيّة، لكل ما قدَّمتينه من تألّق وإبداع في إجاباتك، التّسعين والمئة قريباً، كم أشعر بالفخر والاعتزاز لهذا التّفاعل والتَّجلّي في الحوار، حتَّى أنّني أشعر أنَّ تساؤلاتي حملت في الكثير من ثناياها ما يمكن أن نكتب عنه مجلَّدات، وكم كنتِ بديعة ومبدعة في اختزالك وتحليلاتك وإجاباتكِ، حتَّى أنّني شعرت وكأنَّ الحوار، أشبه ما يكون حواراً مع الذّات، وهذا ما يجعلني سعيداً في دقّة السُّؤال عندما أجد رهافة الإجابات وتدفُّقات مدهشة ومنسابة من رحيق قلمكِ وآفاق رؤاكِ، كما أنّني بدأتُ أشعرُ أكثر فأكثر بأهمّيّة أدب الحوار، لهذا أجدني منفتحاً ومخصّصاً مساحة طيّبة من كتاباتي لأدب الحوار سواء مع الذّات ذاتي أو مع ذوات الآخرين، ونحن البشر كلّ البشر نحتاج إلى حوار مع الذّات، ألف سؤال وسؤال! سواء شفهيّاً أو كتابيّاً، قبل أن نحاور الآخرين، لأنَّ الّذين لا يحاورون ذواتهم غير قادرين على حوار الآخر، وكم كنتُ أشعر في قرارة نفسي خلال رحلة حواري مع الذَّات أنّني أحاور الآخر، كما شعرت بنفس الوقت أنّني عندما كنتُ أحاوركِ أيّتها المبدعة الرّاقية د. أسماء غريب، كأنني كنتُ أحاور ذاتي، وهكذا تكتمل معادلة أدب الحوار في تحقيق الهدف المنشود!

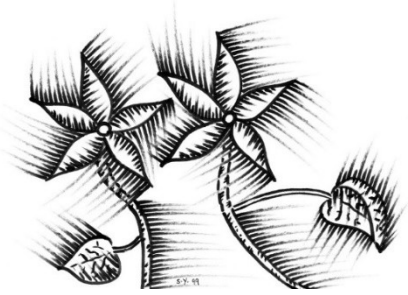

رحلة المئة سؤال وجواب بجزئيه
رحلة فسيحة عابقة بكلِّ مرامي صنوف الإبداع!

أدهشتني الأديبة المغربيّة المبدعة أسماء غريب منذ أن قرأتُ لها النّص الأوّل، ورحتُ أغوص رويداً رويداً في فضاءات كتاباتها إلى أن استحوذت على اهتمامي العميق لكلِّ الأجناس الأدبيّة الّتي تشتغلُ عليها بحرفيّة عالية، كم وجدتها مخلصة وصادقة ومترهبنة في كتاباتها بصبرٍ وصفاء ومصداقية نادرة في هذا الزّمان، وكل هذا قادني إلى أن أتوقّف عند تجربتها الإبداعيّة عبر أكثر من مسار، ثمَّ بدأتُ أخطِّط لرحلة حوارية فسيحة لعلّي أقدِّم عبر هذا الحوار الجواهر النّفيسة الّتي لم نلحظها أو نتلمَّسها عبر قراءاتنا لأعمالها وممكن أن تبوح بها عبر هذا الحوار الّذي شمل معظم تجربتها في عالم الحرف كي أقدّم للقارئ العزيز والقارئة العزيزة فرادة تجربة هذه المبدعة الخلّاقة على أكثر من مسارٍ إبداعي!

تكتبُ الأديبة المبدعة والمترجمة والنّاقدة د. أسماء غريب حرفها كأنّه منبعث من وهج السّماء وحنين الأرض لهلالات حبق السَّلام والفرح وبهاء القلب، مبدعة مجبولة من طينِ المحبّة، مصهورة بأبجديات سموِّ الرّوح وهي تتصاعد نحو أرقى تجلّيات صفاء الحرف وهي تنقشُه فوقَ وجنةِ الحياة، وأشبه ما تكون بهبوب نسيم الصّباح المندّى بالخيرات والبركات عندما تناغي عبر شموخ خيالها رحاب خميلة الإبداع، كأنّها كائنة مترهبنة لجمال الفكر الخلّاق، ونهرٌ يتدفّق فوق الأرض العطشى كي تسقي القلوب العطشى لما تتوق إليه الرُّوح من أهازيج المزامير الّتي تبلسم صباحنا ويومنا ومساءنا.

إنّ أكثر ما أدهشني في أدب وتحليل ونقد وشعر وترجمة وإبداع أسماء غريب هو هذا الغوص والشَّغف العميق فيما تشتغل عليه، حيث أراها كأنّها جزء لا يتجزّأ من المواضيع الّتي تطرقها وتعالجها وتدرسها وتترجمها وتكتبها، وتمتلك طاقات روحيّة فكريّة ومخيال شاهق، يجعلها أن تجسِّد رؤاها بطريقة شفيفة هادئة وعميقة وكأنّها في رحلة فرحيّة نحوَ بوَّابات النَّعيم. أرى أسماء غريب وكأنّ لها جناحَين قويَّين يرفرفان عالياً كلّما أرادت أن تبحث عمّا تحبكه في مسارات حرفها المغموس من أحلام الرّوح المنبلجة من ذهنٍ صافٍ متوقّدٍ ومتطهّرٍ من شراهات الحياة، حيث تغرفُ من أشهى ما يموجُ في أعماقها من بذورِ الخير والحبِّ والوئام كي تزرعه فوقَ طينِ الحياة عبر مهاميز حرفها الّذي تغدقه علينا من مآقي السّماء!

تشتغل الأديبة الخلّاقة أسماء غريب عبر كل جنسٍ أدبي بطريقة رهيفة كأنّها في سياق بناء عمرانٍ شاهق ومتمركز على أسسٍ متينة بكلِّ ما في أصول السُّموّ والعلوِّ من صنوف البنيان، فلا تترك شاردة وواردة إلَّا

وتتوقّف عندها برهافةٍ عميقة وتدرسها بحرفيّة عالية ثمَّ تصيغ حرفها كمن يشتغل على صياغة الذَّهب والياقوت وأغلى ما في الحرف من بهاء وابتهال كأنّها في سباقٍ مع الجمال في جمال الحرف والكلمة والفكر لأنّها تعتبر الحرف معراج طريق الكلمة إلى أقاصي الأرض والسّماء!

تتميّز المبدعة أسماء غريب برقيّ آفاقها وتطلُّعاتها ومن خلال تواصلي مع إبداعها وتعاملي معها فيما يخصُّ ترجمة ديواني السَّلام أعمق البحار وتقديم دراسة عن أدبي وفنّي حول رحاب السَّلام، وجدتُ في شخصيّتها الإبداعيّة تجلّيات باسقة في البحث والتّقصّي والدِّراسة والتَّحليل والتَّرجمة، وعندها باع مدهش في المتابعة بطريقة أشبه ما تكون مترهبنة للإبداع والكلمة الطّيّبة في الحياة، وقد انبثق من هذا العناق الإبداعي من كلا الطّرفين الكثير من المشاريع الإبداعيّة الّتي ولدت من وحي خصوبة ما تقدّمه وأقدّمه، حيث كنّا ومانزال نستلهم من عوالم بعضنا بعضاً إبداعات غير مخطَّط لها، فجاءت من وحي اللّحظات الرَّهيفة الّتي تحرّضنا على البوح عميقاً فيما يخصُّ تجلّيات هواجسنا في تدفُّقات بهجة الحرف، فولد نص شعري من نصوص أنشودة الحياة من عوالم هذه الأديبة السّامقة، كما ولدَ هذا الحوار نفسه استكمالاً لما في كياني من شغفٍ عميق للولوج في أقاصي البوح، فيما يراودها من غوصٍ في آفاق الحرف من أسرار الكلام، وقد جاءت المشاريع المشتركة دون أي تحضير من جانبي، وولدت من وحي تجلّياتي الرُّوحانيّة وشغفي في ترجمة ما ينتابني من قراءة ما تكتبه وتدرسه وتترجمه وتحلّله وما تحمل من آفاق روحيّة عرفانيّة متعانقة مع أجنحة السَّلام والمحبّة والفرح والوئام الإنساني، وهذا ما قادني إلى إجراء الحوار الثّاني أيضاً فيما يخصُّ السَّلام العالمي ولِمَا وجدتُ في عالمها من فضاءات خلّاقة، وكنتُ أشعر وكأنّي أخاطب نفسي أو أحاور نفسي في بعض التَّساؤلات أو أخاطب طاقة منفتحة على جفون اللَّيل الحنون، بحثاً عن أحلامنا المتصاعدة عالياً نحوَ زرقةِ السَّماء!

أسماء غريب مبدعة شاهقة في فضاءات تحليقاتها، تكتب حرفها من خلال تجربة صافية في بناء القصيدة والقصّة والنّص والتَّرجمة والتّحليل والحوار، كأنّها في حالة تماهي عميقة مع خبز الحياة، حيث تولد إبداعاتها صافية ومقمّرة بخبز المحبّة والأصالة والغوص في بواطن الحرف وفتْح وسبر مغاليق ما يكتنفه من أسرار عبر كافّة مسارات الانبعاث، فتأتي كتاباتها حصيلة عملٍ دؤوب فيه من المتعة والرّصانة والعمق والتَّجلّيات، ما يغمر القارئ والقارئة فرحاً وفائدةً من فضاءاتها المفتوحة على شهقات الانبهار!

أبهجني للغاية هذا الحصاد المثمر مع الأديبة أسماء غريب، حوار عميق بجزئيه الأوّل والثّاني، غوص في لبِّ القصائد والأدب والفن والفكر والتَّأويل وبزوغ روعة التّرجمات بكلّ خصوباتها، وحنين الكلمة إلى تلألؤات نُجيمات الصَّباح، رحلة المئة سؤال وجواب بجزئيه رحلة فسيحة عابقة بكلِّ مرامي صنوف الإبداع!

***

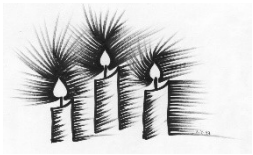

السيّدة كُرْكُم

رواية عرفانيّة موغلة في عوالم الكواكب والنّجوم

قرأت رواية "**السّيدة كُركُم**" الصّادرة في كانون الأوّل (ديسمبر) الماضي 2019، عن دار الفرات للثقافة والإعلام، للأديبة المغربيّة المبدعة أسماء غريب بشغفٍ على مدى يومين متتاليين، وسرّني ما جاء فيها من رؤية روحيّة، محلِّقة في فضاءات النُّجوم والكواكب، ثمَّ قرأتها للمرة الثّانية ما بين عيد الملاد ورأس السّنة، وشعرتُ أنّني بحاجة لقراءتها لما فيها من سردٍ غني بالأحداث على لسان شخصيّات عديدة، موزّعة ما بين صقلية، الأرض وفضاءات السّماء، ثمَّ عدتُ وقرأتها في بداية السّنة الجديدة 2020. وفي كلِّ مرّة كنتُ أكتشف فضاءات ورؤية جديدة فيما تريد أن تقوله عبر سطور وما بين هذه الرّواية، لأنَّها تحملُ تجلّيات عرفانيّة ورموز متعدِّدة وعميقة الغور، وهكذا أعمال روائيّة تتطلّب قارئاً خاصَّاً له باع طيّب في استقبال هذه الثّقافة الرّوحيّة، وإلّا فلا يستطيع استيعاب فضاءاتها الرُّوحانيّة، والّتي حبكتْها الرِّوائيّة بطريقةٍ سرديّة سلسة ومكثّفة بطاقات روحيّة ورمزيّة متنوِّعة، تمنح القارئ وهجاً إبداعيّاً ثقافيَّاً فكريَّاً معرَّشاً بأسرارِ الكثير من الرّوحانيات الّتي لا يسبر كنهها الكثير من البشر غير الملمّين بمعاني وعوالم هذه الفضاءات.

رواية "السَّيدة كُركُم" مسروجة بفكرٍ رهيف عبر أحداث مبتكرة من خيالٍ موغلٍ في التَّناغم بين انبعاثات وهج السَّرد وتجلّيات الفكر الرّوحاني الَّذي بثّته الرِّوائيّة في حنايا الأحداث، وقد استطاعت أن تغوصَ عميقاً في سردِ وعرضِ أفكارها بلغةٍ سهلة وعميقة، ونسجت حوارها وبنائها الفنّي بأسلوب سلس، سهل الفهم وبعيد عن التّعقيد، عبر زمانٍ ومكانٍ فسيحَين، فقد امتدَّ فضاء سردها ما بين الأرض والكواكب ومجرّات السّماء، كأنّنا في رحلة حلميّة مفتوحة على مساحات المدى، أشبه ما تكون تدفُّقات حلميّة، فجاءت الأحداث مفاجئة في الكثير من منعرجاتها السَّرديّة، ولكن الكاتبة استطاعت أن تمسكَ بمتاهاتِ الخيوط المتشعّبة دون أيّ قلقٍ على مسارِ تنامي سيرورة الأحداث، وكأنَّ الأحداث ساطعة في مخيالها موقفاً موقفاً وحدثاً حدثاً لما في عرضها للأحداث من تماسك وسلاسة وتناغم، حتّى أنّها جعلتني أن أسرحَ معَ فضاءاتِها وكأنّني في رحلةٍ حلميّة، وأدهشتني آفاق خيالها، وفضاءات سردها لما في هذه الانبعاثات

من رؤية عميقة في روحانيّتها وتمكّنت أن تمسكَ بخيوطِ سردِها بمهارةٍ عالية، وأسعفتها لغتها الرّشيقة وخيالها الخلّاق، وقد قدّم الرّواية الأديب العراقي د. كريم حميد الدرّاجي، معنوناً تقديمه: "كشوفات السيّدة كُركُم من النّقطة إلى الكواكب والنّجوم"، ملخّصاً مضمون الرّواية عبر مقدّمته، مشيراً إلى أنَّ الرِّوائيّة عرضتْ عبر سردها الأفكار الّتي تراودها عبر شخصيّات الرّواية، مركِّزةً على الجوانب المادّيّة والفكريّة والرُّوحيّة، وحلَّقت في فضاءات الأحداث وعوالم الكواكب والأجرام السَّماويّة، بطريقة شيّقة، وقدّمَت رؤية فنّية عبر أحداث عملها الرِّوائي حول ماهيّة وجوهر الإنسان من خلال وجوده على الأرض وما ينتظره في السّماء، وركّزت على مدينة صقلّية الإيطاليّة كانطلاقة من المكان الأرضي لما لها من مكانة خاصّة في قلبها، كأنّها أمّها الثّانية، ولما فيها من قداسةٍ وبُعْدٍ روحيّ، وقد أرادت أسماء غريب عبر روايتها أن تعمِّق السَّلام الرّوحي والإنساني في قلب الإنسان الّذي يعيش فترةً من الزّمن على الأرض، كما ركّزت على توازن المرء مع ذاته وتفاعله مع أسرته ومجتمعه وتعاضده مع حياة الآخرين، وقد غاصت عبر روايتها في أعماق كينونة الإنسان، ونجحت في عرض آفاق رؤاها وأفكارها وتطلّعاتها الرُّوحيّة العرفانيّة عبر شخصيّة السَّيّدة كُركُم، الّتي تشبه شخصيّة الرّوائيّة من خلال الجموحات الرّوحيّة الّتي جسَّدتها في فضاءات متون الرِّواية، وكأنَّها تقدِّم آفاق رؤاها كما تراها وتتخيّلها للقارئ والقارئة عبر أحداث عملها الرِّوائي، وقد قسّمت الرّواية إلى 17 فصلاً حملت العناوين التّالية:

1). لا زمان ولا مكان
2). الإمبراطورة فُوكُس
3). الشجرة ذات المئة حصان
4). أمير جبل البركان
5). بلوتو
6). في كوكب البسملة
7). دمعةُ اللُّبان
8). في قصر الملك غولْيِيلمُو
9). رقصة النّار
10). بالّارو
11). حينما تُكلّمُني ألسنة اللّهب
12). بكِ أبني صرحيَ الجديد
13). المائدة الثَّالثة
14). كمّثرى القدّيس يوحنّا
15). إكسير الحياة

16). أطلانتس

17). الكابوس الأخير

لو أمعنا النّظر في كلِّ فصلٍ من فصول الرّواية لوجدنا تحليقات مجنّحة نحو أقاصي الخيال، ونجدُ كيف انطلقت من مدخل روايتها من اللّازمان واللّامكان من حيث المفهوم الرّمزي للزمان والمكان، ويبدو أنّها اعتبرت أنّ فضاءات روايتها غير محدود وهو ممتد إلى كلِّ الأزمنة وكلّ الأمكنة، ولهذا عنونت الفصل الأوّل: **1). لا زمان ولا مكان**، فهل قصدت أن روح الإنسان ليس لها زمان ومكان محدَّدين بقدر ما هي ممتدّة على مدى مفتوح منذ الأزل حتّى الأزل، أم أنَّ لديها ترميزات أخرى؟! في هذا الفصل نجدها تقول:

"صقلّية أيّتُها الملكةُ المُتَوّجَة بالنّونِ القَمَريّة، في أيّ زمان تعارفْنا وبأيّ مكان التقينا وأنتِ الّتي تتوجّدُ في حضرتِكِ الأزمنةُ والأمكنة؟! لستُ أدري، فمُنذُ وضعتُ قدمَيَّ فوق ترابكِ الأخضر المدهامّ، انمحقَ زماني واختفَى مكاني وبقيتُ بكِ جامعةً لكلّ حرف، وحاضنةً لكلّ قلبٍ يُوحِّدُ اللهَ خارج كلّ قيْد وخِرْقةٍ وجدار. وإنّي لأذكرُ جيّداً كيفَ عرفتِني ونادَيْتني من بحرٍ إلى بحرٍ، راهبةً متبتّلةً في محراب الأبجديّة، فجئتُكِ وقد كلّلتُ هامتي بالنّقطة المُحَمّديّة، وعمّدتُ قلبي بعِطرِ الزّنبقة العيسويّة، ودثّرتُ جسدي بلحَاء شجرة الغار المُوسَويّة، وقلتُ لكِ: حنانيْكِ يا صاحبتي في العِشْق والوَجد، جئتُكِ بحراً وفي أرض الغرباءِ أصبحتُ مُحيطاً، وجئتُكِ أميرةً وبالحرفِ صرتُ سلطانةً، لأنّ صاحب الشّأن الأعظم شاء لي أن أدخل أرضكِ وأنثر فوقها بذرة العلوم اللّدنيّة لتصبحين بي وأُصبِحَ بكِ من أهل الحضرة الهاهوتيّة. .... انمحاق الزّمان والمكان كان أوّل ما تعلّمْتُهُ منكِ ....".

ثمَّ تتابع وتصف صقلية وصفاً حميميًّاً، تسترجع الأيام الخوالي بمتعة غامرة، وكأنّها أمّها الثّانية لما يربطها في هذه المدينة المقدّسة من حفاوة وصداقة وذكريات مشبّعة بالكثير من تجلّيات ضياء الرُّوح، هذه المدينة الّتي رصّعت جبينها بالمحبّة والصّفاء والعطاء حيث تقول:

" ..... وقد غدوتِ يا صقلّية أمّي الّتي أرضَعتْنِي من لبن حرفها الصّافي الزّلال الحكمةَ والصّبرَ والجلَدَ. وكما أنتِ لي نِعْمَ الأمّ، أنا لكِ نِعْمَ الابنة الصّبورة والخلوقة والدّارسة والباحثة الغزيرة الحرف والعطاء." .

تنطلقُ الرّوائية من رحاب صقلية، تبني فضاءَها الرّوائي بكلِّ ما لديها من محبّة ودفء وعناق روحي وفكري وإنساني، تجمحُ بكلِّ ابتهالٍ في وصفِ عطاءات صقلية المكتنزة بنور القداسة، وتختتم حديثها في نهاية هذا الفصل عن تمجيد صقلية وتعتبرها مدينة المدائن، بكلِّ ما فيها من علومٍ إنسانيّة ورحيّة راقية، ولما في طبيعتها من جمالٍ خلّاب، وتراها مدينة مقمّطة بجمال الحرف السّاطعِ فوقَ منارةِ الزّمن، وشموخِ الاخضرار على مساحت مفتوحة حتّى آفاقِ المى، والأشجارِ الباسقة تظلّلُ أرجاء المكان خيراً، حيث تقول:

" ... وكُنْتِ تمسحين بيديْكِ الكريمتَيْنِ فوق رأسي، وتُقَبّلين جبيني ثمّ تقولين لي: ((كلّ محيطاتِ الكون هي لكِ يا ابنة أطلانتس المجد والبهاء، أستجلبُها إلى أرضي لترتميَ بين يديْكِ، فغوصي فيها متى أحببتِ، واغرفي منها ما شئتِ من العلوم، واقطفي من أشجارها الدرّ والمرجان، وتمنطقي من جبالها بالزّبرجد والزّمرّد، وتعطّري بالعود والصّندل واللّبان، وأوقدي الشّموع وأشعلي البخور، واجلسي فوق بساط الحرف وحلّقي به من بلد إلى بلد في جزيرتي، ومن حيّ إلى حيّ في باليرمو، عاصمة المحبّة والكشف والفرقان، واسأليها عن الشّريف الإدريسيّ، وابن حوقل تُجِبْكِ بلسان الفصاحة والبيان، وتدلّك على ما لمْ يَبُحْ به إنسيّ ولا جان، فالأوّل جدُّكِ بالنَّسب والثّاني رفيق رحلتكِ من قُطر إلى قُطر في الأرض كان أو في البحر أو بين سبع سماوات قد يعجزُ عن وصفها اللّسان!))." .

توزّعُ الرّوائيّة فضاءات سردها إلى فصول مرقمّة تحمل عناوين متعدِّدة، فلا أرى أي فصل أو قطع بين الفصل الأوّل والثّاني، لأنّه جاء استكمالاً لما جاء في الفصل السّابق، ولم يكُنْ مستقلاً في فضائه، لهذا أجد في تدفُّقات غريب وكأنّ عملها تدفُّقٌ مفتوح على فضاء الإبداع، حتّى وإن جاء السَّرد موزّعاً ومقطَّعاً إلى فصول وعناوين معيّنة، لكن في العمق هو نصّ واحد وفصل واحد يحمل فصولاً فرعيّة، وهذا يشير إلى أنَّ الكاتبة كانت في حالة انبعاثيّة في فضاء حرفها وما كانت تفكّر في الفصول والمقاطع والأفكار بقدر ما كانت في حالة ابتهاليّة لتوارد انبعاثات حرفها، فقد جاء في بداية الفصل **2). الإمبراطورة فُوكُس:**

"وكنتُ أسمعُ كلماتكِ تلك، فيتحرّكُ المحيطُ الّذي بداخلي وتتهامسُ حورُهُ العين ببديع الكلام، ويبدأنَ في الظّهور الواحدة تلو الأخرى، ويفرشن لي البساط المزخرَف بماء عين الشّفاء البَلَرْمِيّة، وما إن أركبُه حتّى أجدني في حديقة تحار في وصفها الأقلام، وأراه هناك أسداً شامخاً، أسأله من أنتَ؟ فيقول: نيكولاي بالشيسكو حاجبُ هذه الجنان، وإنّها لهناك في انتظارك، جوهرةُ حدائق كلّ زمان ومكان، فألتَفِتُ إلى حيثُ أشار بسبابته فأراها شجرةَ تين عملاقة لم يُخلَق مثلها في البلاد وما إن أقتربُ منها وأقفُ بجسدي بين أغصانها العميقة والضّاربة في كلّ الاتّجاهات حتّى يَنْفتح باب عظيم في جذعها الكبير وتجذبني منه بسرعة البرق يدٌ فضّيّة لأجدني بعدَ ذلكَ وسطَ قلعة كبيرة فُرِشت بالزّرابي الزّرقاء المزخرفة ببديع النُّقوش والألوان.".

وتصف في المقطع التّالي كيف رحّبت بأرچانة، معتبرةً إيّاها صاحبة القلب الصّافي المكتنف بالاخضرار والعطاء، وصاحبة القلب النّاصع، ثمَّ عرّفتها على رجلٍ في غاية الوسامة والبسالة، كي يكون دليلها في رحلتها العرفانيّة والتي ستبدأ من كوكب بلوتو، ففرحت أرچانة بهذا التَّرحيب، ثم بدأت تشرح لها الكثير من المعلومات المتعلِّقة بعائلتها:

"وحينما رفعتُ إليها عينيّ إذا بها تبتسمُ ابتسامة خلّابة وتقول: ((أهلا بأرچانة سيّدة الأسماء، صاحبة الأيادي البيض، والقلب الأخضر الرّائي الوالج في الأماكن والأزمان والمحلّق بين سماء وسماء. إنّني

السّلطانة فوكُس، أبلغ من العمر مائتي وتسعة عشر عاماً، وهذا إلى جانبي قائد القوّات المجنّحة جوزيف بيتروسينو، وأنتِ هنا بيننا نِعْم الابنة والأديبة، نُرَحّبُ بك أيّما ترحيب، ونُعلنُ بين يديْكِ محبّتنا كما أعلنَها قبلنا بمئات السِّنين الملك رودجيرو الثاني لجدّك ابن سبتة أبي عبد الله محمد الإدريسيّ القريشيّ الهاشميّ...))." . .....

"وقبل أن تنهي كلماتها التَّرحيبيّة رأيْتُ واقفاً إلى جانبها رجلاً وسيماً ... . قائلاً: ((أنا هنا يا سيّدتي لأكونَ رفيق إقامتكِ في هذه المدينة، وقد عيّنتني السّلطانة فوكُس دليلاً ومرشداً روحيّاً لمعظم أسفارك العرفانيّة الّتي لا بدّ لها أن تبدأ من كوكب بلوتو))." .

يتدفَّقُ السَّرد بلغةٍ عذبة وشاعريّة، مفعمة بالمحبّة والوقار، فاستقبلتْ أرجانة هذا الموقف برحابة صدر وارتسمت البسمة على شفتيها وكأنّها في حضرة أقرب المقرّبين إليها، وردَّتْ تعبِّرُ عن فرحها لما لاقته من استقبال حميم:

"ابتسمتُ في وجهه بأدبٍ وخشوع متناهيَيْن ثمّ سألتُهُ: ((ولماذا علينا أيّها الشّريف الإدريسيّ أن ننطلق من كوكب بلوتو؟ ما أعرفه أنّ بلوتو كُوَيْكب صغير ليس إلّا، بل حتّى صفة الكوكب هذه نزعها العلماء عنه منذ سنين!))." .

وسرعان ما جاء ردُّ الإدريسي دقيقاً وسريعاً وحاسماً، مؤكّداً على أنَّ هذا الانطباع عن هذا الكويكب يدلُّ عاى عدم معرفتهم للقيمة ومكانة هذا الكويكب وأهمّيّته في الدّورة الشمسيّة، إذ قال:

"((جهلُهم بحقائق الكواكب العلميّة والعرفانيّة هو الّذي دفعَهُم إلى ارتكاب هذه الحماقة، ومهمّتنا نحن الآن هي أن نُصَحّحَ بأمر من صقليّة خطأَهم الجسيم هذا، ونُعيدَ لبلوتو ونحن المقيمون في البعد الكونيّ التّاسع مكانتَه الجديرة به ودورَه الحقّ داخل المنظومة الشّمسية)) عقّبَ الإدريسيّ.". ...

ثمَّ تختتم السّاردة في نهاية هذا الفصل بكلمة وداع طيّبة، قائلة:

"((وداعاً يا أمّي الخضراء، سنلتقي بعد نهاية هذه الرّحلة العجيبة، لكن ابقي معي بقلبك الرّؤوم، ولا تخرجي أبدا من مقام المراقبة إلى أن أعود إليكِ سالمة غانمة من كلّ رحلة وسفر أجوب بهما الأقطار والبلدان المتفرّقة فوق ترابك الّذي لا يحدُّهُ زمان ولا مكان))." .

وبعد رحلة طويلة راحت السّاردة تقول في مستهل الفصل الثّالث الّذي حمل عنوان: **3). الشّجرة ذات المئة حصان**، ها قد وصلنا وفي استقبالنا الملكة جوفانا:

"ها قد وصلتُ والإدريسيَّ المُبجّل يا أمّي الحبيبة، وها هي جوفانا الأولى ملكة بيت المقدس وصقلّية في انتظارنا أمامَ شجرة الكستناء العريقة الّتي تبلغ من العمر ثلاثة ألف عام أو ربّما أكثر، ..".

ترسمُ الرِّوائيّة خيوطَ سردها برشاقةٍ شيّقة، وهي تجوب بين الكواكب والنّجوم عبر شخصيّات روايتها وتعرض رؤاها على ألسنة شخصيّاتها الّتي بنتها بكلِّ دقائقها وتفاصيل حوارها، خلال رحلتها العجائبيّة عبر رحابِ محطّاتها غير المتوقّعة، فيتوه القارئ في فضاء المفاجآت الّتي يصادفها في حيثيات السَّرد، وهو يقرأ بمتعةٍ ما ينساب من فضاءات خيالها وأفكارها الفسيحة، وراودني وأنا أقرأ الرِّواية، كيف تمكّنت الكاتبة أن تمسكَ بكلِّ هذه الأفكار والخيوط المتشابكة في عوالم روايتها وتحبكها بكلِّ هذه السَّلاسة والتّفاصيل غير المتوقّعة، وتحافظُ على رشاقة حرفها وانسيابيّته، وهي تقول في بداية الفصل: **4). أمير جبل البركان:**

"ما أظنّني سمعتُ بمثل بلاغة هذا الأمير الفاتن أيّتُها الشّمسُ المغربيّة، وإنّي لأعتقدُ أنّني عرفتُ من يكون؛ إنّه صاحب الإثنَي عشر نزولاً إلى كوكب الأرض بأمرٍ من الرّحمان، وإني لأظنّه بعُمر الكونِ أو أكثر، وأذكر أني رأيتُهُ أوّل ما رأيتُه في بابل أثناء نزوله الخامس إلى الأرض ...".

وفي مقطع آخر تُطَمئنُ أرچانة كي لا تقلق أثناء رحلتها الطّويلة أثناء لقائها مع العابدِ، والزّاهدِ، والعارف، والوليّ والتَّقيّ، والخازنِ وعزازيل وإبليس، خلال رحلتها إلى بلوتو إذ تقول:

"أيّتها العارفة الجليلة أرچانة قد عرفتِ الآن من هو رفيق رحلتنا إلى بلوتو: إنّه ملكُ عوالم الموتى والجحيم، صاحب بوابة جبل إثنا ووادي ديمونه، فلا تفزعين من الأمر، فإنّنا في صحبة العابد في السّماء الدّنيا، والزّاهد في السَّماء الثّانية، والعارف في الثّالثة، والوليّ في الرّابعة، والتّقيّ في الخامسة، والخازن في السّادسة، وعزازيل في السّابعة، وإبليس رئيس القوات المسلّحة السّفلية في اللّوح المحفوظ." ...

تجنحُ عوالم السّرد نحو فضاءات غير متوقّعة، ويشعر القارئ أنّه إزاء أحداث غير مفهومة تارةً، وغريبة عنه تارةً أخرى، فتدهش القارئ عمّا يصادفه من مفاجآت خلال رحلتها السَّرديّة الرّحبة، فنجدها في بداية الفصل **5). بلوتو**، تسأل عمّا تعني وتتضمّن النّقطة من مضامين:

"أتعرفُ من تكونُ النّقطة يا أبا عبد الله الإدريسيّ؟ إنّها الّتي خرجت منها كلُّ الأقمار والشّموس، وهي الّتي بها ظهر أيضا قمرُ بلوتو، وظهرت بها هذه الأبجديّة الّتي عبرَها نخطّ للتاريخ تفاصيل رحلة الرّوح تحت إشراف وعناية الإله العزيز ربّنا وربّ العالمين أجمعين".

إنَّ الأفكار الّتي طرحتها أسماء غريب في فضاءِ سردها الرِّوائي، ممكن أن نستوحي منها العديد من القصص والرِّوايات والكتب، وهذه الرِّواية تقدّمُ فكراً عرفانيّاً صوفيّاً روحيّاً، موغلاً في الخيال المرتكز على جموحات روحيّة، لهذا أراني إزاء رواية تحمل بين دفَّتيها خصوصيّة فكريّة وتجلّياتيّة فريدة من نوعها، وقلّما نجد عملاً روائيّاً يتطرَّق إلى هكذا آفاق فكريّة، ما لم يكن الرّوائي / الرّوائيّة يحمل بين أجنحته هذه الرُّؤية الصُّوفيّة العميقة الّتي تتميّز بها الأديبة المبدعة أسماء غريب، فنراها تتطرّق في هذا الفصل **6). في كوكب البسملة،** كيف وصلوا إلى كوكب بلوتو بعد رحلةٍ طويلة إذ تقول:

"ها قد وصلنا إلى بلوتو يا حفيد الملك إدريس وسيّداً من سادة دولة بني حمّود الأندلسيّة، وها هو شمسُ نائيل قد تسلّم مقاليد مهمّته الكوكبيّة الجديدة بعد أن اكتمل تكوينُ جسده الأثيري منذ أزيد من عشر ألف سنة على وفاته الأولى، ولتستمعِ الآن إلى ما هو بصدد قوله لنا وهو يطلعنا على بعض أسرار مركبته الزّرقاء الّتي ما رأيتُ في تقدّمها وصنعتها لليوم مثيل، انظر إليه جيّداً وهو يصف لنا أجنحتها البلاتينيّة الستّة، وانظر إلى رؤوسها الأربع، رأس أسد ورأس ثور، ثمّ رأس صقر ورأس إنسان، إنّها تذكّرني بالعربة الّتي رأيتُها ذاتَ كشفٍ منقوشةً في خاتم سليمان، والخاتمُ كما تعلمُ يا رفيق أسفار القلبِ ما هو سوى رمزٍ لقوّة الأنا الّتي بها سيُقرّرُ الإنسانُ الجديد أفكارَهُ ومشاعره وأفعاله، وهي مفتاح الجسد الّذي به يُمكنُ الوصول إلى تاج المجد، ليُصبحَ الإنسانُ ملكاً في عوالم الرّوح وأبعادها الذّهبيّة....".

وفي سياق هذا الفصل نرى كيف تنتقد الرّوائيّة، لقب المعلّم الّذي يطلقونه على ما لا يناسب المعلّمين، ويطلقون لقب الدّكتور على مَن لا يناسبه هذا اللّقب، فهي ترى أن المعلِّمين والعلماء يفهمون جوهر الله ويقدّرونه حقّ قدره أكثر من الفقهاء، لهذا تندهش عندما ترى أهل العلم يطلقون عليه دكتور بينما هو أقرب من العلم والمعلّم منه إلى الدُّكتور، لكنّي أرى أنّ هذه مجرّد درجات علميّة، أكثر من كونها ألقاب ودرجات دينية أو لاهوتيّة، وكيفما كان اللّقب على هذا أوذاك، المهم أن يكون أصحاب الألقاب متمكّنين من تخصّصاتهم ويقدّمونها علومهم الدينية والعلمية بطريقة سلسة وراقية، وقد قالت في هذا السّياق ما يلي:

"كان اسم معلّمي الأوّل "الفقيه" أحمد، وإنّي لأستغرب كيف كان النّاس ينادونه بـ"الفقيه" وهو الّذي لم يكن له من مظهر الفقيه التّقليديّ أيّ شيء: لم يكن يلبس الجلباب، ولا يضع العمامة فوق رأسه، ولا حتّى البلغة المغربيّة الصّفراء في قدميْه. وكان في المقابل يرتدي بلوزة طويلة بيضاء، وسروالاً رماديّاً وحذاء من البلاستيك الأسود. كان يبدو طبيباً أكثر منه معلّماً أو فقيهاً. وكانت تُغلِّفُ عينيْه نظرةٌ مفعمة بالدّهشة والسّؤال، أمّا قلبه فكان بوسع المحيطات أو ربّما أكبر. ما تعلّمتُ منهُ الحروفَ، ولكن النّقاط والأرقام، وهذا يعني أنّني دخلتُ للحرفِ من باب النّقطة والرّقم، وإنّي لأعتقد أنّ النّقطة هي

الأسبق في الوجود من الحرف، وأنّ هذا الأخيرَ تكوّن من الرّقم، الّذي به يتوازنُ الكونُ، وهذا ما يُفسّر كيفَ أنّ مَنْ أوكِلَتْ إليْهم مهمّة المساهمة والحرص على عمليّات خلقِ الكون ضمن منظومة كوكب شمس الشّموس المُطلق كانوا من الكيروبيّين العلماء المجنّحين في الرّياضيات والفيزياء والكيمياء التّخليقيّة ولم يكونوا فقهاء أو رجال دين، ولأجل هذا فإنّ العلماء هُم من يقدرُ اللهَ حقّ قدره وليس الفقهاء، وإنّي لأتساءل لليوم كيف حدث أن انقلبت الآيةُ وأصبح الفقهاءُ يلقّبون بالعلماء، وأصبح أهل الرّياضيات والفيزياء والعلوم الحقّة الأخرى يُلقّبون بـ"الدّكاترة" أو بألقاب أخرى مماثلة! ..".

لقد تأثّرتْ الرّوائيّة منذ نعومة أظفارها بكلِّ ما هو روحاني وعرفاني، وكان لها رؤية عميقة وتفاسير مدهشة في الكثير من القضايا الرُّوحيّة وهي طفلة، وكأنَّ قلبها وروحها وعقلها متنوِّر بالفطرة، ويبدو وكأنّ لديها طاقة خلّاقة في كينونتها منذُ طفولتها وولادتها، وترعرعت هذه الطّاقة إلى أن أصبحت عرفانيّة صوفيّة عميقة التّحليل والتفسير في رؤاها ونقدها وآفاق انبعاث حرفها، وفي المقطع التّالي والحوارات الدّائرة عبر سردها دلالات وإشارات عميقة تؤكِّد دقّة ما أشير إليه:

"ومن الرّقم بدأتْ رحلتي مع الحرف. في المسيد أو الكُتّاب القرآنيّ، كان الحرفُ بالنّسبة لي أهمّ من الشّيخ محمّد نفسه، ولعلّ هذا ما يُفسّرُ عدم انشغالي بوجه شيخي الجديد ولا بشخصيّته كما فعلتُ مع معلّمي الأوّل أحمد. كان الحرفُ صديقي الأثير الّذي أدهشني بكلّ تفاصيله الظّاهرة والباطنة: لم أحبّه من النّظرة الأولى، وإنّما من اللّمسة الأولى والشّمّة الأولى. كان الحرفُ سائلاً بُنّي اللّون، وله طعم الطّين، وأحيانا أخرى رائحة الزّعفران ومذاق القرنفل. وكنت أغمسُ فيه نفسي بكلّ كياني، ألطّخ به وجهي، ويديَّ الصّغيرتين، وفي بعض الأحيان كنتُ أبتعد عن الفقيه وأنزوي في ركنٍ صغير من الكتّاب وأشربُ الحرفَ. ومنذ ذلك اليوم وأنا مسكونة به، أراه نقطة كبيرة سائلة في بحر الوجود، وأراه شمساً ذهبيّة منصهرة في سماء التّخليق، وأراه رقماً تُحرّكُ به المركبات والصّحون الطّائرة، وأراه أنَايَ الوجوديّة: لوحاً مُضمّخاً بالصّمغ، ينتظرُ أن يكتبَ فوقه اللهُ حكايتَه." .

إنَّ المقطع أعلاه يؤكِّد مدى انغماس الرُّوائيّة في فضاءات الرُّوح والنُّزوع الصّوفي وهي طفلة على مقاعد الدّراسة الأولى، حيث نراها كيف كانت تتوغَّل في فضاءِ الحرف بكلِّ عوالمه ومعانيه الرّحبة، دون أن يعلّمها أحد الكثير من التفاسير الّتي قدّمتها بسليقتها ومن وحي وعيها أو ذكائها الفطري، وكلّ هذا ساهم في أن تبني عالمها الرّوحاني المجنّح نحو فضاءات عرفانيّة عميقة التّفسير والمضامين، قلّما وصل إليها مجاييليها أو من هم أكبر أو أصغر منها، ونتلّمس في المقاطع التّالية المزيد من نزوعاتها الصّوفيّة ومعانقتها لوهج الحرف ودلالاته وهي ما تزالُ في باكورة عمرها، تتعلّمُ أبجديات اللُّغة:

"في المسْيَد الجامع كنتُ أحبّ كثيراً اللّحظات الّتي كنّا نغسلُ فيها اللّوح من الحرف، ثمَّ نضعها تحت قرص الشّمس لتجفّ ونستطيع أن نكتب عليها من جديد آيات أخرى من الذّكر الحكيم. كنتُ الطّفلة

الوحيدة بين عشر تلاميذ آخرين، وكان الفقيه محمّد يحبّني جدّاً، لدرجة أنّه أصبح يُجلسُني إلى يمينه فوق سجّادته الصّوفيّة، وحينما كنتُ أعود إلى البيت لم أكن أتحدّثُ لوالدتي كثيراً عن أجواء الكتّاب القرآني وعمّا كان يحدث بداخله، لأنّ الحرف كان يشغلني طيلة النّهار، فإضافة إلى عطره ولونه ومذاقه، كان يدهشني بحركته فوق اللّوح، كيف أنّه ينبسط حيناً، وينقبضُ أحياناً أخرى، وكيفَ يتقوّس ويتموّج، ويميل ويتغنّج، وكيف يتقعّر ويتحدّب، وكيف أنّ النّقطة حاضرة في كلّ تفاصيله فتارة هي واحدة أحديّة، وتارة أخرى هي ثنائيّة الحضور، أو ثلاثيّة الظّهور، وتارات أخرى هي فوقه أو تحته، وكم كنت أرقص من الفرح لكلّ هذه الحركات الجمبازيّة المُدهشة، لذا فإنّي أقول إنّ الحرف راقصٌ كبير، ويحتاج إلى من يشاركُه بالقلب رقصاته الوجوديّة والسّرّيّة الكبرى. وحينما كنتُ أخلدُ للنّوم كنتُ أرى رجالاً قصيري القامة، وبنظّارات طبّيّة يفتحون لي خزائن الحرف، ويطلعونني على بعض من ألواحه الكبيرة الّتي ما كنتُ أعرف كيف أقرؤُها وإن كانت بالخطّ العربيّ الأسود والسّميك الحجم، لأنّني كنتُ طفلة على عتبات الحياة ولا أعرف عن الحرفِ شيئاً. وإذا كنتُ قد نسيت لليوم الكثير من التّفاصيل عن علاقتي بالحرف الأوّل، فإنّني لم أنسَ أبداً سدَنَتَهُ، فهُم صحبي وخلّاني الّذين أحبّهم بكلّ ما أوتيتُ من عمق وطفولة، ويحبّونني بكلّ ما فيهم من حكمة وبصيرة وعِلم وتبصّر. مازلتُ أتذكّرُ كلّ شيء عنهم، زغبَ الذّقن الأشْيَبِ، ورُؤوسهم الحليقة المغطّاة بقبّعات بيضٍ صغيرة، ونظّاراتهم الطّبيّة الدّائريّة الشّكل، ثمّ السّلالم الخشبيّة الّتي كانوا يصعدون عليها ليفتحوا أدراج الخزائن وما فيها من العلوم المؤرشَفَة.".

نرى في المقطع السّابق كيف تنهض العوالم الطُّفوليّة في فضاءات بوحها، وتحبكها بطريقة متناغمة مع حفاوة السّرد كأنّنا أمام كاميرة تصوّر أحداث ما حصل بدقة متناهية، في مفاصل هامّة من بنائها الفنّي والفكري والرّوائي، فجاءت بعفويّة وسلاسة وظلّت هذه الأحداث الطُّفوليّة عالقة ومنقوشة في ذهنها، ثمّ انبعثت من اللّاشعور وهي تنسج روايتها بطريقة تداعيات الأحلام والرّؤية الخلّاقة، لهذا أمسكت خيوط وتفرّعات الأحداث رغم البعد الزّماني والمكاني فيما بين أحداث الطُّفولة ولحظات ولادة سطورها السّابقة واللّاحقة، وفيما يلي نجد في سياق سردها ما جاء في تدفُّقات أحداث الطُّفولة، ممّا يؤكّد لنا أن شخصيّة المرء تتشكّل خلال السّنوات الأولى، وتبقى هذه السّنوات البذور الخصبة لبناء شخصيّة وفكر الإنسان وآفاق طموحاته إلى أجلٍ طويل:

"وحينما كنتُ أستيقظ في الصّباح وبعد تناول وجبة الإفطار الأولى، كنتُ أذهب مباشرة إلى الكُتّاب، وهناك أجد الشّيخ محمّد ينتظرني وهو يشرب كأس الشّاي بالنّعناع الّذي تُقمّطُ رائحتُهُ كلّ أركان المسجد. وكالعادة كنتُ آخذُ لوحِي وأذهب للجلوس إلى يمينه، وقد تصادف مرّة أن كانت الآيةُ الّتي بينَ يديّ وأنا جالسة بالقرب منه تبدأ بـ"الم"، فسألني عنها وقال: "أتعرفين ما معنى هذه الحروف يا أرچانة؟" فأجبته: "لم يخبرني أحد بعد عن معناها"، فضحك وقال: "ولا أنا، وإنّما هي حروف تبتَدِئ بها بعض سور القرآن وفيها أسرار عظيمة". فعقّبتُ وقلتُ له بلكنتي الطّفوليّة: "لا أسرار ولا أيّ شيء،

وإنما هي أسماء". اهتزّ بدنه من الضّحك ثم عقّب قائلاً: "أتقصدين أنّ هذه الحروف هي أسمائي؟"، "لا يا شيخي الكريم، لا أقصد هذا، وإنّما أقول لك، إنّ هذه الحروف هي أسماء لأشخاص". بهتَ الشّيخُ وقال وقد بدأ يتفحّصني من قمّة رأسي إلى أخمص قدميّ: "كيف ذلك؟"، "الأمر بسيط يا شيخي، ألم تقل لنا في الحصّة السّابقة أنّ "طه" و"يس" مثلاً هما اسمان من أسماء سيّدنا النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الأطهار؟ إذن فالأمر بسيط، حتّى الحروف الأخرى هي أسماء لأشخاص وكذلك لأماكن أخرى لا نعرف عنها شيئاً".

حملق فيّ الشّيخُ طويلاً وقال: "من أخبركِ بهذا الأمر؟"، "لا أحد، إنّما هو استنتاج لا أقلّ ولا أكثر". قطّبَ الشّيخُ محمّد حاجبيْه، ثم قال: "دعينا الآن من هذه المسألة، واستظهري أمامي ما حفظتِه في الدّرس الماضي من آيات". بدأتُ في الاستظهار وعقل شيخي سابحٌ في مكانٍ آخر، وفجأةً نطقَ ثمَّ قال: "ماذا تقصدين بالأماكن والأشخاص؟"، "الأماكن هي مواقع لنجوم وأفلاك في المنظومة الشّمسيّة، والأشخاص هم ملائكة ورسل مجنّحين في ملكوت الرّحمن" قلتُ بسرعة فائقة. امتقع وجه الفقيه وقال: "لا بدّ أن تقولي الآن من أخبرك بكلّ هذا؟"، "لا أحد يا شيخي، وإنّما أشعر أنّني أعرف هذه الأشياء بشكل تلقائيّ". ابتسم وقال بحنان وتودّد: "لا عليكِ، اذهبي الآن، فيبدو أنّ هذا من تأثير ما يعرضونه عليكم في التّلفاز من رسوم متحرّكة عن النُّجوم والكواكب والأبطال الخرافيّين، مساكين أطفال هذا الجيل الجديد، وأنّى لهم أن يعرفوا معنى هذه الحروف والحال أنّه لليوم مازال النّاس لا يعرفون المعنى الحقيقيّ لها بمن فيهم كبار الجهابذة من الفقهاء القدامى والمحدثين".

مدهش للغاية ما جاء في المقطع السّابق وما يليه من سرد بديع مستوحى من فضاءات الطّفولة، وتبدو وكأنَّ هذه الأحداث مطبوعة في ذاكرة الرّوائيّة والّتي تسردها على لسان شخصيّة أرچانة، وهي شخصيّة الرّوائيّة السّاردة، وأرى من المهم جدًّا أن نتوقّف عند هذه الأحداث الأوليّة لما فيها من أبعاد في سياق السّرد وفي سياف الفكر الّذي قدَّمته الرّوائيّة في متون روايتها بكلّ دقائقها وتفاصيلها، حيث أرى أنَّ أركان الرّواية تنبني على هذه الرُّؤية البديعة للطفلة، والّتي ظلّت جامحة في أعماق الرّوائيّة حتّى لحظات انبعاث هذه الفضاءات بطريقة خاطفة، محفوفة بشهقات الحنين إلى براءة الأطفال وبراءة الكبار أيضاً، فما تزال تحمل ألق الطُّفولة في أعماقها رغم أنّها في أوج تألّقها الفكري والتّحليلي والنّقدي لكلّ فكرةٍ وحدثٍ، ولكن صفاء الطّفولة ظلَّ البنيان الرّصين والأرحب، الّذي تمركز عليه كل ما جاء بعده من تجلّيات فكريّة إبداعيّة شامخة:

"انتهت حصّة الاستظهار، وعُدتُ راكضة إلى البيت وقد نسيتُ ما دار بيني وبين الفقيه محمّد من حديث، وفي اللّيل وحينما كنتُ غاطّة في نومٍ عميق رأيتُ النّقطةَ، كانت غادة بجمال أخّاذ، وكانت جبهتُها موشومةً بنقاط كثيرة، وبخطوط متموّجة صغيرة، وبينما أنا مأخوذة بحُسنها الباهر، أُلقِي في

خاطري أنّ النّقطة قريبة من الماء، أو أنّها تعوم فيه، ومنذ ذلك الحين وأنا أرى النّقطة في الماء، والماء في النّقطة، وأراها الآن هنا وقد وصلنا إلى كوكب البسملة عطارد، فردّد معي أيّها الإدريسيّ صلاة الدّخول بالبركة والعطايا والهبات ونحن في حضرة سفير الكواكب إلى الإنسان والمتحرّكِ بباء بهاء الله وبرّه بأوليائه، وسين سنائه وسرّه مع أصفيائه، وميم مُلكه ومننه على أتقيائه، الحاملة للاسم الدّالّ عليه، وصِفتَيِ الجلال والجمال فيه، الّتي بها تتحقّقُ مراتب الوجود بأسره، وكيف لا والباء في هذا الكوكب إشارة إلى أن كلّ العوالم بالله موجودة، وهي له وليست لأحد غيره، وإلّا فكيف تفسّر كون الإنسان الكامل ما ينظُرُ إلى شيء إلّا ورأى الخالقَ فيه!

لا أعجب نهائيّاً من انبعاثات بوح الرُّوح، أجل، هذه التجلّيات متدفّقة من حنايا الرَّوح، لأنَّكِ كائنة مسكونة بالبراءة والمحبّة والخير والتّجليات الخلّاقة، صافية صفاء الطّفولة التي ظلّت تضيء أعماقكِ وفكرك إلى أجلٍ مفتوح على مساحات العمر، تكتبين حرفَكِ من لدنِ حبور السّماء، من مآقي أحلام الطّفولة وأحلام الشّباب وأحلام الرُّوح المخضّبة بماء الحياة، تكتبين حرفكِ من تلألؤات ضياءِ النّجوم، لأنّكِ منبعثة من شهقة الشَّمس في أوجِ سطوعها فوق كينونتك منذ أن تبرعمتُ على وجه الدُّنيا، فجاء سردكِ محتبكاً برهافة عالية على لسان شخصياتك، أيّتها الأرجانة المضيئة على مساحات رحلة العمر، الممتد من ربوع أسيف حتَّى سماء صقلية وهلالات النُّجوم والكواكب الّتي تضيء حرفكِ وقلبكِ وتهدهدُ شواطئ الرُّوح بشموعِ الابتهال:

فلا تعجب يا أخي في الحرف من كلامي، ودعنا نذهب الآن إلى لقاء سيّد كوكب البسملة، دمعة اللُّبانِ صاحب فلكِ العلم والحكمة في كلّ زمان ومكان لنستمع في حضرته إلى زبدة علومه واكتشافاته في مجال النَّجوم والكواكب والإنسان.".

وفي الفصل 7). **دمعةُ اللُّبان**، تعبّر الرّوائيّة في بداية الفصل عن الطَّريق الممهّد إلى نجمة الأفلاك وهي تلقي السَّلام على أرجانة سيّدة الأسماء وعلى أخيها في الله عبدالله الجغرافي، من سلالة الأسرة المباركة، رحّب بهما ترحيباً يليقُ بمقامهما، بأسلوب بديع إذ تقول:

"سلام على أرجانة سيّدة الأسماء وأخيها في الله أبو عبد الله الجغرافيّ الكبير سليل الشَّجرة الطّيّبة من أشراف الأدارسة الحمّوديّين، سلام عليك يا سيّدة الوحي الأمين، وأنتِ هنا في حضرة الكبش العظيم، والنبيّ التقيّ الأمين، ابن شجرة اللّبان التي حار في حمرة دمعتها وزرقة شُعلتها الإنس والجان. لأجلكِ فتحتُ عوالم الكواكب وجئتُ بإينكي مُصفّداً بيْن يديْكِ، وقلتُ لكلّ الملائكة، لقد شرعتُ طرُقَ الحرف في الأرض والسّماء فمهّدوا الطّريق لنجمة الأفلاك التي جاءتني لأغيّرَها وأنسيها كلّ أنشودات حوّاء، وأعيد تركيب أحلامها ورؤاها، وأمتصَّ من فيها رحيقاً أصنع به الحكمةَ نثراً، والقصائد شِعراً أسوّيها بها امرأةً ليس كمثلها في العالمين، فافسح لها الطّريق أنت يا من قُيِّدَتْ يداهُ، وافتح الأبواب كلّها فأنا سيّد

الأشجار والغابات كلها، ابن رع العظيم، ظهرتُ اليوم لأحاربَكَ، بتاج البهاء فوق رأسي، وخلخال الكوبرى يزيّن كاحل أرچانة، سيّدة الأسماء.".

ثمَّ تغوص في سياق سردها عمّا يتكوَّن إنسان الإرادة، مشيرةً إلى أن الإنسان إضافة إلى الجسد المادّي منه، هناك الجسد النّجمي والأثيري، والّذي سيتمُّ تفعيل هذا الجسد الرُّوحاني ويصبح زينة السَّماوات والأرض، حيث تقول:

"... يتكوّن إنسانُ الإرادة والّذي لم يظهر منه حاليَّاً سوى جسده الماديّ، في حين بقيَ الجسد النّجميُّ والأثيريّ غير مُفَعَّلٍ إلى أجل مسمّىً، مثله في ذلك مثل جسد العقل العرَضيّ. ولتعلمي يا أرچانة إنّ النّاس مرتبطة أقدارهم بنفوذ الأبراج وبالمؤثّرات الّتي تفرضها عليهم أجسادهم الفانية، ولا ينجو منهم إلّا القليل، أولئك الّذين استنار عقلهم بنور الله. ولتعلم أنتَ أيها الإدريسيّ أنّ الله حينما خلقَ كونَ الكواكب وجعل له نظاماً بديعاً إنّما أراد أن يُنَظِّمَ بهِ العالمَ الأرضيّ الّذي أرسلَ إليه الإنسانَ وقد جعله على صورة كيانه الخالد ليصبحَ زينة السَّماوات والأرض، ويرى الكونَ بعين الخشية ويتعرَّف بهِ على خالقِهِ.".

ثمَّ تتابع قولها عن مصير الإنسان، وتتطرّق إلى ما ينتهي به المطاف بعد العمر الزّمني الَّذي يقضيه على الأرض، وكل هذا ينمُّ على قدرتها العميقة في الغوص في جوهر ما يؤول إليه الإنسان، كما يدلُّ على معرفة الكثير من مراحل كينونة الإنسان، بما يتعلّق بمصيره بعد أن يقضي عمره على الأرض حيث تقول:

"مصير النَّاس بيد الكواكب وملائكتها، والكثير من الأسماء ستبقى فوق الصّروح الجبارة الّتي بنتها الأفلاك، وأسماء أخرى ستخبو وتنطفئ في الظّلام، ولن ينجو ويخلّص نفسه من قبضة ونفوذ الأبراج والمصير سوى قليل من النّاس، والغالبية تقودها الكائنات الإلهيّة الّتي تحكم العالم الأرضي مستخدمين جسد الإنسان كأداة لتحديد القدر والمصير." ..

وفي الفصل **8). في قصر الملك غولْبِيلمُو**، تتطرّق الرّوائيّة عبر رحلة فسيحة في فضاء الغيب والكواكب والأفلاك، وتسلّط الضَّوء على أربعِ دوائر، في كلٍّ منها الكثير من الرّموز والألغاز، وفي كلِّ فصل الكثير من الأفكار التَّجليات والخيال والعمق والرُّوحانيّات الّتي يصعب على العقل استيعابها، لكن الرِّوائيّة تسرد ما في عالمها وفكرها وخيالها وثقافتها الرُّوحيّة المفتوحة على رحاب الكون، فتأتي تجلّياتها شاهقة إلى حدِّ الاندهاش، حيث تقول:

"... الدّائرة الأولى فيه تمثّل خالق الكون بيدين مُشرَعتين، كلّ واحدة منهما تحملُ وجهاً لإنسان بهيئة ملاك. وهذا يعني أنّ الله العزيز القويّ حينما خلق الكونَ من العدم فصل فيه بين النّور والظّلمات،

وخلق بموجب هذا الفصل الكائنات السَّماويّة الّتي هي زئبق الحياة ليفصل بها بين الكبريت الحيّ الّذي هو النّفْس، وبين الزِّئبق الصّافي البرّاق الّذي هو الرّوح الّتي خلقها الله أوّل ما خلق وزرعها في الأشياء بشكل ظاهر وباطن، وجعلها البلسم الشّافي لتحتفظ بكلّ ما هو بادٍ للعيان بلباس الطّهر والنّقاء، وتدمّر كلّ ماهو نجس أو سامّ، وبها يتخثّرُ الزّئبق ويولد منه الطّاقة الّتي تجمع وتغسلُ كلّ الأماكن السّفليّة، طاقة لها القدرة على التّشكّل في المادّة والأجساد وفيها تكمن كلّ بذور العالم الأثيري..." .

" .... أمّا في الدّائرة الثّانية للباب فتوجد السّماء الكوكبيّة، وفيها يظهر ملاكان برأس منحنية ووجه مغطّى، هذه الانحناءة يا عزيزتي تعني أنّ كل التّأثيرات السَّماويّة تهبط من الخالق نحو السّماء النّجميّة الّتي هي هذا العالم الّذي تقيم فيه النُّجوم والكواكب. والملاكان يرمزان أيضاً إلى البذرة الكونيّة الّتي تنزل إلى الجسد وتكمن فيه، ولأنّها بذرة سماويّة فإنّها تغطّي وجهها ولا تظهر عارية وإنّما تختبئ عن أعين الجهلة والمتفيقهين حتّى لا يعرف وجهها أحد أبداً.

والدَّائرة الثَّالثة للباب هي سماء ثالثة ترمز إلى عنصر الهواء وفيها يظهر ثلاثة أطفال محاطين بالسّحب والغمام، وهم جميعاً رمز للعناصر الأولى المخلّقة للأشياء: الملح والزِّئبق والكبريت الأثيريّ، وإذ أقول لكِ الملح فإنّي أعني به ملح السماء الّذي هو المبدأ الأوّل الّذي به تتخلّق النّفس والرُّوح عبر التّفاعل مع الكبريت والزِّئبق.

وفي الدَّائرة الرّابعة وتحتَ الأطفال هناك عالم الماء والأرض الّتي ترعى فيها كلّ الحيوانات كالكبش والثَّور اللَّذان ما هما سوى رمزيْن يقولان إنّه عند عودة الرّبيع في آذار ونيسان المحكومين بأبراجهما النّجميّة، تكون المادّة الكونيّة في حالة من العشق السَّماويّ لدرجة أنّ عشقها هذا ينتشر عبيره في كلّ شيء، ويمدّ بالطّاقة والحياة كلّ كائن حيّ، وبه تبدأ الأيّام في الخروج من جهة الشّرق، فيخلقُ اليومُ الأوّلُ من أحشائه السّماءَ والأرضَ من جديد، ويُعلِّقُ اليومُ الثّاني سلّماً ينزل عليه المطر، ويلدُ اليوم الثّالثُ البحار، ويجمعُ اليوم الرَّابعُ بين السَّماوات والأرضين، ويشرّع اليوم الخامسُ العملَ لجميع الكائنات، ثمّ ينبثق النُّور وتُخلقُ العوالم السّفليّة، ويضعُ اليومُ السّادسُ علامات على كلّ من يملك روحاً مدنّسة، وفي اليوم الأخير تهبُّ الرّيح فتُسمّى بالرّوح الأبديّة ويبلّلُ المطرُ التُّرابَ ومن الطّين يتشكّل جسدُ الإنسان".

ثم تمسك بخيوط سردها في الفصل **9). رقصة النّار**، وتقودنا إلى فضاءاتِ الرّقص بطريقةٍ مدهشة في ترميزاتها، وترقصُ على إيقاعِ لهيبِ النّار، والّتي ترمز إلى تطهير الإنسان من كلِّ ما هو فاسد، ليولدَ إنساناً جديداً ويتّحدَ مع صفاءِ الرّوحِ الخلّاقة في أكوانِ السّماء، حيثُ تقول:

"... عليّ إذن بشجرة الحياة لأجمع منها حطبي وأشعل بها ناري السِّرّيّة، ناري الّتي أسمعها الآن تقول: إنّما احترقت كنيسة نوتردام ومساجد أخرى قبلها ليتجدّد حرف الله ونوره في القلوب، فذاك عهد مرّ وكان السّوس ينخر فيه الأرواح، وهذا عهد جديد، عهد طوفان النّار الّذي سيحرق كلّ شيء؛ المعابد والمنازل الباردة، والسّنابل الفاسدة، ليولد من السّوس والفحم إنسان جديد، وكونٌ آخر تلبس فيه البشريةُ ثوبَ الرّبيع.

لا بدّ لي إذن من هذه الرّقصة الوحشيّة لأتّحد مع العوالم والأكوان، وتتدفّق فوقي الأزهار، ويحطّ فوق ذراعَيّ العصفور والغراب والحمامة، والبومة والنّسر واليمامة، والنّحلة والفراشة، والدبّور والبعوضة، لا بدّ من الرّقص إذن ليسترخي الكون بداخلي ويعود جاهزاً لاستقبال المتضادّات، وليعرف كلّ إنسان بأنّه لم يُخلق ليكون لوحده وإنّما ليكون هو نفسه العوالم كلّها والأكوان! نعم، سأرقُصُ وأرقُصُ وأغنّي وأقول للغراب أن يحمل القمرَ إليّ ويرميه في الأعالي وينثر حوله النُّجوم، لا بدّ للغراب أن يفعل هذا من أجلي بل من أجلكم جميعاً، ولا بدّ له أن يرقُصَ معي ويُعطيني الصَّندوق الأحمر لأفتحه وأُطلقَ سراح النّهار، نعم، لا بدّ لي أن أحرّر النّهار من سجنه لينتشر الضَّوء في العالم بأسره." ...

وتتطرّق في الفصل **10**). **بالّارو**، إلى الأرغفة الخمسة والسّمكتين الّتي باركها السَّيد المسيح وتمَّ تقديمها إلى ما يقارب خمس آلاف رجل، فأكلوا منها وشبعوا، حيث تقول في هذا الفصل ما يرمز إلى ما جاء في الكتاب المقدّس، وهذا ينمُّ على آفاق الرّوائية الرّحبة في الأديان السَّماويّة، حيث تقول في سياق سردها:

" ... واليوم وأنتَ تظهَرُ لي من جديد في السّوق بالقرب من بائع السّمكِ فإنّ أوّل سفر ستقوم به ذاكرتي سيكون في ملكوت السّمك والخبز، فأرغفتي خمسة، وبين يديّ سمكتين لا غير، وليس أمامنا الآن سوى أن نكثّرهما ببركتك أيّها التَّقيّ، نعم دعني أكثّرهما بكَ في ذاكرتي وأتذكَّر معك أيّام البحر، والصّيد والخروج إلى لقاء القمر عند الفجر ...".

وفيما يلي نقرأ ما جاء في انجيل مرقص، عن أعجوبة الخمس أرغفة والسّمكتين الّتي باركها السّيّد المسيح وقدّمها التّلاميذ إلى قرابة خمس آلاف رجل، فأكلوا منها إلى أن شبعوا، وزاد عنها اثنتي عشرة قفّة مملوءة، والّتي تبيّن أنَّ الرّوائية استلهمت من هذه الأعجوبة ما جاء في مقطعها السَّردي السابق:

"وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: "الْمَوْضِعُ خَلَاءٌ وَالْوَقْتُ مَضَى. اِصْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقُرَى حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزاً، لِأَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ". فَأَجَابَ: "أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا". فَقَالُوا لَهُ: "أَنَمْضِي وَنَبْتَاعُ خُبْزاً بِمِئَتَيْ دِينَارٍ وَنُعْطِيهِمْ لِيَأْكُلُوا؟" فَقَالَ لَهُمْ: "كَمْ رَغِيفاً عِنْدَكُمْ؟ اذْهَبُوا وَانْظُرُوا". وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا: "خَمْسَةٌ وَسَمَكَتَانِ". فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ رِفَاقاً رِفَاقاً عَلَى الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ. فَاتَّكَأُوا صُفُوفاً صُفُوفاً: مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَأَخَذَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ،

وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَّرَ الْأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ السَّمَكَتَيْنِ لِلْجَمِيعِ، فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا، ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوَّةً، وَمِنَ السَّمَكِ. وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الْأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ" (مرقس 6:35-44).

هذه الثّقافة الرُّوحيّة الموسوعيّة العميقة عند الرُّوائيّة أسماء غريب تشير إلى إيمانها الرَّاسخ بما جاء في الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، لأنّها تحمل رؤية روحانيّة خلّاقة من كلِّ الأديان والثّقافات والفلسفات والعلوم التّنويريّة، ولهذا نراها لا تتوانى عن الاستشهاد بآيات من الكتّاب المقدّس، ما يعمّق رؤاها في سياق سرد روايتها كما جاء في الآيات المشار إليها أعلاه من إنجيل مرقس.

وتسترسل الكاتبة طويلاً وتستعرض في هذا الفصل عن أهمّية صفاء الرّوح والقلب والعقل، مدحضةً الكثير ممّا يتعلّق ببعض الأحكام المغلوطة فيما يتعلَّق بالتَّقشّف والزّهد المبالغ فيه، حيث نراها تشرح في سياق سردها أهمّية الطَّعام والشَّراب والتَّمتُّع بملذَّات الحياة بما يحتاجه الجسد من مأكل ومشرب وملبس، إذ تقول:

" ... سأضع كلّ هذا وأكثر لأقول إنّني النّقطة الّتي ستصحّحُ مسار موائد العرفاء الجُدُد، لا سيّما وأنّني كنتُ منذُ طفولتي الأولى كثيراً ما أسمع عن وجوب اتباع حمية غذائيّة قاسية من أجل الولوج إلى عوالم العلوم الباطنيّة، وكنتُ كثيراً ما أقرأ عن تركِ العارفِ لفراشه ونومه وسهره واقفاً اللّيالي الطِّوال منقطعاً للعبادة والصّلاة لأنّه ممّن قيل لهُ إنّهُ هكذا فقط يمكنه التَّمكّنَ من ميزات الكرامات وحصوله على الهبات الربّانيّة. وحينما كبُرتُ ونضجَ تفكيري أكثر فأكثر، وجدتُ عقلي يستهجنُ كلّ هذا، ويسألني مُستغرباً: ما معنى أن يجوعَ الإنسانُ إلى الأبد، وما معنى ألّا ينام اللَّيل؟ لا شكّ أنّ الأمر برمّته ضرب من الجنون والسّطحيّة في تقييم الأمور. فأن تجوع فهذا يعني أنّكَ تؤذي نفسكَ، وألّا تنام يعني أيضاً أنّك تلقي بنفسك في الهلاك المحقّق، و"العارفُ" الجائع الأرِقُ إلى الأبد، لا يمكنُهُ سوى أن يكونَ مُهَلْوِساً كبيراً، وكُتبُ الكثير من هؤلاء "العرفاء" تشهد على ما هُم فيه من خبال وضلال. وإنّي لأذكُر أنّني ما وسمتُ يوماً نفسي بصفة "العرفان" أو "التَّصوّف" وإنّما وجدتُ النّاس وبدون سابق إنذار ينادونني باسم وصِفة "الصُّوفيّة" الّتي ظلّت تلازمني منذ سنوات شبابي الأولى إلى اليوم، وما دخلتِ امرأةٌ أو ضيفٌ بيتي من "مثقّفي" عصرنا سواء من الإيطاليين أو المشارقة إلّا ووجدتُها أو وجدتُهُ يسألاني عن سرّ تصوّفي هذا؟ وكلّ ما كان يحدثُ لي أمامها أو أمامهُ هو شعوري بالارتباك: فأنا لا أجوع مثل باقي "العرفاء"، ولا أذهب للخلوات في الجبال والغابات إلّا في حالات نادرة جدّاً، وأنامُ السّاعات الّتي تكفي جسدي وتضمن له توازنه، وأمشي في الأسواق بين النّاس، وأعيش حياة عاطفيّة سليمة كسيّدة متزوّجة، أيْ أنّني أعيشُ بكلّ بساطة كما أمرني اللهُ أن أفعل، وليس لي أيّ سرّ أخفيه ولا أمارس التَّأمّل ولا الرّياضات الرّوحيّة الشَّرقيّة، ولا أعرفُ شيئاً عن العلوم الباطنيّة، لدرجة أنّني لا أعرفُ حتّى كيف يُقرأ الفنجان ولا

ورق التَّاروت، وعلى الرّغم من ذلكَ أجدُ النّاس يسألونني وباستمرار عن السّرّ: السّرّ في عزلتي المعرفيّة، السّرّ في اكتفائي بحياة بسيطة متواضعة وعدم طمعي في الجاه والسّلطان، السّرّ في تحكّمي في نفسي وجسدي وحرفي، السّرّ في عدم اختلاطي بالنّاس، وقلّة أو انعدام "صداقاتي"، السّرّ في غزارة حرفي، السّرّ في سعة معرفتي وهلمّ جرّاً من الأسئلة الّتي لا أوّل لها ولا آخر، والّتي كلّما تعدّدت ازدادت حيرتي في كيفية الرَّدّ عليها، ولا أظنّني سأنجح يوما ما في الردّ الكامل بالشّكل المطلوب بقدر ما أنّني أجدُ وعيِيَ الدّاخليّ يقولُ لي: لا تكوني ممّن وقَع من "العرفاء" في حبائل إبليس. وإذ أسأله وهل لإبليس طريق إلى أهل الصّلاح من هؤلاء النّاس؟ يجيبُني: له طرق وليست طريق واحدة، طرق تتعدّد بتعدّد أنفاس من مشى على درب التَّصوّف والعرفان، وما نجا منها إلّا القليل." ...

وفي الفصل الحادي عشر، **11). حينما تُكلّمُني ألسنة اللّهب**، تركّز الرِّوائيّة على الهبات الّتي منحها لنا الله الرّحيم بكرم لا مثيل له، لكنّ الإنسان لا ينتبه إلى أهمّيّة هذه الهبات، لأنّه حتّى الوقت الرّاهن لم يفهم المغزى الحقيقي لانبعاثنا في هذا الكوكب البديع، وما يزال بعيد عن جوهر أهداف وجوده متربّعاً فوق قبّة الكون، إذ تقول:

" ... عرفتُ أنّ الحياة أجمل هبة منحنا إيّاها الرّحمنُ، بعضُنا قد لا ينتبه إلى هذه الحقيقة، لكنّ الأمر كذلك بدون أدنى شكّ؛ الدّموع والأحزان والهمومُ نحن من نسعى إليها، لأنّنا لم نفهم للّحظة المغزى الحقيقيّ من بِعثتنا ومهمّتنا السّامية في هذا الكوكب الجميل. الإنسانُ هنا، ليعيش فرصتهُ قبل أن تنقضي المدّة المحدّدة لهُ. كلّ شيء في هذه الحياة رزق: الصّحة، سلامة العقل والجسد، والقلب المستيقظُ البصير هو المحرّك لكلّ هذه الأشياء. لأجل هذا يجبُ على الإنسان أن يكون على علاقة حميميّة جدّاً مع قلبه، أنا مثلاً؛ كلّ ليلة قبل أن أستسلم لسلطان النّوم أحاوره بكلّ ما أوتيتُ من لطف ومحبّة وأقول له: "مساء الخير يا قلبي الحبيب، كيف الحال هذه اللّيلة؟ كيف كان يومك؟ هل أنت راضٍ عمّا أنت فيه وعمّا أقوم به وأنت معي؟" يجيبني باسماً بلسان التَّوحيد: "لا إله إلّا الله" ويرفع يديْه ثمّ يُكملُ بلسان الشّكر: "أنتِ أجمل هيكلٍ يُمكن لقلبٍ أن يحلمَ بالتّواجد فيه، فالحمد لله حمداً لا تحصره الأحرفُ ولا تحدُّه الكلماتُ لأنّه أنعَمَ عليّ بأن أسكن بين أضلعك"، أبتسمُ أنا أيضاً وأرى قلبي وقد تحوّل إلى طائر باذخ الجمال، وحينما أنظرُ إلى نفسي أجدُها وقد تحوّلتْ إلى غادة سمراء شديدة البهاء، بشعر مجعّد طويل مضيء، وأسمع حركة انفتاحٍ لأجنحة عظيمة فوق ظهري، وأستسلمُ بهذه الصّورة الّتي يمنحها لي قلبي إلى نوم هنيء عميق." ...

وتتابع الرِّوائية فصلها الثّاني عشر **12). بكِ أبني صرحيَ الجديد**، مركّزةً علي حاجة الإنسان إلى الطّعام اللّذيذ الشَّهي كي يغذي الجسد والعقل، ويعمّقَ رؤاه في أسرار الوجود، ويعرفَ كيف يسبر جوهر أسباب

وجوده في الكون، ويعرف أين سينتهي به المطاف، فراحت تغوصُ في أعماق ما يعتري الإنسان من تساؤلات عبر رحلتها السَّرديّة إذ تقول:

"تعاليْ أيّتُها الأرجِانة، لنكتب معاً برمادِ الماء تاريخَنا، ونعيد ترتيب هويّتنا، ونتذكّر كلّ شيء عن موائدنا، تعالي لأكتبَ بكِ في حضرة البهاء، حرفاً لا يتحرّكُ إلّا بالنّقطة، وخبزاً ملحه النّقطة، ونبيذاً عنبه أبِفٌ خُطَّ بنقطة. تعاليْ لأنصبَ بكِ مائدة الله، وأضعَ فوقها أطباق الذّاكرة المنسيّة في أعماق أدغال البداءة الأولى. تعاليْ فما رأيتُ لليوم مائدة أشدّ طهارة ونقاء من مائدتكِ، إنّها مفعمة بالإشارات والرّموز والأسرار، إنّها كتاب مفتوح لأهل المحبّة العظمى والمعرفة العليا، كتابٌ خُطَّ بالنّور والنّار، بالماء والطّين، ورُسِمَ باللّون والرّقم والرّائحة الخلّابة والطّعم الزّكيّ، لكن لا بدّ لكِ أن تُقَبّلِي المجذوم في شفتيْه اللّتيْن أكلهُما الوباء، وأنا هذا المجذوم، وليس لكِ سوى أن تُقبّليني بكلّ ما تملكين من محبّة وعشق." ...

وتتابع السّاردة تركّزُ على التّغيير والتّجديد، تجديد علاقة الإنسان بخالقه ولا خوف بعد أن يتمَّ التّجديد مع ربِّ السَّماوات، ليبني الإنسان علاقة محبّة مع بارئه وخالقه، إذ تقول في متون سردها الرّهيف:

" .. انتهى كلّ شيء الآن، ولا بدّ من طيّ إزار المائدة والسّعي إلى التّغيير: لا بدّ من تجديد علاقة الإنسان بخالقه، وداعاً للخوف، وداعاً لصورة الله الغاضب والمنتقم، والّذي يعاقب ويهدّد، وداعا للخوف والارتعاش وأنت واقف بين يدي بارئِكَ أيّها الإنسان، ألستَ من صنعته، فلماذا لا تسلّمُ له مقاليد شؤونك بكلّ رضا وثقة؟ تذكّر أنَّ صوت الخالق معك في كلّ مكان، وهو يسعى دائماً للتواصل معك هو وملائكته الطّاهرين البررة، لكنّك أنت مازلت تصدُّهما وتوقف سعيهما نحوك .." ...

ثمَّ تخاطب الإنسان في سياق سردها وهي تحثّه على قبول كلمة الله ورعايته، لأنّها ترى أنَّ الإنسان من صنع الله ويستحقُّ أن يستعاد كل ما سُلِبَ منه، لأنّه بمثابة نور منبعث من الله، وله مكانة سامقة بين مجدِ النّجوم والكواكب:

"إذا حدّثكَ الله، وهو يفعل هذا باستمرار فلا تعتقد أنّ الأمرَ فيه هلوسة، ولا تهرب ولا تخف، ولا تستصغر نفسك وتعتبرها لا تستحقُّ أن يخاطبها الخبير بكلّ شيءٍ لأنك لست بوليّ ولا نبيّ ولا صوفيّ. وإنّما أنت قبل كلّ هذا إنسان، والإنسانُ من صنعة الله وهو لهذا يستحقّ أن يسترجع كلّ شيء سلبته منه الدياناتُ البائدة والإيديولوجيات المُدَمِّرة. أنت لست بساحر ولا بمجنون، إنّك قلب من نور يتوهّج بكلمة الرّحمن، يكفي فقط أن تعرف نفسك لتعرف بعد ذلك مكانك الحقّ بين الكواكب والنّجوم." ...

وتنتقل عبر الفصل الثّالث عشر **(13). المائدة الثّالثة**، وتسرد لنا عن أهمّية أطباق الطّعام، وتتحدّث عن حاجة الكاتب إلى قلبٍ صافٍ كقلب طفل وعقل إله، ثمَّ تتطرّق إلى القرين والملائكة الّذين يرافقون الكاتب،

ويفتحون آفاق رؤاه ويلهمون الكاتب وهو يحلِّق في فضاءات كتاباته، وتقدِّمُ عبر هذا الفصل الكثير من الأسرار والألغاز الّتي يجهلها الكثيرون وهناك مَن لا يؤمن بها، وتستفيض في سردها وتأكيدها على دور القرين المرافق والملاك الّذي يلهم الكاتب ويفتح آفاقه في تدفُّقات كتاباته إذ تقول:

"اعلمي إذن أنّ الكاتبَ، بل كلّ كاتبٍ على قدر عالٍ من الشّفافيّة والتّنوّر هو ملزمٌ بفتح خزائنِ جسدهِ مادام في حضرة الحرف. لن يصلَ إلى أيّ مكان ما لم يفعل ذلك. وهذا الجسدُ لا يعترفُ به معظمُ الأطبّاء مع كامل الأسف والحسرة، وآلامهُ الحقّة لا يعرفون عنها شيئاً، ولا عن عوالمه العلويّة والسّفليّة. جسدُكَ أيّها الكاتبُ يحتاج إلى رجال كشّافةٍ بقلب طفل وعقل إله." ...

"أنتَ لستَ وحيداً في وحدتك؛ معك الكون بأسره. لكنَّك لا تشعر به، ماضيك وذكرياتُك البالية يحولان دون ذلك. تخلّص من كلّ شيء، كن حرّاً، سافر إلى الأعلى، وغص إلى الأسفل. ولا تنسَ أنّه لا بدّ لك في سفرك هذا من الثّنائيّة القطبية الوجوديّة. إذ لا يمكنك أن تحلّق إلى أعلى ما لم تنزل إلى أسفل، هكذا فقط سيكونُ الانطلاقُ إلى عوالم الملكوت أسرع وأقوى. وهذا لن يتسنّى لك ما لم تعترف بقرينكَ. الطبّ يعتبر هذا الأمرَ ضرباً من الجنون، لكنّ الفيزياء لا، ولا الكيمياء، لذا فأنا أحبّ أهلَ الفيزياء كثيراً، وكذا أبطال الكيمياء، لأنّني أستطيع أن أتحدّث معهم عن الأمور الّتي لا يراها الأطبّاء بالعين المجرّدة ولا بالمنظار المختبريّ. رجال الدّين تحدّثوا في مثل هذه الأمور، لكنّهم خرّبوا كلّ شيء بجهلهم وسطحيَّتهم وفذلكاتهم المثيرة للضّحك.". ...

"أسمع الكُتَّاب يسألونني؟ وأقول لهُم، الأوْلى بكلّ كاتبٍ أن يسأل لماذا خلق لهُ اللهُ قُرنَاء من الملائكة والجنّ؟ ما هو دورهم في حياته، ولماذا هم معهُ لا يفارقونهُ؟ وجوابي سيكون بمنطق أهل الفيزياء، لا بمنطق رجال الدّين. لأنّ الفيزياء لغة الله، والدّين لغة الإنسان، والله أعرَفُ وأعلمُ، والإنسان جاهل غرير. رجل الدّين سيقول لكَ أيّها الكاتبُ لا بدّ من الزّار والكدية والقربان والذّبائح والبخور، وأنا أقول لك لا بدّ من الله، لا بدّ من الحرف، لا بدّ من الكتابة بالماء فوق الماء. لأنّ الماء هو نفسه الحياة، وهو نفسه عرش الله ذي الأنوار والبركات والخيرات العميمة." ...

وتتابع الرّوائيّة في الفصل الرّابع عشر **14). كمْثرى القدّيس يوحنّا**، تتحدّث عن أنواع الطّعام وأهميّته، وتحدَّثتْ عن كمَّثري القدّيس يوحنا، وراحت تغوص في فوائد الأطباق الشّهيّة، وأختتمت هذا الفصل بالآتي:

" .. وتسألني عن سرّ تسميّة هذا الإجّاص باسم يحيى المعمداني، فإنّي أقول لك إنّ السّبب هو ظهور هذا النّوع من الفاكهة في أواخر حزيران وهي الفترة الّتي يحتفل فيها الصّقلّيون بعيد هذا النّبيّ القدّيس. وفي الختام دعنا نُتَوّج فرحتَنا بعصير الرُّمّان على أن أقدّم لك في المساء شراب قشور الرّمّان المُحَلّى

بعسل الياسمين لنحسّن نوعيّة النّوم وما قد يحضر فيه من تجلّيات وصور ذهنية صافية تخبرنا عن الكثير من عوالم أهل الله.".

وتتطرّق في الفصل الخامس عشر **15) عن إكسير الحياة،** وتشير فيه إلى مدينة باليرمو، وأسماء أزقّتها وأسماء الكنائس فيها، كما تتحدّث عن صقلية وما فيها من أسواق ومهاجرين من كل الإثنيات والأقوام والأديان، حيث تقول:

"في تلك الفترة كنتُ أحرصُ على أن يباع فيّ كلّ شيء من خضراوات وفواكه ولحوم حمراء وأسماك، وكنتُ أسعى إلى أن يسمّي أهل المدينة أزقّتهم وشوارعم بأسماء الحرفيّين الّذينَ كانوا يعيشون في المناطق المحيطة بي، لأجل هذا تجدون في مدينة باليرمو أحياء وأزقّة ذات أسماء لا يعرف قيمتها إلّا أهل الخيمياء الحقّة، فهناك على سبيل المثال لا الحصر، زقاق بائعي ماء الحياة، ومنقوع الماء المثلّج المصنوع من رحيق اليانسون. ومازلت أتذكّرُ لليوم كيف أنّ صنّاع ماء الحياة سعوا بكل ما يملكون من قوّة وطاقة إلى بناء كنيسة خاصّة بهم وهي كنيسة مريم للعطايا والهبات." ...

ثم تقفل حديثها وهي تطرحُ سؤالاً عن نفسها على أنَّها عرفت لماذا كان السَّيِّد المسيح هناك، وكأنّها تعتبر أنّ أنوار القداسة في تلك المدائن وفي شعوبها موجودة منذ زمنٍ بعيد، لهذا جاء كي يسمع صلواتهم ويخفِّف من آلامهم ويمسح دموعهم، إذ تقول:

"الآن عرفتُ لماذا كنتَ هناك أيّها المسيح؟ عرفتُ أنّك جئتَ لتعاين شؤون الغرباء لأنّك غريب مثلهم. بل جئتَ لتسمع صلواتهم، وتمسح دموعهم، وتغسل جراحهم، وتقيم العدل بينهم وتردّ إليهم حقوقهم الضّائعة. الآن عرفت لماذا تظهر في أسواق الدّنيا كلّها؟ فهل يا ترى هو قريب ما رأيتُ؟ هل ستقلب سوق الدّنيا بأسرها؟ !أعلمُ أنّكَ ستفعل هذا وأكثر، ولن يستطيع أحد أن يتصدّى لك أو يمنعك، لأنّك عازم على تطهير الهيكل بكلّ قوّة وسلطان، هيكل الإنسان، فلتنفّذ سريعاً أيّها الزَّكيّ ما أنت مقبل عليه ودع الجميع يصرخ ويُردّدُ معك في اليوم المعلوم: تعال يا إلهنا وطهّر أجسادَنا بكلّ ما تملك من سلطان، ألسنا نحن أيضًا هياكلكَ وروحكَ يسكن فينا؟ اقلب موائدنا، قبل أن يضيع فوقها نورنا وأبديَّتنا. ولا تترك قلوبنا للشهوات، فتصبح مثل سوق تباع وتشترى فيها الأكاذيب والأوهام، فبيوتنا بيوت صلاة، طهّرها يا إلهنا الودود قبل أن تخرب إلى الأبد.". ...

ثمَّ تعود وتسرد في الفصل السّادس عشر **16). أطلانتس،** كيف يسمو الولي الصّالح بكماله الجسدي والعقلي والرُّوحي، ويحقِّق الفوز بحياة الدُّنيا والآخرة ويصبح قلبه نوراً يحرّك به الجبال الشَّامخات:

"ما نسيتُ شيئاً يا حبيبتي أرچانة وقد جئتُ اليوم في زيارتي السّابعة لكِ، لأقول لكِ، إنّني سعيد جدّاً بأنّكِ تعلّمت في ديار الغربة كيف تمسكين العصا من الوسط، وتكونين من أهل الدّار والبيت لا المنزل.

وكلّ وليّ ورجل حكمة صالح يُوثَقُ بكماله الجسديّ والعقليّ والرّوحيّ هو صاحب بيت دافئ، لا منزل باردٍ جامد، وذلك لأنّه لم يهجر الحياة ولم ينعزل عن النّاس أبد الدّهر في كوخ بالغابة أو في كهف بالجبل، ولأنّه يعلمُ أنّ القدّيسَ الحقّ ليس هو ذاك الّذي يخصي نفسَهُ ويقتل الحياة بداخله ليحظى بإعجاب الله، وإنّما هو ذاك الّذي من البيت والدّار يبني أسرة، يستمدُّ منها نوراً يُحَرّكُ بهِ الجبال." ...

وعلى لسان الشخصية الّتي تخاطب أرچانة تتحدّث عن علاقة الإنسان بالله إذ تقول:

"لأجل هذا أَتيْتُ لأقول لكِ: عانقي الوجودَ ليأتي اللهُ إليْكِ وأنتِ في داركِ، واعلمي أنّ التخلّي هو هرب من هذه الحياة الّتي بات الجميع يراها خاطئة، ويرون أيضاً أنّهم ما نزلوا إلى الأرض إلّا ليُعاقبوا، لذا تجدينهم يرفعون يد الرّجاء إلى الله قائلين دائماً: لا تنزلنا مرّة أخرى إلى هذا العالم، وجنّبْنا ما فيه من ألم وعذاب. أيّ تفكير هذا وخالق الحياة والعالَم هو الله نفسه. أما من عاقل فيهم يرى أنّ الوجود بأسره يحتفل بالحياة. أما من رشيد يرى الوجود مكافأة وليس عقاباً. أنتَ أيّها الإنسان لم يُلقِكَ الله في زنزانة مظلمة وكئيبة، وإنَّما في عالم إذا ما نظرتَ إلى الطّير والزّهر والنّحل فيه، سترى بأنَّهم جميعاً يحتفلون بالحياة. لقد أحبّكَ الله، وجعل جسدكَ هيكله وطهّره لكَ وأنبت فيه الفردوس الأعلى، وجعلك فيه طفلاً لكلمة لتستمتع به، وتأكل من فواكه معانيه.". ...

"لا ترفضِ النِّعَم الّتي يمنحها اللهُ إليكَ، فأنتَ حينما ترفضُ الأسرة مثلاً، إنّما ترفضُ خالقَكَ نفسه: اقبل الزّوجة الحبيبة، واقبلِ الأب والأخ والأطفال والأصدقاء، وكلُّ ما يحدث في حياتكَ اسمح له أن يكون، لا أحد يولد وحيداً، وإنما كلُّ إنسان هو ابن أسرة، هذه هي الألوهيّة المقدّسة، وهذا هو المريد الجديد، أيْ الّذي يرى الحياةَ نعمةً لا نقمة، ويعرفُ أنّه إذا ما وُجِدَ في هذا العالم، فإنّما ليتكوّن فيه ويتعلّم منه ما يفيده في بناء جسده الأثيريّ وجعله صالحاً للالتحاق بالملكوت الأعلى مباشرة."

ثمَّ تختتم هذا الفصل وهي تركّز على ضرورة التّلذُّذ بالطّعام، وتعتبره ينعش الرُّوح ويحقِّق الصّفاء الرّوحي:

"ولا تنسي يا أرچانة القلب ألّا تأكلي وأنت غاضبة أو حزينة حتّى لا يتحوّل الأكلُ إلى سمٍّ، ولا تكوني ممّن يجعل أكلَه بديلاً عن الحبّ، يُعوّضُ به نقصَ العاطفة والدّفء والمحبّة في حياته، وإنّما كوني أنت الحبّ تغذّين نفسك بطاقتك الرّوحيّة المتوهّجة الّتي ستعرف كيف تدلّك على أنواع الأغذية الصّالحة لجسدكِ. ولتعلمي أنّ عقلكِ أيضاً يأكل ممّا تأكلين، فمدّيه بما ينعشه ويقوّي ذاكرته، ويملؤه بالحياة، سواء كان الأكل عضويّاً، أو فكريّاً تستمدّينه ممّا تقرئين وتشاهدين. عليك أن تحرصي جيّداً على ألّا تُسمّميه بالأفكار والذّكريات والإحباطات وما إلى ذلك من سموم، حتّى تضمني بذلك سلامتكِ النَّفسيّة والرّوحيّة. ولتتذكّري جيّداً ألّا تكوني ممّن يفكّرُ وإنّما ممّن يتفكّرُ ويتدبّرُ في الخلق والخليقة، فلا عقلَ إذن وإنّما وعيٌ كامل، ولا وجوهَ تزورِكِ في المرآة وإنّما سكون مطلق، لا هُم وإنّما أنتِ، لا غياب وإنّما

حضور مطلق، لا رأس تحملينها فوق جسدكِ وإنّما شمس متوهّجة: هذه هي أطلانتس، وهذا هو العرفان الحقّ والتنوّر المُكتمل.".

وتقفل الرّوائيّة تدفّقاتها السّرديّة في الفصل الأخير الّذي حمل عنوان **17). الكابوس الأخير**، وتلخّص عبر هذا الفصل كل ما تريد قوله من روايتها، كي تصل إلى أهدافها الّتي رسمتها منذ البداية، فجاءَ الاختتام مكثّفاً ومعبّراً عمّا جال في تجلّيات فضاءات بوحها، حيث تفتتح هذا الفصل بإيقاع شعري إذ تقول:

"اهدئي أيّتها الرّيح القُطبيّة، وتعال أيّها النّسيم الصّحراويّ، وهُبَّ فوق حدائقي السّريّة كي تُزْهِرَ أشجارُ النّار والعطور والتّوابل، وأحمل ثمارها أنا صقلّية العارفة بالله، إلى أديبتنا أرجانة الخير وأتوّجَها بها في اليوم الرّابع عشر من شهر تمّوز، يوم الاحتفال بالقدّيسة روزالبا شفيعة العاصمة باليرمو، وأقول لها بعد أن أنهت رحلتها العرفانيّة هذه: حينما تُجالسين النّاسَ، كوني معهم بلباسهم ولغتهم، وحينما تجالسين أهل الحقّ كوني معهم عيْنَ الحقيقة ... " .

إنَّ شخصيّة أرجانة في الرّواية هي الأديبة أسماء غريب نفسها، وقد استطاعت عبر هذه الشّخصيّة أن تقدّم وجهات نظرها وأفكارها عبر نصّ روائي بديع، فيه من جموحات الخيال في سياقِ الإيقاع السّردي الشّيء الكثير، ورغم جموحِ الخيال، فإنَّ الفكر الّذي طرحته في فضاءات عملها الرّوائي، هو أحد الأهداف الّتي أرادت أن تعرضَه وتقدّمَه بهذه الرُّؤية السّرديّة الشّاهقة، ولا أخفي على الأحبّة القرّاء والقارئات، أنّني لم أتمكّن من الإمساك بخيوط هذا العمل الرّوائي بسهولة في قراءتي الأولى، فقد كنتُ أتوه في معالم رؤاها الّتي قدّمتها بطريقة أشبه ما تكون سينمائيّة من حيث جموحاتها المفاجئة في الكثير من مشاهد الحوار، فنجد العديد من المشاهد المعبّرة في متونِ العمل الرّوائي وكل مشهد له خصوصيّته وإن كان مترابطاً مع بقيّة المشاهد، ولكن لغة القطع في سياق كل مشهد كان واضحاً، لكنّ الروائيّة عرفت كيف تربط هذه المشاهد ضمن إيقاع متماسك من خلال شخصيّات الرّواية الّتي ابدعتها بطريقةٍ غير معهودة، بما نراها في بعض الرّوايات السّائدة، وتمكّنت الكاتبة أن تقول كلمتها عبر عملٍ روائي نادر في تطلُّعات أفكاره، مع أنّني كنتُ ألمس في بعض الأحيان، أنَّ هكذا رؤية وهكذا أفكار ممكن أن تُصاغ في كتابٍ آخر، ضمن سياق نصوص أدبيّة متدفّقة في سياق مقالات مستقلّة ومرتبطة مع بعضها أيضاً، وسبق واطلعت على مجموعة مقالات ونصوص أدبيّة للأديبة أسماء غريب حول السّلام، ووجدت أنّها عبَّرت عمّا كانت تريد أن تقوله بسلاسة وانسيابيّة ولغة رشيقة، وهي نفس اللُّغة الّتي سردتها في هذه الرّواية، لكنَّ الفرق ما بين العمل الرّوائي والنّص الأدبي الّذي يأخذ أسلوب المقال، هو أنَّ الرّواية تجمح أكثر نحو فضاءات الخيال، خيال المبدع والمبدعة، بينما في المقال غالباً ما يدوّن الكاتب رؤيته كما يشاء دون التّحليق في فضاء الخيال السّردي، والّذي نراه أحياناً يبتعد عن الواقع أو ربّما لا يصبّ في

فضاءات الواقع الّذي نريد أن نقوله، لهذا أميل إلى عرض هكذا أفكار في سياق مقالات وكتب فكريّة، لأنَّ قوّة الفكر العرفاني والفكر الإنساني والعلوم الفلسفيّة بمفهومها العميق يكمن في أن نعرض هذا الفكر بحرفيّته، دون أن ندرجه في فضاءات الخيال الرّوائي أو السَّردي، وإن كتبنا هكذا عمل في فضاءات الخيال السَّردي الخلّاق، ربما نبتعد قليلاً أو كثيراً عمّا نريد قوله من الأفكار الّتي نطرحها في سياق سردنا، ولكنَّ الأديبة أسماء غريب استطاعت بمهارة عالية أن تمسك مسارات خيوط عملها الرّوائي، وتقدِّم ما تريد أن تقدِّمه عبر سردٍ مبهر ومقنع في تحليقاته وكأنّها كتبت مقالات فكريّة أدبيّة عرفانيّة شاهقة ضمن سياق روائي بديع، وهذا إن دلَّ علي شيء إنّما يدل على قدرتها الخلّاقة على مطاوعة حرفها أينما تشاء وكما تشاء دون أن يؤثّر على فضاء الخيال المنساب مع السّرد الرّوائي، ودون أن تبتعد عمّا تريد قوله في سياق نص أو مقال، وهكذا تمكَّنت في أسلوبها هذا أن تبدعَ رواية في إيقاع نصوص تحمل رؤية عرفانيّة صوفيّة بكلّ مهارةٍ وانسيابيّة، وأدهشني حرفها وهو يتدفَّق في أمكنة وأزمنة وحوارات لا يمكن بسهولة أن تجتمع كل هذه المهارات في عمل أدبي سواء كان عملاً روائيّاً أو نقديَّاً أو كتاباً أدبيّاً وفكريّاً، وهكذا نكون أمام عمل روائي متفرِّد في فضاءاته ورؤاه وآفاق تدفّقاته، لِمَ لا إنّها الأديبة المبدعة أسماء غريب، صاحبة الرُّؤية الموسوعيّة في انبعاث حرفها على أكثر من صعيد إبداعي.

كم أشعر بالمتعة والفائدة كلّما قرأتُ كتاباً لهذه الأديبة، الَّتي منحتني طاقة استلهاميّة وأحرقت الكثير من الشَّوائب العالقة في مسارات خيالي وسردي وعوالم شعري، وهذّبت من لغةِ الانبعاث في معالم حرفي، مع أنّي كنتُ ومازال أميل إلى لغة الوئام والسَّلام في فضاءات بوحي، لكنّي ازدَدْت شغفاً في رهافة بوحِ الحرف وجموحه نحو أصفى ما في تجلّيات الرّوح، حتّى أنّني شعرت في الكثير من الأحيان أنَّ حرفها يتعانق مع عوالم حرفي فيما يخصُّ لغة الوئام بين البشر، لكنّي وجدتها أكثر رصانةً في جموحِ صفاءِ الرُّوح، فقد وجدتُ في معالمها وفضاءاتها شموخاً روحيّاً شاهقاً، مسربلاً بألقِ السّماء، وهي أشبه ما تكون هديّة متهاطلة علينا من الأعالي كي تقدِّمَ كل هذا الجمال والصّفاء الرّوحي العرفاني لبني البشر، وتوقّفتُ في الكثير من الأحيان عند ابتهالات جموحاتها العرفانيّة، وأدهشني وأبهجني كل هذه الخصوبة الرّوحيّة المنبعثة من توهّجات فكرها الوقّاد، لما في حرفها من محبّة إيمانيّة منعتقة من شوائب الحياة وصافية صفاءِ زرقة السّماء، وتعتبر الشّعر من روائع الحياة وكذلك الرّسم والموسيقى وسائر خمائل الإبداع إذ تقول في انبعاثِ حبور سردها:

"الشِّعرُ شيء رائع، والرّسم كذلك والموسيقى أيضاً لكن يجب أن يأتي كلّ هذا بعد أن يكون الإنسانُ ثملاً وممتلئاً بالحبّ، لا قبله، وهذا هو ما يخلقُ الفرق بين أديب وآخر، وبين موسيقيّ وآخر وبين روائيّ وآخر، ولتعلمي أنّه لن يشدّك أو يدهشك في عالم الإبداع إلّا عاشق أو عاشقة كبيرة، لأنّهما يسجّلان بَصْمَتَهُما بوهجِ الرّوح ونار الرّوح القدُس. على الإنسان أن يكون مُحِبّاً لتنفتحَ له أبواب الإبداع الحقّة، ويملكَ أسرارها، وإلّا فلا شيء يقودهُ إلى أيّ مكان إذا لم يكن نابعاً من الحبّ المطلق.

أنتِ نفسُكِ أيّتها الأرچانة معي الآن بتجلٍّ كبير من تجلّيات العشق الحقّ، لأنّنا شربنا معاً من النّبع الصّافي، وبتُّ آتي لأجالسكِ وأهلَ الحضرة العُلويّة الكبرى ومن الصّعب جدّا أن يفهم النّاس هذا، أيْ كيف أنّنا نتحدّث عن أكثر الأمور دقّة وحساسيّة لنرمّم ونرتق جراحَ الإنسان عبر الإنصات إلى قلب الأنثى فيه، هذه الأنثى الّتي مازال أحدٌ لم يعتِقْ رقبتَها من حُفَرِ الوأد وفخاخه المنصوبة لها في كلّ مكان." ...

وفيما هي تقفل آخر ما جاء في روايتها، أراها تشير إلى أنَّ الأنبياء هم بشر مثل أرچانة ومَن يشبهونها، وهؤلاء استطاعوا ان ينتصروا على الموت ويخلقوا عبر انتصارهم الحياة الخالدة والأزليّة، حيث تخاطبُ الإنسان قائلةً:

"أمازلتَ لا تعلم أنّ هؤلاء الأنبياء بشر مثلك، وإذا انتصروا على الموت وخلقوا الحياة فهذا يعني أنّكَ تستطيع أن تفعل الشّيء ذاته مثلهم إذا طهّرتَ محرابك، وطردتَ منه شياطين الفكر الهدّام، فإلى متى تبقى ظمآناً وقِرْبَةُ النّور بين يديْكَ؟ أفق يا هذا من كابوسك، فلعلّه الأخير، واطرد خفافيش الظّلام من حولك، ومُدّ يدكَ تجِدْ من حولكَ أكثر من ملاكٍ مستعدٍّ لانتشالك من بحر القار الّذي رميتَ بنفسكِ فيه! مُدّ يدكَ، وادخل حضرة أرچانة المغرب، تجد الإدريسيّ الجغرافيّ الكبير قد عاد إليها بعد أن كانت قد تركته في كوكب البسملة، وتجد معهُ ابن حوقل وقِطَّ الوشق الكبير، والشَّجرةَ فوكُس، والأخرى ذات المئة حصان، كلّهم حاضرون هنا ليشهدوا ولوجَها إلى مدينة العلم بسرّ النّقطة الّتي تحت الباء، وكيف أنّها صاحبتِ الحرفَ إلى أن ظهرتْ لها منهُ كاف الكفاية وهاء الهداية وياء التأييد وعين العلم وصاد الصّلاة على الحبيب المصطفى نور الأكوان والعوالم كلّها. فهلمّوا إليها في عالم المُلك الّذي فيه خُلقَ الألِف، وعالم الملكوت الّذي ظهرت فيه السّين، وعالم الجبروت الّذي بزغتْ فيه الحاءُ، وعالم اللّاهوت المنطوق في ياء الاسم الأعظم وعالم الهاهوت الّذي فيه قال الخالقُ لكليمه: أقبل ولا تخف إنّك من الآمنين، وهو المقام الّذي أريدكم أن تدخلوه اليوم قبل الغد، لتعرفوا من تكون هذه الأرچانة البهيّة الّتي أريدكُم جميعاً أن تنادوها من الآن فصاعداً بالسيّدة كركم، لأنّي بشمسها الذّهبيّة الكركميّة اللّون دخلتُ إلى مناجم الرّوح وشُفيتُ من أسقامي وأعدتُ تشكيل جزيرتي، وعرفتُ مقامي الجديد في جغرافيا وتاريخ الأكوان، وإنّي لها على كلّ هذا من الشّاكرين والممتنّين في كلّ الكواكب والأجرام، والحمد لله ربّ العالمين.".

***

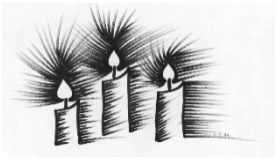

حرفُ الأديبة أسماء غريب
مبلَّلٌ بماءِ الرّوح العطشى لأجنحةِ اليمام

حرفُ الأديبة **أسماء غريب** مبلَّلٌ بماءِ الرّوح العطشى لأجنحةِ اليمام، شِعرُها متوهِّجٌ بتدفُّقاتِ ألقِ التَّجلّي في أوجِ ابتهالاتها. تُحبِكُ سردَها على إيقاعٍ عميق الرُّؤية، وهي تحلِّقُ عالياً عبر رؤاها الفكريّة والعرفانيّة بطريقةٍ سلسة، وتنسجُ قصصها كمَن تهدي القارئ بسمةَ فرحٍ مرتسمة على خدودِ الأطفال في صباحاتها الباكرة وهي في أوجِ تأمُّلاتها. تغوصُ عميقاً في دراساتها النّقديّة والتَّحليليّة، بعد أن تقومَ ببحوثٍ دقيقة عن أدب المبدعين والمبدعات، وتطَّلع على تجربتهم وحياتهم وفضاءات عوالمهم، كي تقدّمَ رؤاها النّقديّة بمهاراتٍ رهيفة، تلامسُ أعماق الكتّاب الَّذين يجسّدون رؤاهم عبر أساليبهم الأدبيّة المتنوّعة. تكتبُ نصوصها الأدبيّة ومقالاتها بلغةٍ رشيقة، بارعة، معبِّرة ومكثّفة بأفكارٍ مجنّحة نحو فضاءات عرفانيّة صوفيّة موغلة في الابتهال،

وتترجِمُ الكتب الّتي تختارها بلغةٍ شاهقة وكأنَّ ترجماتها محبوكة بلغة الأم المترجَمة منها، لما لديها من مهارات عالية في تقنيّات الحرف المترجَم، ولها باعٌ كبير في أدب الحوار، تولد إجاباتها كنصوصٍ أدبيّة وشعريّة وقصصيّة ومقالات باذخة في الانبعاث، وتوشّحُ كتاباتها بكلِّ أجناسها بتشكيلاتها اللَّونيّة الخلّاقة!

حقَّقت أسماء غريب نجاحاً باهراً في ولوجها الرَّصين في عالم الكتابة، لما تحمله من فكرٍ مستنير وإيمان راسخ في فضاءاتِ الأديان والفلسفات والعوم الإنسانيّة والأجناس الأدبيّة المتعدّدة، وقد كتبت مجلَّدات عديدة في مجال الأدب والشّعر والتّرجمة والنّقد والحوار، وتألّقت في فضاء الكتابة الإبداعيّة بمختلف تنوّعاتها، لما تمتلكُ من حصافة فكريّة وأدبيّة ولغويّة في تجلِّيات بوح الحرف، تشتغل على كلِّ جنسٍ أدبي تطرقه بمهارة وحرفيّة حاذقة من خلال بحوثها واطلاعها وثقافتها الموسوعيّة ومتابعتها لكلِّ خطوة من خطوات العمليّة الإبداعيّة، تكتب بعمقٍ ودراية ووعيٍ رغم تحليقاتها وتجلِّياتها وبوحها السّردي الشَّاعري الشَّاهق، وتعرف كيف تمسكُ خيوطَ الأفكار الّتي ترغبُ عرضها بمهارةٍ عالية. تسعفها اللُّغة وسعة آفاقها وخبرتها الطّويلة في الولوج إلى ذروة مرامي الأفكار الّتي تسعى إلى تجسيدها، وهذا ينسحب على فضاءات التّرجمة أيضاً، فلديها كل أدوات وتقنيات تطويع الحرف والفكرة الَّتي تترجمها، وكأنّها عبر ترجماتها في سياق رؤية جديدة لاكتشاف أجمل ما في جوهر النَّص المترجَم، كما أنّها تكتب رؤاها وما يراودها من أفكار بعد أن تغوصَ في بواطن الرّوح فتنسج آفاق رؤاها الخصبة بكلّ تجلِّياتها، تشبه نسيماً

منساباً من وجنة الصّباح وهي تنثرُ حرفها المعتَّق بأشهى ما في خميرة الرّوح، كأنّها في حالةِ حلمٍ مفتوح على مرامي الدّنيا.

تكتبُ جموحاتها وهي في حالة عشقيّة ابتهاليّة تجلّياتيّة انتعاشيّة مع عالم الحرف والكلمة الخلّاقة، فتجسّدُ الأفكار الّتي تتهاطلُ فوق خيالها المنساب من تهاطلاتِ شهقة المطر، كأنَّ عطاءاتها هديّة منبعثة من مآقي غيمة معبّقة بماءِ الرّوح، تكتبُ لذاتها الهائمة في أعالي السّحاب، الهائمة في دنيا مستولدة من ألف سؤال وسؤال! تجيبُ عن تساؤلاتها عبر قصائدها المحتبكة مع عبير الأزاهير والبحار وزقزقات العصافير واللّيل الحنون، تجلس بكلِّ هدوءٍ في صباحاتها الباكرة وهي في أوج تأمُّلها، ينساب حرفها رقراقاً عذباً، فتنسجُ نصوصها وسرديّاتها كأنّها في رحلة حلميّة ابتهاليّة في فضاءات بوح الرّوح، ثمّ تعودُ بعد رحلاتها الحلميّة المتدفّقة في سماءِ الحرفِ، وتطرحُ أسئلة على الأسئلة الّتي تجيب عنها، في خضمّ تجلّياتها ثمَّ تجيبُ عن تساؤلاتها بمزيدٍ من التألُّق وتولد من إجاباتها تساؤلات جديدة أخرى، وكأنّها في رحلة مفتوحة مع شهقة انبعاث الحرف بكلِّ شموخِهِ فوق قبّةِ الكون، تعاينُ مسارات النُّجوم والكواكب، وتناجي كينونتها وهي في أوج جموحِ الخيال والعقل الشّامخ فوقَ إشراقةِ مناراتِ الحلمِ.

أرى في إشراقاتِ رؤاها حبراً معرّشاً برحيقِ حليبِ الحنطة، مغموساً بمذاقِ العسلِ البرّي، ينفرشُ على مساحاتِ ذاكرة مخضَّبة بأجنحةِ طيورٍ تحلّقُ عالياً فوقَ ثمارِ أشجارِ الجنّة، لا تكتبُ إلّا ما يلامسُ روحها الطّافحة بالتّجلّي والخير والمحبّة والوئام الكوني، كأنّها في محرابِ عشقِ الحرفِ والحبرِ واللّيلِ الحنون، أراها كائنة مفطورة بأغصانِ المحبّة، بأزاهيرِ الفرحِ والمحبَّة والوئامِ معَ ذاتِها ومعَ الطّبيعةِ ومعَ الكائناتِ المتناثرة فوقَ ثغورِ الكون. عندما تحلّقُ في سماءِ الحرفِ، تطفحُ عيناها دمعاً مصفّى بأهازيجِ عناقِ السّماءِ، دمعاً فرحيّاً شوقيّاً إلى تلألؤاتِ نُجيماتِ الصّباح. في قلبِها تغفو حمائم الحنين إلى اخضرارِ الحياة، وفي روحِها ينمو حرفٌ معبَّقٌ بإشراقةِ حلمٍ في أزهى انبعاثهِ من بسمةِ السّماء، لم أجدْ أكثر مَنْ يماثلها التصاقاً معَ أجنحةِ الرُّوحِ بوحاً وابتهالاً وشوقاً إلى حبٍّ مفتوحٍ على جنائن الطّموحاتِ المنقوشةِ فوقَ خدودِ الرّوح، حرفُها منبعثٌ من طينِ المحبّة، منسابٌ من مآقي الطّفولة النّديّة الطّافحة بضياءِ شموعِ الأمِّ الرَّؤوم، مشبَّعٌ حرفها من تلالِ وظلالِ مدينة "أسيف"، بكلِّ ما فيها من صفاءٍ وإيمانٍ وبحارٍ وأنهارٍ حبلى بالخير الوفير، وبكلِّ ما فيها من حنينٍ شاهقٍ إلى اخضرارِ الرُّوح. في قلبها تنمو أشجار الحنين إلى ذاتها المتهاطلة فوقَ ذاكرةِ الرُّوحِ، هل للروحِ ذاكرة؟! سؤالٌ ملحاحٌ طرحته على نفسي مراراً، فلم أجد إلّا جموحات القصائد تجيبُ عن هذا السُّؤال! مراراً قرأتُ في حنايا حرفها أسرار شوقي إلى ذاتي، إلى أمواجِ البحر، إلى إشراقةِ الشَّمس وهي تناغي حرفي في أوج انبعاثِ ابتهالاتِ الشِّعرِ، حرفُها يحرّضني على محبّةِ الذّاتِ والحياةِ وسموِّ السَّماءِ، حرفُها معتَّقٌ بجمرِ القصيدة، أهزوجة فرحٍ منذّى بحبقِ الزّيزفون، مسبوكٌ من طينِ الحياةِ، مغطّى بأعشابِ الجنّة، حرفُها من لونِ الشَّفقِ الصّباحي، كأنّهُ مصهورٌ بوميضِ شهوةِ البرقِ، تموجُ في رحابِهِ أحلام إنسانة نذرت نفسها لهذا الحرفِ نقطةَ عشقٍ سرمديّة فوقَ خدودِ

الكونِ، كي تقدِّمَ بكلِّ حبورٍ أبهى ما لديها للحياة، قبلَ أن تعانقَ زرقةَ السّماءِ وهي في أصفى تجلّياتها لمناراتِ هذا العبور! ..

ستوكهولم: كانون الثّاني (يناير) 2020

الفهرس

الإهداء: إلى الأديبة والمترجمة والنّاقدة المبدعة د. أسماء غريب 3
استهلال: بقلم د. أسماء غريب: الحرفُ جسدٌ، والنّقطةُ روحُه 5
انبعاث القصيدة من وحي شموخِ الحرف 7
مقاطع من ديوان: تجلّيات من وهج الانبهار 9
الشّاعرة أسماء غريب مشبَّعة بإشراقةِ وهجِ الرّوح 14
عطاءات إبداعيّة متبادلة 25
استهلال: رحلة المئة سؤال وجواب 26
أسئلة الحوار 28
بعض إجابات الأديبة أسماء غريب عن رحلة المئة سؤال وجواب 35
مقتطفات من تعقيباتي على بعض أجوبة هذه الرّحلة 47
كيف تلقَّيتُ كتاب: تَمثُّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة (من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ) د. أسماء غريب، دراسة عرفانيّة 55
مقدّمة كتاب: تَمثُّلاتُ السّادة الملائكة الكروبيّين في تجربة صبري يوسف الإبداعيّة (من الأدب إلى الفنّ التّشكيليّ)، بقلم صبري يوسف 59
استهلال: رحلةُ السّلامِ الرّوحيّ من الفَحْمِ إلى الألماس، د. أسماء غريب، مئة سؤال وجواب: الجزء الثّاني
حوار أجراه من ستوكهولم الأديب والتَّشكيليّ صبري يوسف 63
أسئلة الحوار الخاصّة بـ : رحلةُ السّلامِ الرّوحيّ من الفَحْمِ إلى الألماس 65
بعض إجابات الأديبة أسماء غريب عن الحوار الثّاني، رحلةُ السّلامِ الرّوحيّ من الفَحْمِ إلى الألماس.. 70
مقتطفات من تعقيباتي على بعض أجوبة هذه الرّحلة 81
رحلة المئة سؤال وجواب بجزئيه، رحلة فسيحة عابقة بكلِّ مرامي صنوف الإبداع! 89

السيّدة كُرْكُم، رواية عرفانيّة موغلة في عوالم الكواكب والنّجوم 91
حرفُ الأديبة أسماء غريب مبلَّلٌ بماءِ الرّوح العطشى لأجنحةِ اليمام 113
الفهرس 115

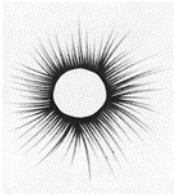

حرفُ الأديبة أسماء غريب مبلَّلٌ بماءِ الرّوح العطشى لأجنحةِ اليمام، شِعرُها متوهّجٌ بتدفُّقاتِ ألقِ التَّجلّي في أوجِ ابتهالاتها. تُحبِكُ سردَها على إيقاعٍ عميق الرُّؤية. وهي تخلِّقُ عالياً عبر رؤاها الفكريّة والعرفانيّة بطريقةٍ سلسة. وتنسجُ قصصها كمَنْ تهدي القارئ بسمةَ فـرحٍ مرتسمة على خدودِ الأطفال في صباحاتها الباكرة وهي في أوجِ تأمُّلاتها. تغوصُ عميقاً في دراساتها النّقديّة والتَّحليليّة، بعد أن تقومَ ببحوثٍ دقيقة عن أدب المبدعين والمبدعات، وتطَّلع على تجربتهم وحياتهم وفضاءات عوالمهم، كي تقدّمَ رؤاها النّقديّة بمهاراتٍ رهيفة، تلامسُ أعماق الكتّاب الّذين يجسّدون رؤاهم عبر أساليبهم الأدبيّة المتنوّعة. تكتبُ نصوصها الأدبيّة ومقالاتها بلغةٍ رشيقة، بارعة، معبِّرة ومكثّفة بأفكارٍ مجنّحة نحو فضاءات عرفانيّة صوفيّة موغلة في الابتهال.

وتترجِمُ الكتب الّتي تختارها بلغةٍ شاهقة وكأنَّ ترجماتها محبوكة بلغة الأم المترجَمة منها، لما لديها من مهارات عالية في تقنيّات الحرف المترجَم، ولها باعٌ كبير في أدب الحوار، تولد إجاباتها كنصوصٍ أدبيّة وشعريّة وقصصيّة ومقالات باذخة في الانبعاث، وتوشّحُ كتاباتها بكلِّ أجناسها بتشكيلاتها اللّونيّة الخلّاقة!

صبري يوسف

دار نشر
صبري يوسف
Sabri Yousef Bokförlag
2020

Designed by Jean Stephiow
www.jeanstephowarts.com